AL-MUJTAMA'A
المجتمع
مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2090)
(السنة 46)
صفر 1437هـ
ديسمبر 2015م
www.mugtama.com
@mugtama
facebook.com/mugtama
@mugtama

الكويت: السندات الحكومية.. سلاح ذو حدين

جميع الحقوق محفوظة
المجتمع
مجلة المسلمين حول العالم
لدى مجلة المجتمع

تغيُّر المناخ.. كارثة تهدد العالم

استحقاقات مرحلة ما بعد الانتخابات في تركيا

النظام العالمي الجديد.. ودِين «أستانة»

منتدى «كوالالمبور»: الديمقراطية تحقق الاستقرار

الكويت ٧٥٠ فلسا، السعودية ١٠ ريالات، البحرين دينار بحريني، قطر ١٠ ريالات، سلطنة عمان ريال عماني، الأردن ٧٥٠ ,١ دينار أردني، لبنان ٤٥٠٠ ليرة، المغرب ٢٣ درهما
USA $ 5 - Canada $ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

بزكاتك ..

«وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً»

صدق الله العظيم

.. تحييهم

شاركونا فرحتهم بالإفراج عن السجناء والضبط والإحضار

جمعية التكافل لرعاية السجناء

التبرع عن طريق الاستقطاع:

بيت التمويل الكويتي
011140010577

بنك الكويت الوطني
1000314577

للتواصل:

94064061 - 94064060 - 24834414

اللجنة النسائية: 94064069

AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (٢٠٩٠) - (السنة ٤٦)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً
تأسست عام ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠م
جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت

رأس مجلس إدارتها
حتى 1427/8/10هـ - 2006/9/3م
عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير
محمد سالم الراشد

سكرتير التحرير
جمال الشرقاوي

المخرج الفني
محمد أبو زيد

الآراء المنشورة بـ«المجتمع» تعبر عن رأي أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات:

العنوان البريدي : الكويت ص.ب (٤٨٥٠)
الصفاة. الرمز البريدي (١٣٠٤٩)

بريد التحرير الإلكتروني:
mujtamaa@gmail.com
info@mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح:
www.eslah.com

هاتف التحرير: 22519539 - 22514180.
22513616 . 22528684 (داخلي 205).
فاكس المجلة : 22560524 - 22521826
الاشتراكات والتوزيع : 22560525 - 22560526
sales@mugtama.com

www.mugtama.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية

في هذا العدد

موضوع الغلاف

تغيُّر المناخ.. كارثة تهدد العالم

- السندات الحكومية سلاح ذو حدين..... 8
- منتدى كوالالمبور ناقش دور الديمقراطية في تحقيق الاستقرار 12
- «انتفاضة القدس» تتواصل رغم جرائم الاحتلال 28
- ليبيا.. بين عجز أبنائها وغدر أصدقائها 32
- اليمن: «الحوثي».. بين الحل السياسي والاستمرار في المواجهة العسكرية 36
- عودة الجدل حول لغة التدريس وتدريس اللغات في المغرب 40
- العراق: هل حقق العبادي التنمية المنشودة؟ 44
- استحقاقات مرحلة ما بعد الانتخابات في تركيا 51
- إسقاط الطائرة الروسية من قبل الأتراك.. رسائل وتداعيات 54
- بنجلاديش تعدم علي أحسن مجاهد زعيم الجماعة الإسلامية 56
- النظام العالمي الجديد.. ودين «أستانة» 62
- اكتشاف النص القرآني.. رد على شبهات قديمة جديدة 70

الاشتراكات:

الكويت ودول الخليج والدول العربية:
10 دنانير كويتية أو ما يعادلها..
باقي أنحاء العالم:
60 دولاراً أمريكياً
للمؤسسات والشركات:
30 ديناراً كويتياً..
باقي دول العالم:
75 دولاراً أمريكياً.
الإعلانات :
امتياز الإعلان : مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت : 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw
السعودية:
الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837
فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

آية العدد

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨) وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ (٥٩) وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ (٦٠) وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١)﴾

(سورة الأنفال)

ملفات خاصة عن

فكر وثقافة - المجتمع
والأسرة - تنمية أسرية

مقالات

القضية السورية.. ومسألة الهوية
د. عامر البوسلامة 35

خرق الناموس
د. سلمان العودة 59

تحرير مضامين المصطلحات
د. محمد عمارة 74

لا مجاملة حتى للأنبياء!
عماد الدين خليل 82

قطـر :
مكتبة الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحـرين :
مؤسسـة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت: 725111 / ف: 723763
المغـرب :
الشركة العربية الإفريقية للنشر والتوزيع: الـدار البيضـاء
ص.ب 13008 - الدار البيضاء الرئيسة
ت: 0021222249200 فاكس: 0021222249214
U.K : UNIVERSAL PRESS DISTRIBUTION
LTD. - 11 Power Road, London W4 5PY
Tel: 0181- 742 3344 Fax: 0181- 742 1280
TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
.Tel: (90 -1) 5120190 - Fax. (90- 1) 5140883

رأي المجتمع

صفقة صواريخ «إس ٣٠٠» الروسية لإيران.. وأمن الخليج!

يبدو أن تلاقي المصالح الجيوسياسية جعل التحالف الروسي - الإيراني ضرورة ملحة لمواجهة التحديات الناجمة عن كسر معادلة العالم الأحادي القطب في ظل تراجع الدور الأمريكي في المنطقة، وإيذاناً بمرحلة متصاعدة من اندفاع القوة الإيرانية في مقابل العجز العربي في ظل تغير خريطة التحالفات في الإقليم، حيث تم الاتفاق النهائي بين روسيا وإيران على إتمام صفقة منظومة صواريخ «إس ٣٠٠» الروسية للدفاع الجوي، والتي سبق وجمدتها موسكو تجاوباً من جانبها مع جولة العقوبات الرابعة التي تضمنها القرار الأممي ضد إيران.

وتشير المعلومات إلى أن الصفقة دخلت حيز التنفيذ؛ مما يؤثر على سياسة توازن القوى، حيث تسعى إيران وحلفاؤها لرسم معادلة جديدة من الهيمنة وتنامي النفوذ في الإقليم، وأن الصفقة محل الاتفاق تمنح إيران القدرة على تأمين الحماية الذاتية؛ إذ باستطاعتها اعتراض جميع أنواع الصواريخ ذات المدى المتوسط أياً كانت، وتستطيع ضرب الأهداف على مسافة ٤٠٠ كيلومتر؛ مما سيعزز دفاعاتها الجوية، وسيمنح إيران القدرة على اعتراض القذائف الانسيابية مثل «توماهوك»، والصواريخ الباليستية القصيرة والمتوسطة المدى مثل «سي إس إس ٢»، و«سي إس إس ٥» السعودية، وتزيد من حماية منشآتها الإستراتيجية ضد أي هجوم عسكري.

ورغم كون هذه المنظومة الصاروخية تصنف على أنها «دفاعية» بحتة، فإن الصفقة تكتسب أهميتها من التطورات والتغييرات التي يمكن أن تتمخض عن امتلاك طهران لها في موازين القوة بينها وبين دول الخليج، فضلاً عن تغير معادلة الردع الإستراتيجي الإيراني في مواجهة التهديدات التي تطلقها «إسرائيل» والولايات المتحدة لتوجيه ضربة إجهاضية لمنشآت إيران النووية.

وتجدر الإشارة إلى أن الصفقة تأتي في مناخ دولي معقد ومتشابك، لاسيما بعد التدخل الروسي العسكري في سورية، وتقاطع السياسات الأمريكية الروسية تجاه ملفات المنطقة، ويمكن القول: إن الحرص الروسي على توظيف المسألة الإيرانية في سياسات روسيا الخارجية قد بدا جلياً في موقف «الكرملين» من هذه الصفقة التي أبرمتها موسكو مع طهران في عام ٢٠٠٥م، ولم يتم تنفيذها رغم أن موعد تسليمها كان في مايو ٢٠٠٩م، ولا شك أن هذه الصفقة تشكل تهديداً مباشراً وواضحاً للأمن القومي الخليجي.

إضافة إلى ما سبق، ترمي موسكو إلى تحقيق تقدم في مفاوضات ضبط التسلح الإستراتيجي مع واشنطن بما يتماشى مع المصالح الروسية، لا سيما بعد عودة التوازن الإستراتيجي بينها وبين الولايات المتحدة.. وعلى الجانب الآخر، يبدو أن النظام الإيراني في إدارته للعلاقات مع موسكو يمضي قدماً في تبني إستراتيجية اللعب على التحولات الراهنة التي تشهد توترات متجددة في العلاقات بين روسيا والغرب، لا سيما بعد تدخلها العسكري في سورية.

وهو ما يستدعي من دول الخليج الخاسر الأكبر والمتضرر الأول من هذه الصفقة إعادة صيغ التحالفات مع حلفائها الدوليين، وعلى رأسهم أمريكا، بما يضمن تحقيق سياسة متوازنة في المنطقة؛ تكبح الاندفاع الإيراني، وتؤدي إلى أمن واستقرار المنطقة، وتصل إلى تسويات للملفات السياسية العالقة والمعقدة في الإقليم.■

الكويت: تخفيض سن الناخب يجعل شريحة الشباب أكثر مسؤولية

بعد أن أعلن نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية الكويتي الشيخ محمد الخالد عن وجود توجه لخفض سن الناخب من ٢١ إلى ١٨ عاماً، برزت بعض الآراء أغلبها يؤيد هذا التوجه ويسانده، خاصة أن الشاب في هذه السن يستطيع أن يفتح بيتاً ويستخرج رخصة قيادة، كما أن ذلك يأتي في ظل تطورات كبيرة على أكثر من مستوى حدثت في العقود السابقة جعلت الشباب قادرين على حسن الاختيار بفضل المستوى والتأهيل الدراسي، وسهولة توافر المعلومة، وتوافر شبكات التواصل الاجتماعي التي يتم من خلالها تبادل الأخبار والأحوال السياسية؛ وعليه فإن ثقافة الناخب تغيرت، وأصبح الشاب وهو في عمر الـ١٨ عاماً قادراً على التقييم ومعرفة الاتجاهات السياسية.

وقد أيد النائب حمود الحمدان تخفيض سن الناخب إلى ١٨ عاماً، مشيراً إلى أن الشاب في هذه السن يصبح قادراً على اختيار من يمثله، وكذلك زيادة الثقة في الشخصية الشابة، وعن المخاوف من هذا المقترح وما يؤول إليه من زيادة في المناطق الخارجية، قال الحمدان: إن المناطق الخارجية هي أساساً مناطق توسعية والزيادة فيها أمر طبيعي.

من جانبه، قال النائب د.عبدالله الطريجي أن تخفيض سن الناخب إلى ١٨ عاماً رغبة شعبية برلمانية منذ فترة طويلة، مؤكداً أنه من الداعمين لهذه الرغبة وللمشروع بقانون الذي تريد تقديمه الحكومة.

ومن جانبه قال الخبير الدستوري د. محمد الفيلي أن خفض سن الناخب موضوع طرح منذ المجلس التأسيسي، وهناك نقاشات حول ذلك الأمر، وكان هناك رأي يميل إلى التخفيض، ولكنه كان رأي الأقلية، أما الأغلبية فكانت مع أن يظل سن الناخب عند ٢١ عاماً، مضيفاً أنه بطرح هذا الموضوع اليوم سنجد مشاركة المواطنين في إبداء الرأي بطرق متعددة، منها وسائل التواصل الاجتماعي.

لافتاً إلى أن تلك الشريحة الأقل من ٢١ عاماً تشارك عملياً في كل

القضايا، وكانت الوقود الأهم في النزول إلى الشارع للتعبير عن آرائهم؛ وبالتالي فمن الأجدى أن تشارك مباشرة في صندوق الانتخاب بدلاً من أن تشارك بطريقة غير منضبطة في التعبير عن الرأي في وسائل التواصل الاجتماعي أو المشاركة في المسيرات أو الاجتماعات أو التجمعات، مؤكداً أن تعبير تلك الشريحة عن آرائها يجعل موقفها أكثر مسؤولية.

بدوره، قال المحامي محمد ذعار العتيبي: إن قانون الأحداث هو قانون جنائي لا يتعلق بتحديد سن الطفولة التي حددت بقانون حقوق الطفل المتفق عليه دولياً، موضحاً أن تداعيات هذا القانون يجعل من بلغ سن ١٨ عاماً يستطيع أن يتولى وظيفة من الوظائف، وباستطاعته قيادة السيارة واستخراج رخصة قيادة بحكم أنه قد بلغ السن القانونية.

وشدد العتيبي على أن من الأسباب التي تدفع لإقرار ذلك القانون التطرف والانضمام إلى التنظيمات الإرهابية في تلك السن الخطيرة، كما أن فئة الأحداث في تلك المرحلة مستهدفة من جانب تلك التنظيمات الإرهابية المختلفة.■

الجبير: الخيار العسكري في سورية لا يزال مطروحاً

أكد وزير الخارجية السعودي عادل الجبير أن الخيار العسكري في سورية لا يزال مطروحاً، مشدداً على الاستمرار في دعم المعارضة السورية.

وقال الجبير الخميس ٢٦ نوفمبر ٢٠١٥م في مؤتمر صحفي مشترك مع نظيره النمساوي «سباستيان كورتس» بالرياض: إن السعودية على اتصال بعدد من جماعات المعارضة السورية بخصوص عقد اجتماع محتمل في المملكة لتوحيد قوى المعارضة قبل المحادثات المقبلة في فيينا.

وذكرت «وكالة الأنباء السعودية» أن المباحثات بين الوزيرين تناولت الأمور الإقليمية التي تهم البلدين، سواء فيما يتعلق بالوضع في سورية واليمن والإرهاب، أو موضوع اللاجئين السوريين في أوروبا.

من جانبه، أشار «كورتس» إلى أهمية العمل المشترك، وبذل الجهود اللازمة لدحر الإرهاب وتجفيف منابعه، والتصدي للتهديدات التي تطلقها التنظيمات الإرهابية، مثل «داعش»، ولكل المسلحين الأجانب الذين يعودون إلى النمسا أو السعودية أو ألمانيا ويهددون تلك الدول بعد عودتهم، مستشهداً بالأحداث التي حدثت في فرنسا وأوروبا.■

السعودية تفرض رسوماً سنوية على الأراضي البيضاء

وافق مجلس الوزراء السعودي على فرض رسوم على الأراضي البيضاء في المملكة ونسبتها ٢,٥٪ من قيمة الأرض سنوياً؛ الأمر الذي من شأنه التشجيع على استثمار هذه الأراضي، ويرفد خزينة البلاد بمورد جديد بحسب ما يبينه خبراء اقتصاديون.

والأراضي البيضاء، بحسب بيان مجلس الوزراء، هي كل أرض فضاء مخصصة للاستخدام السكني أو السكني التجاري داخل حدود النطاق العمراني، مملوكة لشخص أو أكثر من ذوي الصفة الطبيعية أو الصفة الاعتبارية غير الحكومية.

وأوضح بيان مجلس الوزراء بحسب ما نقلته «وكالة الأنباء السعودية» أنه ستحدد اللائحة التنفيذية للنظام معايير تقدير قيمة الأرض، والبرنامج الزمني لتطبيق الرسم بشكل تدريجي، والضوابط اللازمة لضمان تطبيق الرسم بعدالة ومنع التهرب من دفعه، ويقضي النظام بإيداع مبالغ الرسوم والغرامات المستحصلة من مخالفي النظام في حساب خاص لدى مؤسسة النقد العربي السعودي يخصص للصرف على مشروعات الإسكان وإيصال المرافق العامة إليها وتوفير الخدمات العامة فيها.■

قطر تمنع المقاولين من السفر بعد أضرار الأمطار

أمر رئيس الوزراء القطري عبدالله بن ناصر بن خليفة آل ثاني ببدء تحقيق فيما تعرضت له البلاد – التي من المقرر أن تستضيف منافسات كأس العالم في كرة القدم في عام ٢٠٢٢م – بعد أن كشفت أمطار غزيرة ضعف البنية التحتية فيها، وقالت «وكالة الأنباء القطرية» الرسمية: إن التحقيق يشمل خمس شركات، وإن الجهات المسؤولة عن الإهمال أو التقصير ستحاسب.

وكانت قطر – الغنية بالبترول – قد تعرضت لكميات من الأمطار أكثر مما تشهده خلال عام كامل في عدة ساعات، وتسببت الفيضانات الناتجة عن الأمطار في انقطاع الكهرباء وإغلاق المدارس والطرق، كما تسببت في سيول وفيضانات ببعض المحافظات.

وتناقلت مواقع التواصل الاجتماعي أخباراً عن تضرر مطار الدوحة الدولي، وتحدثت عن تسرب المياه في بناية أنجزت العام الماضي بمبلغ ١٧ مليار دولار، وشهدت قطر تساقط أمطار غزيرة وصل ارتفاعها إلى ٦٦ مليمتراً، حسب هيئة الأرصاد الجوية، ولكن الرحلات الجوية تواصلت في مطار حمد الدولي على الرغم من سوء الأحوال الجوية.■

اقتصاديون لـ «المجتمع»:

السندات الحكومية.. سلاح ذو حدين

تحقيق: سامح أبوالحسن

السندات الحكومية هي سندات (صكوك دَيْن) تصدرها الحكومات ويطلق عليها في بعض الأحيان «السندات السيادية»، حيث يقوم المستثمر (الذي يشتري السندات) بإقراض مقدار معين من المال إلى الدولة، وفي مقابل ذلك تقدم تلك الدولة وعداً بسداد هذا المبلغ (القيمة الاسمية) في تاريخ معين، بالإضافة إلى مدفوعات فائدة دورية، وتكون السندات الحكومية مقومة عادة بالعملة الوطنية في هذا البلد.

وتعتبر السندات إحدى أهم وسائل التمويل المالي المتاحة للشركات والحكومات، التي عن طريقها تستطيع هذه الجهات الحصول على رأس المال اللازم للنمو والتطوير والمنافسة، فبالنسبة للحكومات فهي تلجأ إلى السندات لتغطية ما عليها من ديون قصيرة الأجل، أو لتنفيذ ما لديها من مشاريع تنموية.

ينظر إلى السندات الحكومية عادة باعتبارها سندات خالية من المخاطر، وذلك بسبب قدرة الحكومة على رفع الضرائب أو طبع عملات إضافية لسداد هذه السندات عند تاريخ الاستحقاق.

وأكد اقتصاديون لـ «المجتمع» أن إصدار السندات المالية يعتبر الخيار الأنسب للحكومة الكويتية لمواجهة العجز المالي للموازنة العامة، وتحريك النشاط الاقتصادي في البلاد، لكن في الوقت ذاته أوضحوا أن السندات المالية هي سلاح ذو حدين في وجه الحكومة، ففي حال استمرار انخفاض أسعار النفط على الحكومة إيجاد مصادر بديلة.

القوة الشرائية للدينار

وقالوا: إن الهدف أحياناً من هذه السندات سحب بعض العملة من الأسواق؛ لأنه في ظل وجود سيولة عالية في السوق ستؤدي حتماً إلى ارتفاع الأسعار؛ مما سيؤدي إلى التضخم؛ والذي بدوره سيؤثر على القوة الشرائية للدينار؛ مما سيهدد الاقتصاد الكويتي.

وبينوا دورها المهم في تحريك النشاط الاقتصادي ورفع الإنتاج، وبذلك تشكل عائداً يساهم في رفع الدخل، متوقعين أن يشهد إصدار السندات إقبالاً كبيراً من قبل المؤسسات والمصارف المحلية، نظراً للسيولة المتوافرة لدى تلك الجهات وعوائدها المتوقعة.

وقال أستاذ الاقتصاد في جامعة الكويت د. محمد العبد الجليل: إن السندات الحكومية مشكلة كبيرة، فما هي إلا وسيلة اقتراض حكومي من الشعب، ويجب على الحكومة أن تقوم بسداد هذا القرض في وقت ما، وفي ظل الانخفاض في أسعار النفط فمن غير المتوقع أن تستطيع الحكومة أن تقوم بالسداد، مشيراً إلى أن الأوضاع الاقتصادية النفطية في واقع الأمر لا تشجع على الاقتراض، فمن الواضح أن أسعار النفط ستظل على انخفاضها فترة زمنية، متسائلاً: كيف يمكن لحكومة عاجزة عن السداد أن تقترض؟ وكيف يمكن لمستثمر أن يُقرض الحكومة وهو يعرف أنها عاجزة عن السداد؟

يوسف المطيري:
الهدف من السندات الإبقاء على القوة الشرائية للدينار ومواجهة التضخم

وأضاف العبد الجليل أنه من المفترض أن يكون هناك ترتيب ائتماني للسندات عند طرحها، فالكويت كان وضعها الائتماني جيداً، ولكن هذا الأمر قبل انخفاض النفط، أما الآن فلم يتبين الوضع الائتماني لها بعد؛ لذا أعتقد أنه ستكون هناك إشكالية كبيرة في حال تطبيق السندات الحكومية.

فيما قال أستاذ الاقتصاد في كلية العلوم الإدارية بجامعة الكويت د. يوسف المطيري: إن قضية السندات الحكومية كانت موجودة في الكويت في السابق وليست مستحدثة، مشيراً إلى أن هناك العديد من الدول التي تقوم بإصدار السندات الحكومية لتمويل المشاريع التنموية للدولة، وكان الهدف منها المحافظة على إنجاز المشاريع في الوقت المحدد لها، بالإضافة إلى المحافظة على قيمة الدينار الكويتي.

سحب السيولة المالية

وأشار المطيري إلى أن الهدف أحياناً من هذه السندات سحب بعض العملة من الأسواق؛ لأنه في ظل وجود سيولة عالية في السوق ستؤدي حتماً إلى ارتفاع الأسعار؛ مما سيؤدي إلى التضخم؛ والذي بدوره سيؤثر على القوة الشرائية للدينار؛ مما سيهدد الاقتصاد الكويتي، مبيناً أن البنك المركزي حينما يصدر تلك السندات يكون الهدف منها سحب السيولة المالية من الأسواق من خلال تقديم فوائد أعلى من فوائد البنوك؛ وبالتالي يتم خفض المعروض من الدينار؛ مما يؤدي إلى ارتفاع القوة الشرائية للدينار الكويتي.

العبد الجليل:
كيف يمكن لمستثمر أن يُقرض الحكومة وهو يعرف أنها عاجزة عن السداد؟!

وأوضح المطيري أن هذه هي بعض سياسات البنك المركزي للمحافظة على سعر الدينار، مشيراً إلى أن طرح السندات لإقامة مشاريع الدولة في الوقت المحدد لها بدلاً من بيع الأصول خطوة جيدة بدلاً من تعطل المشاريع التنموية، أما في حالة استمرار انخفاض سعر البترول، فسوف تضطر الدولة إلى السحب من الاحتياطي العام للدولة، وهو جانب يحمل في طياته الطمأنينة والخطر في الوقت نفسه، فيحمل الطمأنينة لعدم بيع الأصول، ويحمل في طياته الخطر وذلك بسبب التكهن بارتفاع أسعار النفط.. إذاً فسياسة السندات الحكومية هدفها المحافظة على الاحتياطي العام للدولة والأصول الاستثمارية والمحافظة على سعر الدينار، أما في حالة انخفاض الأموال فسوف يتم السحب من الاحتياطي أو صندوق الأجيال.

البحث عن بدائل

وأكد المطيري أن هذا الأمر يعزز فكرة البحث عن بدائل جديدة لإيرادات الدولة، وهو ما طرحته الحكومة في القانون المعروض على مجلس الأمة، والذي يتمثل في زيادة الرسوم على الخدمات العامة للدولة والضرائب، بحيث توجد مصادر بديله تغطي انخفاض سعر البترول، وفي النهاية أستطيع أن أقول: إن السندات الحكومية سلاح ذو حدين.

فيما قال أستاذ الاقتصاد في جامعة الكويت د. محمد السقا: إن قرار الحكومة بإصدار سندات يشكل حجر أساس في سبيل تأسيس

سوق لإصدار السندات بالكويت، واصفاً القرار بالخطوة المهمة والضرورية للبلاد، مشيراً إلى أن من الشروط الأساسية لإصدار السندات توفير سوق ثانوية تسمح لحملة السندات بالتصرف فيها وبيعها لرفع درجة سيولة هذه السندات لمن يحتفظون بها، موضحاً أن تنشيط هذه السوق يفضل أن يتم عبر إصدار ما يشجع حملة السندات على تسييل جزء منها كحد أدنى سنوياً، لاسيما وأنها ستساهم بشكل كبير في تعميق سوق الدين بالكويت، وتنشيط قدرة البنك المركزي على التحكم بعرض النقد وتوفير أداة مهمة جداً هي السوق المفتوحة.

وبين السقا أن السوق المفتوحة تتمثل في بيع وشراء السندات للتحكم في الأساس النقدي، إضافة إلى أنها ستساعد على تكوين عائد للاقتصاد الكويتي، لاسيما وأن إصدار السندات سيستوعب جزءاً من السيولة الموجودة في البنوك، مشيراً إلى ضرورة المقارنة بين إصدار السندات والعائد الذي تحققه الحكومة على احتياطياتها الموجودة؛ ومن ثم اختيار أيهما أقل تكلفة، وضرورة النظر لاعتبارات التكلفة والعائد، مؤكداً أن المحور الأساسي لمواجهة الوضع الحالي ليس البحث عن كيفية تمويل العجز، وإنما البحث عن مسبباته والتعامل معها على النحو الذي يقلل من فرص العجز أو من حجمه، موضحاً أن حجم النفقات العامة مرتفع جداً في الكويت، ولابد من السيطرة عليه.

ولفت السقا إلى ضرورة تخفيض حجم الدعم الحكومي، وإعطاء القطاع الخاص دوراً

محمد السقا:
إصدار السندات حجر أساس تأسيس سوقها بالكويت

أكبر، من خلال تقديم فرص عمل جديدة للقوى العاملة الكويتية، مبيناً أنه كلما حررت الأسواق ورفعت الدعم؛ أدى ذلك إلى تقليل الأعباء الحكومية.

من جانبه، دعا أستاذ الاقتصاد ومشرف وحدة منظمة التجارة العالمية بجامعة الكويت د. أحمد نجار لمقارنة عوائد صندوق احتياطي الأجيال القادمة، مع إصدار سندات الخزانة العامة واختيار الأقل تكلفة، مبيناً أن السحب من احتياطي الأجيال القادمة يعني توظيفه وعدم

أحمد نجار:
إصدار السندات سيشهد إقبالاً كبيراً من قبل المؤسسات والمصارف المحلية

ادخاره وتسييله لتغطية العجز، مبيناً أن عملية إصدار السندات التي أفصحت عنها الحكومة أخيراً تعتبر في الأصل موارد تابعة لجهات حكومية تمتلك سيولة، وتكون تكلفتها قليلة على الدولة، وتوفر عائداً مضموناً، ومخاطره أقل مقارنة مع مصادر التمويل الأخرى.

تغطية العجز

وذكر نجار أن الحكومة تستطيع طرح السندات عبر اللجوء إلى المؤسسات العامة، ومنها المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية، ومؤسسة البترول الكويتية، والهيئة العامة للاستثمار، والهيئة العامة لشؤون القصر، إضافة إلى المصارف المحلية والأفراد المستقلين الذين لديهم سيولة مالية، مؤكداً أهمية تسريع التوجه نحو الخصخصة وفقاً لبرنامج الهيئة العامة للاستثمار المعني بهذا المجال الذي أوصت به تقارير صندوق النقد الدولي؛ بهدف تغطية العجز خلال السنة المالية الحالية.

وبيَّن أن من إيجابيات التوجه نحو إصدار السندات تسديد العجز والخروج من أزمة مرحلية مؤقتة، إلا أن ذلك لا يعني معالجة الأزمة نهائياً، مؤكداً دورها المهم في تحريك النشاط الاقتصادي ورفع الإنتاج، وبذلك تشكل عائداً يساهم في رفع الدخل، متوقعاً أن يشهد إصدار السندات إقبالاً كبيراً من قبل المؤسسات والمصارف المحلية، نظراً للسيولة المتوافرة لدى تلك الجهات وعوائدها المتوقعة، مشيراً إلى أن

هذا الخيار يعد الأنسب لمواجهة العجز الحالي وبشكل مؤقت، وهو توجه معمول به في العديد من الحكومات لاسيما في الدول المتطورة اقتصادياً.

ولفت نجار إلى أهمية إصدار سندات اسمية، ويجب أن تبقى اسمية لحاملها دون تداولها لضمان عدم المضاربة واستغلال السندات في الأغراض الإنتاجية، وأنه لابد من طرح السندات محلياً بتدوير المبالغ بين البنوك والهيئات الحكومية والأفراد؛ الأمر الذي يعود بالفائدة على اقتصاد البلاد.

وأعلن نائب رئيس مجلس الوزراء وزير المالية أنس الصالح عن طرح السندات الحكومية قبل نهاية العام الحالي بشكل جزئي وبالدينار الكويتي كمرحلة أولى، متوقعاً أن تتم بشكل كامل قبل نهاية عام ٢٠١٦م، وذلك وفق الإجراءات التي سيقوم بها البنك المركزي ووفق الآليات المتاحة، وسجلت ميزانية الكويت للسنة المالية (٢٠١٤/٢٠١٥م) عجزاً فعلياً قدره ٢,٧٢١ مليار دينار (٩ مليارات دولار) للمرة الأولى منذ ١٦ عاماً، ويعود هذا التراجع بصورة أساسية إلى انخفاض الإيرادات النفطية بنسبة ٢٣,٢٪.

السحب من الاحتياطي العام

فيما أكد مصدر نيابي أن أي خطوة لسد عجز موازنة السنة المالية الحالية لا يمكن أن يتم إلا عن طريق السحب من الاحتياطي العام، وفي حال الرغبة بسده من قنوات أخرى غير الاحتياطي العام للدولة، فإن الأمر يتطلب إجراءً تشريعياً بالتعديل على موازنة السنة الحالية يعرض على مجلس الأمة، موضحاً أنه برغم الحديث الحكومي عن عجز الموازنة وآلية معالجة هذا العجز حتى الآن، لم يتم الكشف عن الأسباب التي أدت إلى اختيار أي من الآليات المطروحة للمعالجة، وهي أسباب يجب أن تكون مقنعة ومدعمة بدراسات حكومية تؤكد جدواها الاقتصادية. وأشار المصدر إلى أن اللجنة المالية والاقتصادية البرلمانية هي الجهة المنوط بها بحث الخيارات الحكومية لسد عجز الموازنة، وعلى الحكومة – بالتالي – أن تعرض أمامها أسباب اختيارها للسندات المالية للمعالجة، وإثبات ما إذا كانت كلفتها أقل من الخيارات الأخرى من خلال دراسة متخصصة، لافتاً إلى أنه في أي حال لابد أن تتم المعالجة عن طريق القنوات الأقل كلفة على المال العام، سواء كانت سندات أو سحباً من الاحتياطي أو الاقتراض لسد عجز الموازنة المقبلة. ويشكل هذا الموقف أول بادرة لخلاف حكومي – نيابي محتمل حول طرح السندات، خصوصاً بعد أن أعلن نائب رئيس مجلس الوزراء وزير المالية أنس الصالح مراراً اعتزام الحكومة طرح سندات لتغطية عجز الموازنة قبل نهاية العام الحالي.

وتدور نقطة الخلاف الأخرى حول ما إذا كانت الحكومة تحتاج إلى تشريع لإصدار سندات أو صكوك، ففي حين أن استدانة حكومية تحتاج إلى قانون يجيزها، تقول مصادر حكوميّة: إن السندات المزمع إصدارها تبقى ضمن إطار الحدود التي تسمح بها قوانين قديمة تعود إلى فترات العجز السابقة، وسبق للصالح أن صرّح بأن إصدار السندات أو الصكوك لا يحتاج إلى أي تشريع جديد.

يشار إلى أن قيمة السندات الحكومية التي تحملها البنوك حالياً تبلغ ١,٥٩ مليار دينار، بعد أن انخفضت بشكل ملحوظ في سنوات الفوائض.■

جاد الحق: أذون الخزانة وسندات التنمية التي تصدرها الدولة بمعدل ثابت.. حرام

فتوى فضيلة شيخ الأزهر جاد الحق علي جاد الحق يرحمه الله في ١٩٧٩/٣/١٤م، وفيها: إن أذون الخزانة وسندات التنمية التي تصدرها الدولة بمعدل ثابت من باب القرض بفائدة، وقد حرمت الشريعة القروض ذات الفائدة المحددة أياً كان المقرض أو المقترض، وإنها من باب الربا المحرم شرعاً بالكتاب والسُّنة والإجماع.

حكم شهادات الاستثمار:

أما عن حكم شهادات الاستثمار، فلشيخ الأزهر الأسبق فضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق يرحمه الله، فتاوى مشهورة عن شهادات الاستثمار، جاء في إحداها: إن الإسلام حرم الربا بنوعيه – ربا الزيادة، وربا النسيئة – وهذا التحريم ثابت قطعاً بنص القرآن الكريم والسُّنة النبوية الشريفة، وبإجماع أئمة المسلمين منذ صدر الإسلام حتى الآن، ولما كان الوصف القانوني الصحيح لشهادات الاستثمار أنها قرض بفائدة، وكانت النصوص الشرعية في القرآن والسُّنة تقضي بأن الفائدة المحددة مقدماً من باب ربا الزيادة المحرم، فإن فوائد تلك الشهادات وكذلك فوائد التوفير أو الإيداع بفائدة تدخل في نطاق ربا الزيادة، لا يحل للمسلم الانتفاع به، أما القول: إن هذه الفائدة تعتبر مكافأة من ولي الأمر، فإن هذا النظر غير وارد بالنسبة للشهادات ذات العائد المحدد مقدماً، لاسيما وقد وصف بأنه فائدة بواقع كذا في المائة، وقد يجري هذا النظر في الشهادات ذات الجوائز دون الفوائد، وتدخل في نطاق الوعد بجائزة الذي أجازه بعض الفقهاء. اهـ.■

رعاه رئيس الوزراء الأسبق مهاتير محمد وبمشاركة مفكرين إسلاميين..

منتدى «كوالالمبور»: الحرية والديمقراطية أولوية المرحلة والطريق نحو الاستقرار والتنمية

خاص بـ«المجتمع»

أكد مفكرون إسلاميون ضرورة سير الأنظمة الحاكمة على نهج الديمقراطية وتوفير الحريات لشعوبها، مشيرين إلى أن رفضها لمطالب الشعوب بالإصلاح والتغيير هو مضيعة للفرص.

وأوضح المفكرون خلال منتدى كوالالمبور للفكر والحضارة الذي نظمته ماليزيا على مدار ثلاثة أيام من ٢٧ - ٢٩ نوفمبر الماضي تحت عنوان «دور الحرية والديمقراطية في تحقيق الاستقرار والأمن في العالم العربي والإسلامي»، برعاية رئيس وزراء ماليزيا الأسبق مهاتير محمد، وبمشاركة رئيس تحرير «المجتمع» محمد سالم الراشد؛ أن تحقيق الحرية والديمقراطية واعتماد نظام الحكم الرشيد أولوية المرحلة، وطريق العبور الحتمي والوحيد نحو الاستقرار والتنمية.

رئيس التحرير الثاني من اليمين في صورة جماعية مع مهاتير محمد

ورأى المفكرون أن تحقيق هذه الغاية يتطلب تضحيات جساماً من الجميع بغرض تقليل الأخطار وتقليص زمن التحول الديمقراطي وتخفيف أعبائه.

وأكدوا أهمية تأصيل مفاهيم الحرية والديمقراطية والتنمية في المنظومة الإسلامية ونشر ثقافتها في المجتمع من خلال كل الوسائل والوسائط التعليمية والتربوية والإعلامية والثقافية والفقهية، إذ ستظل الفائدة من الحرية منقوصة في أي مجتمع لا يدرك قيمتها، كما ستظل ثمار الديمقراطية مجتزأة في أي مجتمع لا يمارسها الناس في البيت والأسرة والشركة والمنظمة والحزب.

رؤية المنتدى

واعتبروا الانسجام وتماسك المجتمعات الإسلامية أمراً ضرورياً لبناء أنظمة سياسية حرة وديمقراطية، والسبيل الأفضل لصد وحجب مشاريع التدخل الخارجي الجاهزة لإعاقة المسيرة نحو النهوض.

كما اعتبروا التنوع العرقي والمذهبي والثقافي والفكري واحترام الخصوصيات، المؤسسة على المساواة في المواطنة والعدالة في الفرص والتكامل، أمراً ملحاً لوقف استنزاف طاقات الأمة وتهيئة الأرضية الضرورية للإقلاع نحو المستقبل الواعد المضيء.

وأكدوا ضرورة إعطاء الأولوية للمشتركات الوطنية مع القوى الأساسية في الأمة لتأسيس دولة القانون، والامتناع عن الانجرار إلى المعارك الجانبية التي تخدم الاستبداد، ومحاولة إقناع الأنظمة القائمة بأن التحول الديمقراطي يخدم الاستقرار والأمن والتنمية.

وشددوا على ضرورة إشراك كل قوى الأمة في مشروع النهضة من علماء ومفكرين

> مهاتير: على الشعوب أن تكون صاحبة الكلمة الأولى في بلدانها وأن تسعى الدول الإسلامية لامتلاك القوة التي تردع المتربصين بها

مهاتير محمد وبجواره الشيخ ولد الددو ود. المقري

مهاتير محمد يكرم د. عبدالرزاق المقري

وقانونيين ومشرعين وساسة، وقادة يحققون الأفكار على أرض الواقع وينجزون المشاريع في حياة الناس العملية.

ووضعوا رؤية عامة؛ لرسم معالم التخلص من حالة الاستبداد في العالم العربي والإسلامي، والسعي لبناء حكم راشد يضمن الحريات والديمقراطية ويحقق الاستقرار والتنمية.

وبحث المنتدى دور الديمقراطية والحريات في تحقيق الاستقرار والتنمية، ودور الثورات الشعبية في التجربة البشرية، وما يواجهها من ثورات مضادة، إضافة إلى دراسة التجارب الديمقراطية الإسلامية في كل من تركيا وماليزيا، وأنماط الانتقال الديمقراطي الناجح ومعايير ومخرجات الحكم الراشد.

وأعلن المنتدى عن إطلاق شبكة دولية للباحثين في الفكر الإسلامي تعنى بتشجيع الإبداع الفكري الفردي والاجتهاد الجماعي فيما يخدم احتياجات الأمة في مجال العلم والفكر وفق مسارات بحثية يحددها علماء ومفكرو المنتدى.

سلطة الشعوب سبيل التحرر

وفي كلمة ألقاها رئيس المنتدى د. مهاتير محمد، أشار فيها إلى ما تعانيه الأمة من حالة ظلم واضطهاد من قبل القادة المستبدين في العديد من الدول العربية والإسلامية، مؤكداً أن الشعوب يجب أن تكون صاحبة الكلمة الأولى في بلدانها، وأن تسعى الدول الإسلامية لامتلاك القوة التي تردع المتربصين بها، ووضع إستراتيجيات واضحة لمواجهتهم.

وأكد مهاتير أن السلطة المطلقة تقود إلى الفساد، مشيراً إلى ضرورة فهم أساليب الديمقراطية ومنها احترام الجميع لنتائج الانتخابات، مع التزام القادة بالاستقالة في حال عدم حصولهم على ثقة الشعب الذي يملك حق إسقاط هؤلاء القادة عبر الشارع.

ولفت مهاتير إلى حالة العداء التي تواجهها الأمة الإسلامية والمساعي لتفتيتها والهيمنة والعدوان عليها بمساعدة أطراف داخلية، بحيث استمرت حالة الضعف والهيمنة على الدول الإسلامية رغم انتهاء حالة الاحتلال، وما تمتلكه الدول الإسلامية من عوامل القوة لا سيما اقتصادياً.

> السلطة المطلقة تقود إلى الفساد وعلى الجميع احترام نتائج الانتخابات

> المقري: المنتدى يسعى لإعداد رؤية واضحة لبناء حكم راشد يضمن الحريات والديمقراطية ويحقق الاستقرار والتنمية ويحرر الشعوب من الاستبداد

> الواقع الذي صاغه أعداء الأمة هو إما الاستسلام والخضوع والتبعية مطلقاً أو الفوضى والدمار والتشريد

من جانبه، أكد الأمين العام للمنتدى د. عبدالرزاق المقري أن تجارب العالم أثبتت بوضوح أن الحرية والديمقراطية وفرت أجواء الاستقرار والسعي لتحقيق التنمية والازدهار، مشيراً إلى سعي القوى الدولية لمحاربة أي نموذج ناجح في الدول الإسلامية مع العمل على دعم أنظمة الاستبداد وتعزيز الصراعات الداخلية، مع دعم الثورات المضادة لتحركات الشعوب وانتفاضتها ضد الظلم والاستبداد.

وأضاف المقري أن عنوان هذا الواقع الذي صاغه أعداء الأمة هو إما الاستسلام والخضوع والتبعية مطلقاً أو الفوضى والدمار والدماء والتشريد، بعد أن لاحظوا تراجع جماعات التطرف والعنف داخل الأمة عندما تحررت الشعوب العربية من الدكتاتوريات وأنظمة الفساد بانتفاضات سلمية بلا عنف أو سلاح.

وحول أهداف المنتدى، أكد المقري سعي المنتدى لإعداد رؤية واضحة للحكم الرشيد، وإعداد شبكة باحثين في الفكر الإسلامي؛ بهدف تمكين المفكرين والعلماء من تجديد الفكر الإسلامي بما يتناسب مع متطلبات المرحلة.

وكان منتدى كوالالمبور الفكري قد أُشهر العام الماضي؛ بهدف تعزيز هوية الأمة الفكرية ومرجعيتها الإسلامية والحضارية، وإعادة إنتاج الخطاب الإسلامي والرؤية الإسلامية فيما يتعلق بقضايا الحكم الرشيد والديمقراطية ورفض الاستبداد وتحرير المفاهيم والمصطلحات بما يحقق القيم العليا في العدل والحرية والشورى والديمقراطية وحق الحياة.■

تغيُّر المناخ كارثة تهدد العالم..
أرقام وأقوال

إعداد: أحمد الشلقامي

المفهوم:

التغير المناخي هو اختلال في الظروف المناخية المعتادة كالحرارة وأنماط الرياح والمتساقطات التي تميز كل منطقة على الأرض.. عندما نتحدث عن تغير المناخ على صعيد الكرة الأرضية نعني تغيرات في مناخ الأرض بصورة عامة، وتؤدي وتيرة وحجم التغيرات المناخية الشاملة على المدى الطويل إلى تأثيرات هائلة على الأنظمة الحيوية الطبيعية.

51 ألف شخص يموتون سنوياً.

2% من الأنواع الحية البرية ستنقرض بحلول عام ٢٠٥٠م.

1.2 نسبة ارتفاع حرارة كوكب الأرض مقارنة بمستويات ما قبل الثورة الصناعية.

في غضون أقل من ٥٠ عاماً هناك ٨ مليارات شخص سيعانون من نقص في مياه الشرب.

تراجع المحصول الزراعي وتقلص المخزون الغذائي.

علماء دقوا ناقوس الخطر:

«جولي هيريغوين»
الرئيس التنفيذي لمجلس المباني الخضراء في بريطانيا:
يجب على الحكومة أن تتبع نصيحة اللجنة، وتتفق على خطة عمل بشأن كفاءة الطاقة لتساعد المنازل في الحصول على الطاقة الرخيصة وتحميها من آثار تغير المناخ.

البروفيسور «جون جيه وينز» من جامعة أريزونا:
إن معدلات خطورة اندثار الكائنات على مستوى العالم جراء التغير المناخي ربما تكون أكثر من ٦١٪؛ إذ إن معظم الدراسات التي جرى تحليلها كانت من أوروبا وأمريكا الشمالية حيث تقل أخطار الانقراض.

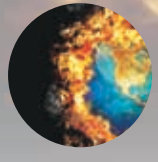

44 ألف حالة وفاة في أوروبا الغربية نتيجة ارتفاع درجات الحرارة بشكل قياسي خلال صيف عام ٢٠٠٣م.

600 ألف شخص ماتوا بسبب الكوارث الطبيعية المرتبطة بالمناخ في التسعينيات من القرن الماضي.

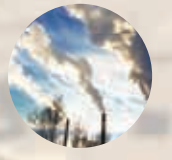

30% نسبة ارتفاع تركيز ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي مقارنة بفترة ما قبل الثورة الصناعية.

ارتفاع مستوى البحار من ١,٠ إلى ٥,٠ متر مع حلول منتصف القرن.

تراجع خصوبة التربة وتفاقم التعرية.

الباحث «مارك إيربان» من جامعة كونيتيكت الأمريكية:

حلل بيانات من ١٣١ دراسة عملية تتعلق بخطورة الانقراض جراء التغير المناخي، وتوصل إلى أن معدل فقدان التنوع البيولوجي على الأرجح سيتزايد مع ارتفاع كل درجة حرارة مئوية، وفي حال ارتفاع درجات الحرارة مستقبلاً بواقع درجتين مقارنة بمستويات ما قبل الثورة الصناعية، فإن أخطار الانقراض العالمي ستتزايد من ٨,٢٪ حالياً إلى ٢,٥٪.

العالم الجيولوجي المصري خالد عودة:

في دراسة له أظهرت أن العالم سيشهد تغيرات مناخية ستهز العالم على الصعيدين الاقتصادي والسياسي؛ حيث ستؤدي ظاهرة الاحتباس الحراري إلى اختلال بيني كبير، فالمدن الساحلية والدول الساحلية ذات الأراضي المنخفضة عن سطح البحر، وأراضي الدلتا وكثير من الجزر بالمحيط الهادئ والأطلسي والهندي سوف تتعرض لغرق مساحات شاسعة مع ارتفاع مستويات البحار، أما المناطق القريبة من خط الاستواء فقد تصبح صحارى يستحيل الحياة فيها.

تغيُّر المناخ
رؤية كونية - شرعية

لندن: د. أحمد عيسى

تغيُّر المناخ مشكلة حقيقية تحدث الآن وتتفاقم باطراد، ويعاني العالم في السنوات الأخيرة من الأخطار الجسيمة لتغير المناخ؛ حيث يسود طقس شديد التطرف؛ كموجات الحرارة والجفاف، وكشدة العواصف والأمطار والفيضانات، وبدأ الجليد يتساقط على شعوب لم تره من قبل، ومات الآلاف من ارتفاع الحرارة والسيول والأوبئة بشكل غير مسبوق، وهطلت أمطار الأعوام في ساعة واحدة، ومن قبل بدأ ذوبان الأنهار الجليدية واختفاء الجليد القطبي، وموت الشعب المرجانية، وارتفاع مستويات البحر، واختلال الأنظمة البيئية وأمواج الحرارة المميتة.

تواترت الأبحاث العلمية على أن الإنسان هو السبب الرئيس لتغيُّر المناخ وما يتبعه من فساد، وصدق الله حيث قال: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١)﴾ (الروم)، يقول ابن عاشور: وفساد البر يكون بفقدان منافعه وحدوث مضاره، مثل حبس الأقوات من الزرع والثمار والكلأ، وفي موت الحيوان المنتفع به، وفي انتقال الوحوش التي تصاد من جراء قحط الأرض إلى أراضين أخرى، وفي حدوث الجوائح من جراد وحشرات وأمراض، وفساد البحر كذلك يظهر في تعطيل منافعه من قلة الحيتان واللؤلؤ والمرجان وكثرة الزوابع الحائلة عن الأسفار في البحر، ونضوب مياه الأنهار وانحباس فيضانها الذي به يستقي الناس.

وقد نهى الله تعالى عن الإفساد في الأرض: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الأعراف:٥٦)، قال القرطبي: إنه سبحانه نهى عن كل فساد قلَّ أو كثر بعد صلاح قلَّ أو كثر، فهو على العموم على الصحيح من الأقوال، وقال الضحاك: معناه لا تعوروا الماء المعين، ولا تقطعوا الشجر المثمر ضراراً، وقد ورد: قطع الدنانير (إفساد المال) من الفساد في الأرض، وقد قيل: تجارة الحكام من الفساد في الأرض، وقال القشيري: المراد ولا تشركوا؛ فهو نهي عن الشرك وسفك الدماء والهرج في الأرض، وأمر بلزوم الشرائع بعد أن أصلحها الله ببعثه الرسل، وتقرير الشرائع ووضوح ملة النبي محمد ﷺ.

ما التغير المناخي؟

التغير المناخي هو اختلال في الظروف المناخية المعتادة؛ كالحرارة وأنماط الرياح والمتساقطات التي تميز كل منطقة على الأرض، عندما نتحدث عن تغير المناخ على صعيد الكرة الأرضية نعني تغيرات في مناخ الأرض بصورة عامة، وتؤدي وتيرة وحجم التغيرات المناخية الشاملة على المدى الطويل إلى تأثيرات هائلة على الأنظمة الحيوية الطبيعية، لقد أدى التوجه نحو تطوير الصناعة في الأعوام الـ١٥٠ الماضية إلى استخراج وحرق مليارات الأطنان من الوقود الأحفوري (النفط، الغاز، الفحم) لتوليد الطاقة، هذه الموارد أطلقت غازات تحبس الحرارة كثاني أكسيد الكربون، وهي من أهم أسباب تغير المناخ، إضافة إلى إزالة

الغابات بشكل واسع، وكذلك غاز الميثان المنبعث من مزارع الأرز وتربية البقر ومطامر النفايات وأشغال المناجم وأنابيب الغاز، وغازات CFCS المسؤولة عن تآكل طبقة الأوزون، والأكسيد النيتري (الأسمدة والكيميائيات) تساهم في هذه المشكلة، وتمكنت هذه الغازات من رفع حرارة الكوكب إلى ١,٢ درجة مئوية مقارنة بما قبل الثورة الصناعية، وإن أردنا تجنب العواقب الأسوأ ينبغي أن نلجم ارتفاع الحرارة الشامل ليبقى دون درجتين مئويتين.

لم تواجه البشرية سابقاً أزمة بيئية هائلة كهذه، ومن السخرية أن الدول النامية التي تقع عليها مسؤولية أقل عن تغير المناخ هي التي ستعاني من أسوأ عواقبه، سيقع التأثير الكبير على كاهل الدول الأفقر الأقل قدرة على حماية نفسها من ارتفاع مستويات البحر وانتشار الأوبئة وتدهور الإنتاج الزراعي، كما هي الحال في البلدان الفقيرة في أفريقيا وآسيا والمحيط الهادئ.

الحل لوقف تغيُّر المناخ

تقول منظمة Green Peace: نحن البشر مَنْ تسبب في هذه الظاهرة، ولا أحد غيرنا يستطيع إيقافها، وينبغي أن نقلص اعتمادنا على النفط كمصدر أساسي للطاقة، والحلول البديلة موجودة: الطاقة المتجددة «المسالمة»، وترشيد استخدام الطاقة، ومع توخي ترشيد استعمال الطاقة، واستخدام موارد الطاقة المتجددة؛ كالشمس والهواء والأمواج والكتلة الحيوية لتوليد الطاقة التي نحتاجها وبالكميات التي نرغبها فهي مصادر فاعلة وموثوقة وتحترم البيئة، ولن يتطلب تطبيق هذه الحلول أي تنازل من المواطنين عن أنماط حياتهم، بل سيخولهم الدخول إلى عصر جديد من الطاقة يأتي عليهم بالازدهار الاقتصادي وفرص العمل والتطور التكنولوجي والحماية البيئية.

رؤية الإسلام

الظواهر الطبيعية أمر كوني من الله رب العالمين الذي «لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون»، وقد يكون بسبب فساد من الناس أو عقوبة لبغيهم، أو لأمر ستظهر عواقبه فيما بعد لحكمة يعلمها الله تعالى، وفيه ابتلاء شرعي وواجب ديني، يا ليتنا ننبه أنفسنا والعالم برؤية وتعاليم الإسلام التي تؤكد أن كل شيء على الأرض موزون؛ ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (١٩)﴾ (الحجر)، ونهى الإسلام عن الإسراف بكل أشكاله السلبية في كل الموارد الطبيعية؛ ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١)﴾ (الأنعام)، إن الحفاظ على البيئة واجب ديني على كل فرد كما أنه واجب اجتماعي، وللدولة الحق في إجراء جميع ما تراه مناسباً لمنع الضرر أو تقليله قبل حدوثه مع قاعدة سدّ الذرائع المؤدية إلى الفساد.

واهتم الإسلام بالزراعة التي تحمي بيئة الأرض، وجعل الاهتمام بها عبادة، فقال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً؛ فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة، إلا كان له به صدقة» (رواه البخاري)، وهناك الكثير من المبادئ والأسس في الإسلام التي تحمي البيئة الإنسانية، وتمنع أخطر تدهور للبيئة؛ ألا وهو تدهور الأخلاق، وانحطاط القيم، فإذا انعدمت الأخلاق كان الفساد والأنانية، ولهذا فقد أمر بالعدل والحرية والمساواة والصدق والأمانة، وحارب الظلم وكل أشكال الاستغلال والنفاق والغش والكذب والفساد، وهذا ما تعاني منه البيئة الإنسانية الحالية على مستوى الأفراد والشعوب، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥)﴾ (البقرة)، وفي مجال حماية البيئة الاجتماعية والصحية؛ نظافةُ الطريق وحمايةُ الناس من أي أذى معنوي أو جسدي، يقول النبي ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» (رواه مسلم)؛ أي عن طريق الحياة والناس، كما منع الإسلام تلويث الماء الراكد أو الجاري حتى من قبل الأفراد، كما أمر الإسلام بالحفاظ على الصحة العامة، وحَرَّمَ كُلّ ما يؤذي صحة الفرد؛ العقلية والجسمية والنفسية، فحرّم الخمر والمخدرات، وكُلّ الخبائث، ودعا إلى أكل الطيبات من الرزق، والاهتمام بالنظافة الجسدية، والعنصر الجمالي، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١)﴾ (الأعراف).

والإسلام يحقق مبدأ الرقابة التي تسعى إليها التربية البيئية العالمية، فإنه إن لم تتوقف الدول الكبرى عن تلويث الأرض هلكت وهلك غيرهم من الساكتين، يقول رسول الله ﷺ: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها؛ كمثل قوم استَهَموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على مَنْ فَوْقَهُم، فقالوا: لو

القرطبي:

إن الله تعالى نهى عن كل فساد بعد صلاح قلَّ أو كثر

الضحاك:

لا تعوروا الماء المَعِين ولا تقطعوا الشجر المثمر ضراراً

انتهت الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ، التابعة للأمم المتحدة، من إعداد تقرير التقييم الخامس AR٥ في نوفمبر ٢٠١٤م، بمشاركة أكثر من ٨٣٠ من العلماء من أكثر من ٨٠ بلداً، وقيَّم التقرير أكثر من ٣٠ ألف ورقة علمية.

ومن الاستنتاجات الرئيسة في التقرير أن تأثير الإنسان على نظام المناخ واضح؛ كلما أحدثنا اضطراباً في مناخنا؛ خاطرنا بحدوث آثار شديدة وواسعة الانتشار لا رجعة فيها.

وقال التقرير: إننا نمتلك الوسائل التي يمكننا بها الحد من تغير المناخ وبناء مستقبل مستدام وأكثر ازدهاراً.■

التوجُّه نحو تطوير الصناعة في الأعوام الـ ١٥٠ الماضية أدى إلى استخراج وحرق مليارات الأطنان من الوقود الأحفوري والذي ساهم في إطلاق ثاني أكسيد الكربون أحد أهم أسباب تغير المناخ

السلام الأخضر:
نحن البشر مَنْ تسبب في هذه الظاهرة ولا أحد غيرنا يستطيع إيقافها وينبغي أن نقلص اعتمادنا على النفط كمصدر أساسي للطاقة

أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً» (رواه البخاري).

الإعلان الإسلامي عن التغير المناخي

وتقوم المؤسسة الإسلامية للطبيعة وعلوم البيئة من بريطانيا بنشر الوعي بالقضية من منظور إسلامي، وقد أصدرت في أغسطس ٢٠١٥م بياناً (بالإنجليزية) سمي بالإعلان الإسلامي في التغير العالمي للمناخ، جاء فيه: نؤكد أن مسؤوليتنا كمسلمين أن نتصرف وفقاً لأسوتنا النبي محمد ﷺ الذي أعلن وحمى حقوق جميع الكائنات الحية، وحرم وأد البنات، وحرم قتل كل ذي روح بغرض اللهو أو الرياضة، وأرشد أصحابه إلى الحفاظ على المياه حتى في الوضوء للصلاة، ونهى عن قطع الأشجار في الصحراء، وأمر رجلاً قد أخذ فراخاً من عشها أن يعيدها لأمها، ونهى عن حرق النمل بالنار، وأنشأ مناطق مصونة (الحرم) حول مكة المكرمة والمدينة المنورة، داخلها لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، وأنشأ المناطق المحمية (الحمى) للحفاظ والاستخدام المستدام للمراعي، والحياة البرية، عاش حياة مقتصد، خالية من الإسراف، والإضاعة، والتفاخر؛ كان يجدد ويعيد تدوير ممتلكاته البسيطة بإصلاحها أو بذلها؛ كان يأكل الطعام البسيط والصحي، لم يشمل اللحوم إلا في بعض الأحيان؛ وكان كما ذكر القرآن الكريم «رحمة للعالمين».

ميزان العدل

وللمؤسسة كتيب استخدمت فيه آيات كريمات مثل: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦)﴾ (الإسراء)، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٦٠)﴾ (البقرة)، والأحاديث الشريفة: «.. وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة» (أخرجه الترمذي)، «لا ضرر ولا ضرار» (أخرجه ابن ماجه)، وأوضح عناية الإسلام بتعليم المسلمين احترام الخلق وإبقاء ميزان العدل والاتزان فيه، وأن كل من في الأرض عليهم واجبات، فما بالك بالمسلمين وهم ربع العالم، ومن أكثر منتجي البترول، وأدرج حلولاً عملية على المستوى الدولي، منها رفع أسعار البترول ليقل الاستهلاك ويزيد الدخل ويبقى المخزون، وعلى المستوى الأسري لتقليل الإسراف في الطاقة مثل تغيير مصابيح الإضاءة، وإغلاق الأجهزة بعد استخدامها، والتبرع بالقديم منها، واستخدام الماء باعتدال، والتنشيف الطبيعي للملابس، وعدم الإسراف في شراء الطعام، واستخدام الأشياء مرة أخرى وإعادة تصنيعها، والمشي للمسافات القصيرة أو استخدام الدراجة، وشراء السيارات الصغيرة أو النظيفة من حيث الطاقة، وعدم السفر بالطائرة إلا للضرورة.

رحمة الله للمحسنين

لم يحدث من قبل أن أُجبرت الإنسانية على مجابهة هذه الأزمة البيئيّة الهائلة، وإذا لم نتّخذ إجراءات فوريّة وعاجلة لوقف الاحترار العالمي، فإن الضرر قد يصبح ضرراً لا رجعة فيه، والكرة الآن في ملعب الحكومات والأفراد كي يرجعوا إلى الله تعالى.

يقول ابن كثير في آية «الأعراف» رقم (٥٦): ينهى تعالى عن الإفساد في الأرض، وما أضره بعد الإصلاح! فإنه إذا كانت الأمور ماشية على السداد، ثم وقع الإفساد بعد ذلك كان أضر ما يكون على العباد، فنهى تعالى عن ذلك وأمر بعبادته والتضرع إليه والتذلل لديه، فقال: «وادعوه خوفاً وطمعاً»؛ أي خوفاً مما عنده من وبيل العقاب، وطمعاً فيما عنده من جزيل الثواب، ثم قال: «إن رحمة اللّه قريب من المحسنين»؛ أي إن رحمته مرصودة للمحسنين الذين يتبعون أوامره ويتركون زواجره.■

المصادر

1- Climate Change 2007: The Physical Science Basis
International Panel on Climate Change
www.ipcc.ch
2-State of world population 2009
http://www.unfpa.org/swp/2009/en/pdf/EN_SOWP09.pdf
3-Joint Royal Society - NERC - Met Office- UK climate science statement 2009
http://royalsociety.org/
٤- تفسير سورة «الروم، محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير.
٥- تفسير سورة «الأعراف»، الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن.
٦- تفسير سورة «الأعراف»، الإمام ابن كثير، تفسير القرآن العظيم.
7- Stop climate change 2015
http://www.greenpeace.org/international/en/campaigns/climate-change/
8-Islamic Declaration on Global Climate Change 2015
http://islamicclimatedeclaration.org/islamic-declaration-on-global-climate-change/

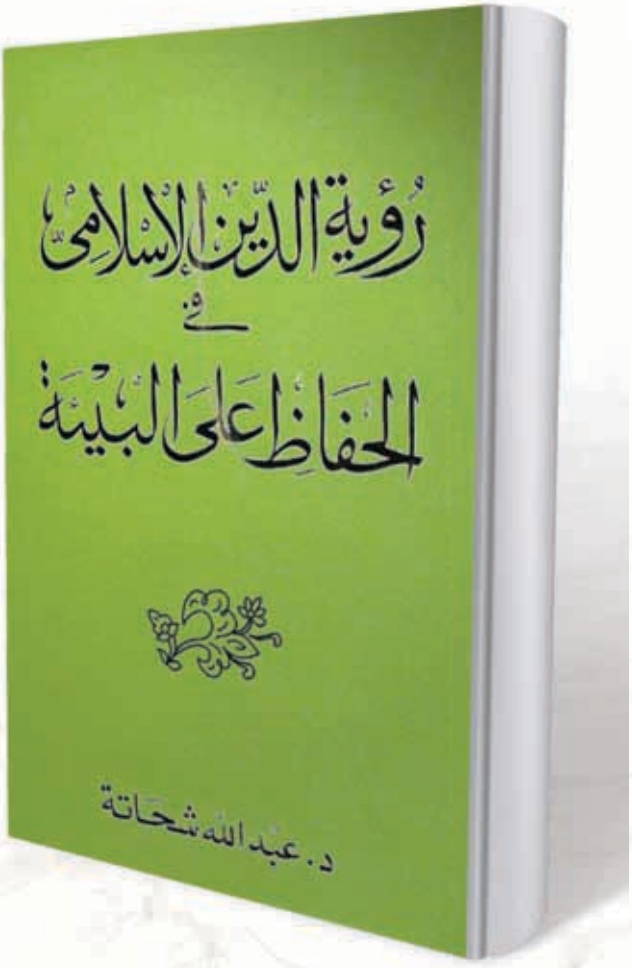

قراءة في كتاب:

رؤية الدين الإسلامي في الحفاظ على البيئة

بيانات الكتاب:
اسم الكتاب: رؤية الدين الإسلامي في الحفاظ على البيئة.
المؤلف: د. عبدالله شحاتة.
الناشر: دار الشروق.
الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
عدد صفحات الكتاب: ١٦٤ صفحة من القطع الكبير.

عرض: محمود المنير

هذا الكتاب:

يقدم هذا الكتاب دراسة عن رؤية الدين الإسلامي في الحفاظ على البيئة، حيث إن الإسلام كان سباقاً في إعطاء نظرة متكاملة لهذا الكون الرحيب، فهو أثر من آثار قدرة الله، يجب علينا تقديره واحترامه، والتعاون على سلامته ونظافته، وحسن استخدامه، والبعد عن الفساد فيه، فهو البيئة الواسعة التي حبانا الله بها. ويركز الكتاب على أن الإنسان مستخلف على إدارة الأرض وفقاً لمقاصد خالقها، لاستثمارها لنفعه، ولنفع غيره من الخلق، ولتحقيق مصالحه ومصالحهم جميعاً، وهو لذلك أمين عليها، فيجب أن يتصرف تصرف الأمين في حدود أمانته.

محتويات الكتاب:

يضم هذا الكتاب مقدمة للمؤلف، ولمحة عن المقصود بالبيئة في اللغة العربية، ثم سبعة أبواب جاءت على النحو التالي:

الباب الأول: نظرة الإسلام إلى الكون والبيئة.
الباب الثاني: حماية العناصر الطبيعية والمحافظة عليها.
الباب الثالث: نظافة البيئة.
الباب الرابع: الأخلاق والفلسفة البيئية.
الباب الخامس: الهواء.
الباب السادس: حماية الإنسان والبيئة من التأثيرات الضارة.
الباب السابع: القواعد الشرعية لحماية البيئة.

ثم يختم الكتاب بالأخلاق الإسلامية وأثرها على سلامة البيئة.

نظرة الإسلام إلى الكون والبيئة

يقول المؤلف: إن الله خلق الإنسان وجعله مستخلفاً في الأرض لعمارة هذا الكون وتحسينه، بل والتسابق في إتقان العمل، وتيسير المأكل والمشرب، وتطوير الصناعة والتقنية، وترشيد الإنفاق والمحافظة على البيئة، قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) ﴾ (الملك).

والله سبحانه تعالى يسيِّر الكون حسب نظام بديع دقيق، فالسماء عالية، والأرض مبسوطة، والجبال راسية، والبحار جارية، والشمس مسخَّرة، والقمر منير، وكل شيء يؤدي دوره في دقة متناهية، بوفرة كثيرة، فالنجوم والمجرات والأفلاك تسير في نظام بديع، مر عليه بلايين السنين، وهو في يد العناية الإلهية، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) ﴾ (القمر)، ويقول تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ (٨) ﴾ (الرعد).

ويعتبر الإنسان جزءاً من هذا الكون، الذي تكمل عناصره بعضها بعضاً، ولكنه جزء متميز، وله موقع خاص بين أجزاء الكون، وهي:

١- صلة التأمل والتفكر والاعتبار في الكون وما فيه.

الإنسان مستخلف على إدارة الأرض وفقاً لمقاصد خالقها ولاستثمارها والانتفاع بها ونفع غيره من الخلق

٢- صلة الاستثمار المتوازن الحافظ، والانتفاع والتعمير، والتسخير لمنافعه ومصالحه.

٣- صلة العناية والرعاية؛ لأن أعمال الإنسان الصالحة غير محدودة بمصلحة الإنسان وحده، بل تمتد إلى مصالح خلق الله أجمعين، فخير الناس أنفعهم للناس، وفي كل كبد رطبة أجر.

وحث الإسلام الإنسان على المحافظة على الموارد الطبيعية، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠)﴾ (فصلت).

ومن ثمَّ؛ فإن الانتفاع بها يعتبر في الإسلام حقاً لجميع الناس، ولكل نوع من أنواع المخلوقات، لذلك يجب أن يراعي في التصرف مصلحة الناس الذين لهم فيها شركة وعلاقة، كما ينبغي ألا ينظر إلى هذا الانتفاع على أنه منحصر في جيل معين دون غيره من الأجيال، بل هو انتفاع مشترك بينهما جميعاً، ينتفع بها كل جيل بحسب حاجته دون إخلال بمصالح الأجيال القادمة، كأن يسيء جيل استثمارها أو يشوهها أو يفسدها، وذلك باعتبار أن كل جيل لا يملك سوى حق الانتفاع دون التملك المطلق.

وقال رسول الله ﷺ: «ما بين مسلم يغرس غرساً أو يزرع فيأكل منه طير أو إنسان أو بهية إلا كان له به صدقة»، وقال أيضاً: «إن من غرس غرساً يأكل منه آدمي ولا خلق من خلق الله عز وجل إلا كان له به صدقة».

وموقف الإسلام من استثمار موارد الأرض وتعميرها عبر عنه الخليفة على بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله لرجل قد أحيا خربة: «كُل هنيئاً وأنت غير مفسد، معمر غير مخرب».

حماية العناصر الطبيعية

يشير المؤلف إلى أن المؤمن عنصر نافع في هذه الحياة، حريص على سلامة البيئة، والبيئة هي الإطار الذي يعيش فيه الإنسان، ويضم العناصر الثلاثة؛ الماء والهواء والتربة، وفي هذا الإطار يمارس نشاطيه الاجتماعي والإنتاجي.

ولقد أمر الله تعالى هذا الإنسان بعمارة الأرض، واستخلفه لإصلاحها، ونهى القرآن الكريم عن الفساد، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الأعراف:٥٦).

والمحافظة على مياه البحار والأنهار والمحيطات هي في الحقيقة حفاظ على الإنسان، فإن المصادر المائية في هذا الكون تقوم بإنتاج ٧٠٪ من الأكسجين اللازم للحياة، وما تخرجه في داخلها من طعام يجب المحافظة عليه، دون إضرار بالكائنات الموجودة؛ لأن أي إضرار بالبيئة البحرية هو إضرار بالإنسان وبالمحيط الحيوي.

ويؤكد المؤلف حقيقة مهمة؛ وهي أن حق الانتفاع بالعناصر الطبيعية مكفول للجميع، بلا احتكار ولا غصب ولا إفساد ولا تعطيل ولا إسراف، قال تعالى في ناقة ثمود: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ (٢٨)﴾ (القمر).

ولأهمية الماء في استمرار الحياة كأحد أهم العناصر الطبيعية جعله الله حقاً شائعاً بين بني آدم وكل المخلوقات، قال رسول الله ﷺ: «الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار».

وكذلك الأرض والتي هي وعاء لنعم الله المتعددة على الإنسان، بل هي مائدة الله في

هذه الدنيا، يأكل منها الإنسان والحيوان والطير، وفيها حقوق الأرزاق، من واجبنا المحافظة عليها سليمة نافعة مفيدة.

البيئة في السُّنة النبوية

تعرضت السُّنة النبوية بطبيعة الحال لأمر البيئة في كثير من الأحاديث، والمواقف النبوية الشريفة، وبالرغم من أن المشكلات البيئية في ذلك الوقت لم تكن معقدة بهذه الصورة التي هي عليها الآن، فإن الرسول ﷺ قد تطرق في أحاديثه لكثير من المشكلات البيئية التي يعاني منها العالم اليوم.

ويمكن حصر الأحاديث النبوية التي تعرضت لقضايا البيئة في أربع مجموعات:

١- الأحاديث التي تحث على غرس الأشجار والمحافظة عليها - لا سيما الأشجار المثمرة - مع ربط الفرس والمحافظة بالأجر.

٢- الأحاديث التي تحث على الحفاظ على الحيوانات وحُسن معاملتها، والتي تنهى عن قتلها لغير منفعة مرجوة.

٣- الأحاديث التي تحث على الحفاظ على صحة البيئة.

٤- الأحاديث التي تحث على عدم الإسراف.

نظافة البيئة في الإسلام

اهتم الإسلام بالنظافة اهتماماً خاصاً، وحث على الطهارة، وجعلها شرطاً لقبول وصحة الصلاة؛ ولذلك اندرجت النظافة والطهارة تحت أحكام العقيدة الإسلامية، وإن من أوائل مباحث العبادات في الإسلام الصلاة، ومن أهم شروطها الطهارة.

ودعا الإسلام إلى الحفاظ على الماء باعتباره أداة الطهارة، وحرم تلويث المياه، حيث إن ذلك يؤدي إلى توصيل الضرر إلى إنسان آخر، سواء في هذا الجيل أم الأجيال القادمة، وتؤدي الموارد الضارة الواردة مع المياه دوراً مهماً في إصابة الإنسان بالفشل الكلوي، والسرطان، وأمراض الكبد، ومرض الكبد الوبائي، ولعلها هي الأمراض الأكثر انتشاراً بسبب تلويث الإنسان للمياه.

ويشير المؤلف إلى أن الرسول ﷺ اهتم بنظافة الماء اهتماماً بالغاً، وكان يستقي له الماء من مسافة بعيدة عن المدينة، ويهتم باختيار الماء والعناية به والمحافظة عليه، وكان صلى الله عليه وسلم ينهى أن يتنفس داخل الإناء، وهو يشرب منه، وثبت أن بعض الميكروبات قد تنتقل مع التنفس، وتعيش في السوائل أكثر مما تعيش في الهواء الخانق.

الأخلاق.. والفلسفة البيئية

ويشير المؤلف إلى أن القرآن الكريم والسُّنة المطهرة حفلا بالدعوة إلى صلة الرحم، وإكرام الجار، ورعاية اليتيم والمسكين، وكفالة الأرملة والضعيف، وإعالة المحتاجين، وزيارة المريض، وتخفيف البؤس عن البائسين.

وكل هذه المبادئ الكريمة تساعد في رقي البيئة وتطورها، وتقادم إفسادها وترديها؛ لأنها من مبادئ التعاون على الخير والمعروف، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة:٢).

وسنَّ الإسلام قواعد شرعية لحماية البيئة، وجعلها واجباً دينياً يلتزم به كل فرد مسلم، بموجب مسؤوليته الفردية عن رعاية نفسه ومجتمعه تجاه ربه، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)﴾ (القصص).

ويجب قيام جماعة من أهل الخبرة والمعرفة بتوعية الأفراد بكل الوسائل، وعلى جميع المستويات، إلى الالتزام بالآداب والأخلاق الإسلامية في التعامل مع الطبيعة والبيئة ومواردها، ويكون ذلك بتذكيرهم بواجباتهم نحوها على النحو التالي:

١- عدم التبذير والإسراف في استخدام الموارد.

٢- عدم تعطيل الموارد، وعدم إتلاف أي شيء منها دون وجه مشروع.

٣- عدم الإضرار بالبيئة الطبيعية، وعدم إفسادها أو تلويثها بأي وجه من الوجوه.

٤- تعمير الأرض وتحسين الموارد الطبيعية وحمايتها، وإصلاح التربة وتنقية الهواء والماء.

ويختم المؤلف الكتاب بقوله: لقد كان الإسلام صحوة في الضمير، وقوة في العقيدة، وتهذيباً للسلوك، ولقد فتح المسلمون البلاد بأخلاقهم وسلوكهم قبل أن يفتحوها بسيفهم ورماحهم.

والأخلاق الإسلامية حصانة لنا من التردي، وهي طريق عمل للمحافظة على البيئة وسلامتها، والعناية بها، ورعاية العمران والتشجير، والنظافة، وكل نواحي الخير والتقدم والجد والعمل، قال صلى الله عليه وسلم: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».■

المؤمن عنصر نافع في هذه الحياة حريص على سلامة البيئة التي تضم العناصر الثلاثة الماء والهواء والتربة

المحافظة على مياه البحار والمحيطات والأنهار حفاظ لحياة الإنسان فالمصادر المائية تنتج ٧٠٪ من الأكسجين اللازم للحياة

حق الانتفاع بالعناصر الطبيعية مكفول للجميع بلا احتكار ولا غصب ولا إفساد ولا تعطيل ولا إسراف

الأرض مائدة الله في الدنيا يأكل منها الإنسان والحيوان والطير ومن واجبنا المحافظة عليها سليمة نافعة

الإسلام سنَّ قواعد شرعية لحماية البيئة وجعلها واجباً دينياً يلتزم به المسلم بموجب مسؤوليته الفردية عن رعاية نفسه ومجتمعه تجاه ربه

البروفيسور عبداللطيف الخطابي لـ «المجتمع»:

التغيُّر المناخي له تأثيرات خطيرة على الاقتصاد والصحة

حاوره: عبدالغني بلوط بن الطاهر

البروفيسور عبداللطيف الخطابي، خبير دولي في مجال تغيُّر المناخ، وهو المحرر الرئيس في تقرير التقييم الخامس للهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغيُّر المناخ، وهو أيضاً باحث بالمعهد الملكي للدراسات الإستراتيجية في برنامجها بشأن تغيُّر المناخ.. التقت «المجتمع» بالبروفيسور الخطابي في حوار خاص حول الوضع البيئي الحالي وارتباطه بالتغيرات المناخية الجارية في العالم.

التغيُّر المناخي من المشكلات البيئية التي تلقى عناية متزايدة من الحكومات والمنظمات الدولية والإعلام والمواطنين

معظم جوانب تغيُّر المناخ سوف تستمر لعدة قرون حتى في حالة وقف انبعاثات ثاني أكسيد الكربون

● كيف يمكن وصف الوضع البيئي الحالي ارتباطاً بالتغيرات المناخية الجارية في العالم؟

– دعني بداية أؤكد أن التغيُّر المناخي من المشكلات البيئية التي تلقى عناية متزايدة من قبل الحكومات والمنظمات الدولية والإعلام والمواطنين؛ لما له من تأثيرات خطيرة ومهلكة للكثير من المجتمعات.

ويشير تغيُّر المناخ إلى تغيُّر في حالة متوسط خصائص المناخ بصورة عامة على المدى الطويل، قد تدوم عقوداً أو أكثر، وقد يُعزى ذلك إلى عمليات داخلية طبيعية أو إلى عوامل قسرية خارجية، وتعرّفه اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغيُّر المناخ بأنه «التغير الذي يُعزى بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى النشاط البشري الذي يغيّر من تكوين الغلاف الجوي»، وهي تميّز بذلك بين تغيُّر المناخ الذي يُعزى إلى الأنشطة البشرية، وتقلبية المناخ التي ترجع إلى أسباب طبيعية.

وبالعودة إلى سؤالكم، فمن المرجح أن يتجاوز تغيُّر درجة حرارة الأرض في نهاية القرن الحادي والعشرين ١,٥ درجة مئوية، بالنسبة إلى الفترة الممتدة من عام ٠٥٨١ إلى عام ٠٠٩١م في جل سيناريوهات مسارات التركيز النموذجية، وحسب مساهمة فريق العمل الأول في تقرير التقييم الخامس للهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ المستندة إلى تحليلات علمية مستقلة، ووضع إسقاطات التغيرات في النظام المناخي باستخدام مجموعة من النماذج التي تحاكي التغيرات، استناداً إلى مجموعة من سيناريوهات التأثيرات القسرية البشرية.

وسيظل الاحترار يسبب تقلباً على مر السنوات والعقود، ولن يكون موحداً على المستوى الإقليمي، وسوف تستمر معظم جوانب تغيُّر المناخ لعدة قرون حتى في حالة وقف انبعاثات ثاني أكسيد الكربون.

ذلك أن التغيرات التي تحدث في الدورة المائية العالمية خلال القرن الحادي والعشرين لن تكون منتظمة؛ فسوف يزيد التناقض في الهطول بين الأقاليم الرطبة والأقاليم الجافة مع احتمال وجود استثناءات إقليمية، ومن المرجح أن يستمر الارتفاع في المتوسط العالمي لمستوى سطح البحر خلال القرن الحادي والعشرين إلى حد كبير، يتوقع أن يتجاوز معدل الارتفاع الذي لوحظ أثناء الفترة بين ٠٧٩١ و٠١٠٢م.

● إذن، ما أخطار هذه التغيرات على الجنس البشري وباقي مكونات المنظومة البيئية؟

– سيؤدي تغير المناخ إلى تحول في أنواع الطقس، وكمية التساقطات وأنواعها، وتواتر عدة أحداث مناخية قصوى، بهذه الطريقة يمكن أن يفضي إلى عواقب واسعة بما فيها الآثار البيئية والاجتماعية والاقتصادية، ففي العقود الأخيرة أدت التغيرات في المناخ إلى آثار على النُظم الطبيعية والبشرية في جميع القارات، وعلى نطاق المحيطات؛ وهو ما سبب قلقاً واسع النطاق على الصعيد العالمي بشأن التنمية المستدامة.

وفي المقابل، يعزز تغيُّر المناخ آثار الأنشطة البشرية مثل التوسع السريع في الصناعة والأنشطة الاقتصادية الأخرى، والتنمية الحضرية، والبنية التحتية، والسياحة تولد الضغوط البيئية التي تحفز على التغيير؛ وهو ما يؤدي إلى تأثيرات على الاقتصاد والصحة البشرية والتنوع البيولوجي.

إن تقييم آثار تغيُّر المناخ محفوف بعدم اليقين التام، وكذلك الضرر المسبب والقيم الاقتصادية التي ستكون مرتبطة به، ويعزى عدم اليقين في المعرفة العلمية الكافية بشأن تغيُّر المناخ، وصعوبة معرفة رد فعل الناس، والتكيف مع الظواهر المناخية، وصعوبة ربط القيم النقدية إلى أضرار محتملة سوف تعاني منها الأجيال القادمة.

وقد ركزت العديد من الدراسات العلمية في السنوات الأخيرة على الكشف عن الآثار وتوزيعها على تغيُّر المناخ؛ فمساهمة فريق العمل الثاني للفريق الحكومي الدولي المعني بتغير المناخ (٤١٠٢م) قيم الآثار الرئيسة لتغيُّر المناخ التي تم توثيقها علمياً مع درجة من اليقين في العالم متفاوتة خلال الفترة بين عام ٧٠٠٢ – ٣١٠٢م.

واستناداً إلى بعض الدراسات، فإن الآثار السلبية لتغيُّر المناخ – مثل غلاء المحاصيل – كانت أكثر من الآثار الإيجابية، وفي الوقت الحاضر يُعتبر عبء اعتلال صحة البشر من جراء تغيُّر المناخ صغيراً نسبياً، كما أن هناك آثاراً ناجمة عن ظواهر متطرفة متعلقة بالمناخ حدثت مؤخراً، مثل: موجات الحرارة، وحالات الجفاف، والفيضانات والأعاصير.

وتؤدي الأخطار ذات الصلة بالمناخ إلى تفاقم المجهدات الأخرى؛ بحيث تترتب على ذلك في كثير من الأحيان نتائج سلبية بالنسبة لسُبل العيش.

● ألا تهدد هذه التغيُّرات المناخية الأمن الغذائي لعدد من الدول؟

– لا شك أن الإنتاج الغذائي يعتمد بشكل كبير على المياه والحرارة، وأي تغير فيهما سيتطلب من المزارعين التكيف معه من خلال

البروفيسور الخطابي.. في سطور

- **خبير دولي في مجال تغيُّر المناخ، محرر رئيس في تقرير التقييم الخامس للهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغيُّر المناخ.**
- **مهندس زراعي بمعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة بالرباط، وبالمدرسة العليا دو بوا، فرنسا باريس.**
- **حاصل على درجة الماجستير في العلوم في الاقتصاد، ودكتوراه في الغابات من جامعة ولاية إيداهو بالولايات المتحدة الأمريكية، وعلى درجة الماجستير في العلوم في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في جامعة لويس باستور، ستراسبورج، فرنسا.**
- **أستاذ بالمدرسة الوطنية الجابوية للمهندسين منذ عام ١٩٩٤م، وأستاذ زائر بجامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، وجامعة محمد الخامس بالرباط، وجامعة مولاي إسماعيل بمكناس، وجامعة عبدالمالك السعدي بتطوان.**
- **باحث مشارك في المعهد الملكي للدراسات الإستراتيجية بالرباط، في برنامجها بشأن تغيُّر المناخ.**
- **باحث في المركز الوطني للبحوث الجابوية، الرباط من عام ١٩٨١ • ١٩٩٤م.**
- **مؤلف العديد من المنشورات، وحاصل على العديد من المنح الدراسية، ومستشار للمنظمات العامة والخاصة، الوطنية والدولية (اليونسكو، والإيسيسكو، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNEP، FAO، والبنك الدولي GIZ)، وعضو بالعديد من الجمعيات المهنية.**
- **عضو مؤسس ورئيس الجمعية المغربية للعلوم الإقليمية AMSR.■**

تغيير الموارد الأساسية للزراعة، وتغير المناخ يمكن أن يؤثر فيهما؛ وهو ما يسبب تقليصاً في الإنتاجية الزراعية، ويؤدي إلى انتشار الأمراض، وزيادة الفيضانات بسبب ارتفاع منسوب البحار، وأيضاً بسبب هطول الأمطار الغزيرة، كما يؤثر تغيُّر المناخ في مقدرة السكان على الحصول على الأغذية نتيجة لانخفاض دخلهم، وهو ما يؤثر بدوره على العملة الأجنبية في البلاد بسبب تدمير بعض مصادرها التصديرية.

في المستقبل ستنخفض الموارد المائية من حيث الكم والكيف، وسترتفع درجة الحرارة؛ فمن البدهي أن يؤدي التغيُّر في المناخ الشامل إلى تأثر الزراعات، وبالتالي إلى تقلص المخزون الغذائي.

وتتوقع المؤسسة الدولية لأبحاث السياسات الغذائية أنه بحلول عام ٢٠٥٠م، سيكون عدد الأشخاص حول العالم ٩ مليارات نسمة؛ وهو ما سيؤدي بالضرورة إلى الزيادة في طلب الغذاء، كما سيصل عدد الأطفال المصابين بسوء التغذية من ٦٧ إلى ٤٨ مليون طفل حول العالم.

● إذن، كيف يمكن مواجهة ذلك؟

– الزراعة لا تُعاني من تأثيرات تغيُّر المناخ فحسب؛ بل هي مسؤولة أيضاً عن إطلاق ٤١٪ من الغازات المُسبِّبة للاحتباس الحراري الكامن وراء الظاهرة، حسب منظمة «فاو»، ويمتلك قطاع الزراعة الإمكانات لكي يصبح جزءاً مهماً ضمن الحلول، من خلال جهود التخفيف عبر التخفيض أو الإزالة التامة لكميات كبيرة من العوادم الكربونية العالمية، وتضيف أن ٧٠٪ من هذه الإمكانيات تَكمُن في القطاع الزراعي لدى البلدان النامية.

وتمتلك أساليب الزراعة العضوية إمكانية امتصاص الكربون واحتجازه في التربة، وتتضمن – على سبيل المثال لا الحصر – إعادة استخدام النفايات الخضراء للتسميد والتغطية، واستعمال النباتات المُعمِّرة كغطاء للتربة، وإعادة البَذر، وتحسين إدارة الرعي في الأراضي العُشبية، والزراعة المختلطة بالغابات لدمج المحاصيل والأشجار، حسب منظمة الأغذية والزراعة (فاو).

ويمكن استخدام أنواع المحاصيل المقاومة للجفاف وموارد المياه على نحو أكفأ وتحسين إدارة الآفات، ويمكن تقليص استخدام الأسمدة، وتطوير إدارة الإنتاج، ويتعين على الحكومات الوطنية تطبيق سياسات استخدام الأراضي التي تحد من التوسع، فضلاً عن إتاحة مزيد من الفرص للعمل في الريف.

وتأتي الاستخدامات الأعلى كفاءة للأسمدة وإدارة نُظم إنتاج الماشية كخيارات مُتاحة بسهولة للحدّ من العوادم الكربونية وامتصاصها ومحوها، وتشدِّد منظمة «فاو» على أن الممارسات الزراعية المحسَّنة المطلوبة للتخفيف من تغيُّر المناخ والتكيُّف معه هي في أغلب الأحيان المطلوبة أيضاً لرفع معدلات الإنتاج الغذائي، وتوطيد أركان الأمن الغذائي، وسياسياً لا يمكن الاقتصار على تعزيز الدور التخفيفي، لكن يجب العمل على تقليل تعرض الفقراء لانعدام الأمن الغذائي، ومن الواجب إدخال التغييرات التكنولوجية والمؤسساتية قبل أن يصبح تأثير تغيُّر المناخ أمراً لا يمكن تفاديه.

● ألا يمكن التفريق بين أثر هذه التغيُّرات على دول الجنوب وأثرها على الدول المتقدمة؟

– لم تواجه البشرية سابقاً أزمة بيئية هائلة مثل تلك الأزمة لارتباطها بتغيُّر المناخ؛ فهناك بعض المناطق والجماعات معرضة بوجه خاص لتغيُّر المناخ، وتنشأ الاختلافات بسبب هشاشة الأوضاع، والتعرّض لعوامل غير مناخية، ومن أوجه انعدام المساواة المتعددة الأبعاد التي تنجم في الغالب عن عمليات التنمية المتفاوتة، هذه الاختلافات تشكّل الأخطار التفاضلية الناجمة عن تغيُّر المناخ.

إن الدول النامية التي تقع عليها مسؤولية أقل عن تغيُّر المناخ هي التي ستعاني من أسوأ عواقبه؛ حيث ستكون من أكثر الدول تأثراً به، والسبب في ذلك أن حكومات هذه الدول لا تمتلك الإمكانات الاقتصادية الكافية التي تحميها من هذه المشكلة المتنامية الخطورة؛ وهو ما يجعلها عرضة لخسائر بشرية ومادية كبيرة أثناء وقوع الكوارث البيئية، أما الدول الغنية؛ فهي تمتلك إمكانات تجعلها قادرة على مواجهة الكوارث البيئية حين وقوعها.

لذا فإن تغيُّر المناخ يهدد الإنتاج، خصوصاً في المناطق الأكثر عُرضة للكوارث المُرتبطة بالمناخ، وإن أفقر المناطق يتوقع أن تكون بين الأشدّ تضرّراً من جرّاء التغيّرات المناخية.

● وماذا عن «الوقود الأحفوري» وأثره في التغيُّرات المناخية؟

– التغير المناخي يحصل بسبب رفع النشاط البشري لنسب غازات الدفيئة في الغلاف الجوي الذي بات يحبس المزيد من الحرارة، ويشكل ثاني أكسيد الكربون أحد أهم الغازات

منظمة «فاو»: الغذاء لابد أن يزداد بنسبة ٧٠٪ لسدّ احتياجات أكثر من ٣ مليارات إضافية من سكان العالم عام ٢٠٥٠م

في المستقبل ستنخفض الموارد المائية وسترتفع درجة الحرارة وهو ما سيؤثر على الزراعات ويقلص المخزون الغذائي

قطاع الزراعة يمتلك ٧٠٪ من الإمكانات اللازمة لمواجهة ظاهرة الاحتباس الحراري

التي تساهم في مضاعفة هذه الظاهرة، وينتج هذا الغاز أثناء حرق الفحم والنفط والغاز الطبيعي في المصانع والسيارات وغيرها، إضافة إلى محو الغابات.

إن أنماط الحياة أكثر تعقيداً؛ ولذا فهي تحتاج إلى مزيد من الطاقة؛ يعني حرق المزيد من الوقود الأحفوري؛ وبالتالي رفع نسب الغازات الحابسة للحرارة في الغلاف الجوي.

لقد زادت تركيزات جميع غازات الاحتباس الحراري في الغلاف الجوي منذ عام ٠٥٧١م نتيجة للنشاط البشري، ومن عام ٠٥٧١ إلى عام ١١٠٢م أطلقت انبعاثات ثاني أكسيد الكربون – نتيجة حرق الوقود الأحفوري وإنتاج الأسمنت – ٥٧٣ جيجا طناً في الغلاف الجوي، بينما أطلقت إزالة الغابات والتغيُّر الآخر في استخدام الأراضي ٠٨١ جيجا طناً، وهذا يسفر عن انبعاثات بشرية تراكمية قدرها ٥٥٥ جيجا طناً، ومفعول الدفيئة المضخم كفيل بأن يرفع حرارة الأرض بسرعة لا سابقة لها.

كذلك سببت الزيادة في تركيزات غازات الاحتباس الحراري الناجمة عن عوامل بشرية، بسبب التأثيرات القسرية البشرية الأخرى، الزيادة الملحوظة في المتوسط العالمي لدرجة الحرارة السطحية في الفترة من عام ١٥٩١ إلى عام ٢٠١٠م.

ومن المرجح أنها أثَّرت أيضاً على الدورة المائية العالمية منذ عام ٠٦٩١م؛ فقد ساهمت في الزيادات الملحوظة في محتوى الرطوبة في الغلاف الجوي، وفي التغيرات في أنماط الهطول فوق اليابسة، وفي تكثيف الهطول الغزير فوق أقاليم اليابسة، وفي تغيُّرات ملوحة سطح المحيطات وما تحت سطحه، ومن المرجح أن يكون التأثير البشري أدى إلى زيادة احتمال حدوث موجات حرارة في بعض الأماكن بأكثر من الضعف، وفي ارتفاع المتوسط العالمي لمستوى سطح البحر منذ سبعينيات القرن العشرين.

● كيف يمكن للدول أن ترسي إستراتيجية وطنية للحد من التغيرات المناخية؟

– بما أن حرق الوقود الأحفوري هو المصدر الرئيس لغازات الدفيئة، ينبغي أن نقلص اتكالنا على النفط كمنبع أساس للطاقة؛ فهناك مجموعة من المصادر والحلول الطبيعية البديلة والمتجددة؛ كالطاقة الشمسية والهواء والأمواج والكتلة الحيوية، وينبغي كذلك ترشيد استعمال الطاقة.

لن يتطلب تطبيق هذه الحلول أي تنازل عن

أنساق الحياة؛ بل سيساعد على الولوج إلى زمن جديد من استعمال الطاقة يُعنى بحماية البيئة والتنمية معاً من حيث خلق فرص العمل والنمو الاقتصادي ونوعية الحياة.

الحلول البديلة متوافرة بأكثر التقنيات تطوراً في هذا المجال، لكن يجب أن تكون الخيارات استجابات تكيفية، وتكون مدمجة مع برامج قائمة.

وعلى مر الزمن تكيّف الإنسان مع المناخ والظواهر المتطرفة بدرجات متفاوتة من النجاح – حسب مساهمة «فريق العمل ٢» في تقرير التقييم الخامس للهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغيُّر المناخ – وترسخ التكيف في بعض عمليات التخطيط، مع زيادة محدودية تنفيذ الاستجابات.

إن تقارير الفريق الحكومي الدولي المعني بتغيُّر المناخ، والعديد من البحوث والدراسات في الآونة الأخيرة، تؤكد ضرورة اتخاذ إجراءات للتعامل مع تغيُّر المناخ، وتحذر من أي جمود يمكن أن تولد عنه صعوبات في إدارة الحالات المستقبلية.

إن غياب معلومات كاملة، أو وجود شكوك حول حدوث أو مدى تأثيرات تغير المناخ، لا ينبغي أن يكونا عائقين أمام النظر في اتخاذ تدابير تكيف مع مجموعة واسعة من الاحتمالات لوقوع الخطر المناخي.

التكيف ضرورة للحد من التعرض للأخطار، وكذلك زيادة مرونة النظم الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية في رؤية متكاملة وشاملة.

● ما خلاصة كل ذلك إذن؟

– إن سرعة حدوث تغيُّر المناخ في العقود الأخيرة جعل التكيف التفاعلي أقل أثراً، وغير كاف للتعامل مع الآثار المحتملة للمناخ، وتعتبر الحكومة المحلية للجماعات الترابية شريكاً مهماً في ترسيخ مسلسل التنمية المستدامة، وهو ما يتطلب وضع مخططات جماعية للتنمية باعتبارها أدوات للتخطيط الترابي اللامتمركز، ويعد التشخيص الجيد للمجال بهدف وضع تصور دقيق للمشاريع الواجب مباشرتها لمصلحة السكان من جهة، والوسط الطبيعي من جهة أخرى رهان التنمية المستدامة، ويحتاج إلى فوائد البحث العلمي في إنارة وتوجيه مخططات التنمية.

إن خيارات التكيف المعتمدة حتى الآن ما زالت تركز على التكيف الإضافي والفوائد المشتركة، وكثيراً ما تكون مدمجة مع برامج قائمة من قبيل إدارة مخاطر الكوارث وإدارة المياه، ويتزايد الاعتراف بقيمة التدابير الاجتماعية والمؤسسية القائمة على النظم الإيكولوجية، وبدأت الحكومات في وضع خطط وسياسات للتكيف، وفي إدماج الاعتبارات المعنية بتغيّر المناخ في خطط التنمية، وتتراكم الخبرة في مجال التكيف على نطاق الأقاليم في القطاعين العام والخاص، حسب مساهمة «فريق العمل ٢» في تقرير التقييم الخامس للهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغيُّر المناخ.

وخلاصة القول: إن الكل مسؤول عن السعي إلى الحد من مشكلة تغيُّر المناخ ووقفها، والتكيف مع أخطاره على الفور، أما إذا توانينا عن اتخاذ الإجراءات اللازمة الآن لوقف ارتفاع الحرارة؛ فقد نعاني من نتائج وخيمة لا يمكن العودة عنها.■

أفكار وحلول للحفاظ على البيئة واستمرارية العيش فيها

المصدر: مجلة «البيئة والتنمية»

تحلية المياه:

النقص في الإمدادات المائية سيؤثر على ملايين الناس بحلول منتصف هذا القرن، بحسب تقديرات الأمم المتحدة، والتحلية، خصوصاً إزالة الملح والمعادن من مياه البحر، طريقة لتوفير مياه الشرب في أجزاء من العالم حيث الإمدادات المائية محدودة.

طاقة الهيدروجين:

تروّج خلايا وقود الهيدروجين (cells fuel hydrogen) كبديل خالٍ من التلوث للوقود الأحفوري، وهي تنتج الماء بدمج الهيدروجينً والأكسيجين، وتولد الطاقة في هذه العملية.

الترويج لاستعمال وسائل النقل العمومي بطرق مأمونة

أو استخدام وسيلة أخرى تستوجب القيام ببعض النشاط البدني؛ مثل استخدام الدراجة، أو المشي على الأقدام؛ للاستعاضة عن المركبات الخاصة، وذلك من الأمور التي يمكن أن تسهم في الحد من انبعاثات ثاني أكسيد الكربون وتحسين الصحة العمومية.

أفكار جديدة «مشمسة»:

طاقة الشمس التي تصطدم بالأرض في شكل فوتونات، يمكن تحويلها إلى كهرباء أو حرارة، وتأتي اللاقطات الشمسية بأشكال مختلفة وكثيرة، وتستعملها شركات الطاقة وأصحاب المنازل، النوعان المعروفان على نطاق واسع هما الخلايا الشمسية، واللاقطات الحرارية الشمسية.

تحويل الطاقة الحرارية للمحيطات:

أكبر لاقطة شمسية على الأرض هي كتلة المحيطات، وقدرت وزارة الطاقة الأمريكية أن المحيطات تمتص كل يوم حرارة من الشمس تعادل الطاقة الحرارية التي يحويها ٢٥٠ مليار برميل من النفط، وثمة تكنولوجيات لتحويل الطاقة الحرارية للمحيطات إلى كهرباء، باستعمال فارق درجات الحرارة بين سطح الماء الساخن وقاع المحيط البارد.

زراعة أسطح المنازل:

حدائق السطوح تساعد على امتصاص الحرارة، واحتجاز ثاني أكسيد الكربون، وإطلاق الأكسجين، وامتصاص مياه الأمطار، وتقليل الحاجة إلى استعمال المكيفات صيفاً، ويمكن لهذه التقنية أن تخفف من ظاهرة «الجزيرة الحرارية».

تسخير الأمواج وحركة المد والجزر:

تغطي المحيطات أكثر من ٧٠٪ من سطح الأرض، وتحوي الأمواج وفرة من الطاقة التي يمكن توجيهها إلى توربينات تحول هذه الطاقة الميكانيكية إلى كهرباء.

النباتات والجراثيم تنظف وراءنا:

المعالجة البيولوجية تستخدم الجراثيم والنباتات لتنظيف التلوث، ومن الأمثلة على ذلك تنظيف مياه ملوثة من النيترات بمساعدة الجراثيم، واستعمال النباتات لامتصاص الزرنيخ من تربة ملوثة، ويمكن غالباً استعمال أنواع نباتية متوطنة لتنظيف المواقع.

استعمال الورق عادة قديمة:

تخيل أنك ترقد على أريكة متصفحاً جريدة الصباح، ومن ثم تستعمل الصفحة ذاتها لقراءة كتاب جديد، هذه إحدى إمكانيات «الورق الإلكتروني» الذي يشبه إلى حد بعيد الورق الحقيقي لكن يمكن إعادة استعماله مرات ومرات.

«انتفاضة القدس»
تتواصل رغم جرائم الاحتلال

القدس المحتلة: مراد عقل

تتواصل المحاولات الصهيونية الحثيثة والمستمرة لوأد انتفاضة القدس وإيقاف تدفقها الآخذ بالتطور يوماً بعد آخر، من خلال الاعتقالات الكبيرة والواسعة التي تقوم بها قوات الاحتلال في أنحاء الضفة والداخل المحتل والقدس، بالإضافة إلى هدمها لمنازل منفذي العمليات في محاولة منها لردع المقاومة وتخويف الأهالي.

وفي تحليله لمجريات الأحداث (حتى إعداد التقرير) يقول علاء الريماوي مدير مركز القدس: إن حكومة «نتنياهو» شرعت في ضرب المؤسسة الحزبية في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨م، من خلال حظر «الحركة الإسلامية»، برغم معارضة الأمن الصهيوني لخشيته من تدهور الأوضاع الأمنية في الداخل.

يضيف: إن قوات الاحتلال ترى أثراً كبيراً، أحدثته الحركة الإسلامية في انطلاق الأحداث على الأرض، كما ترى أن الحركة الإسلامية هي العائق الرئيس أمام تقسيم الأقصى، لذلك عمدت للتقليل من حيوية الحركة، مرجحاً تأثُّر حيوية الحركة لإغلاق ١٧ من مؤسساتها، لكنها تستطيع الالتفاف على قرارات الاحتلال.

ويشير الريماوي إلى أن قوات الاحتلال ستستغل الواقع نحو اعتقال قيادات «صقورية» في الحركة؛ الأمر الذي سيزيد من حالة التوتر في المناطق المحتلة عام ١٩٤٨م.

التطورات الميدانية

وعلى صعيد المواجهات وأحداث الانتفاضة، يقول مركز القدس: إن الأحداث ماضية على ذات الوتيرة القائمة من عمليات فردية ومواجهات شعبية، مؤكداً أن الفعل المقاوم استمر بوتيرة معتبرة، مقارنة مع حجم المقاومة في الشهر الماضي من انتفاضة القدس.

ورأى المركز أن هناك تطوراً في العمل المقاوم، مقارنة مع الشهر الأول من انتفاضة القدس، شوهد ذلك بشكل واضح في أداء المقاومة، مثل دخول عمليات إطلاق النار.

ويعترف جهاز الأمن العام الصهيوني (الشاباك) بتصاعد الانتفاضة، مشيراً إلى أن شهر أكتوبر الماضي هو الأصعب على دولة الاحتلال منذ ٩ سنوات؛ بسبب كم العمليات التي نفذت ضد الصهاينة ومقتل ١١ منهم.

وأظهرت الإحصائيات أن ١١ قتيلاً

صهيونياً ومئات الإصابات وقعت خلال شهر أكتوبر ٢٠١٥م، في ٦٠٢ عملية نفذت، وهذا العدد من القتلى هو ضعف عدد الصهاينة الذين قتلوا عام ٢٠١٣م كاملاً، حيث قتل فيه ٥ صهاينة فقط.

وجاء في المعطيات أن عدد العمليات التي نفذها الفلسطينيون الشهر الماضي فاق عدد العمليات التي نفذت خلال الحروب الثلاثة الأخيرة على قطاع غزة، وهي الأقصى منذ إتمام بناء جدار الفصل العنصري قبل ٩ سنوات.

ومقابل ذلك، ما زالت حالة الخوف والرعب والإرباك تسيطر على الصهاينة؛ بسبب استمرار استهدافهم من قبل أفراد المقاومة الفلسطينية.

تعطيل تقسيم الأقصى

ويقول النائب في المجلس التشريعي أحمد عطون: إن ممارسات الاحتلال تدل على حالة التحريض والعنصرية التي تعيشها دولة الاحتلال، وكيفية تعاملها مع الآخر؛ فمنظومته التي يقودها اليمين المتطرف تقول: إن كل من هو غير يهودي يعاملون كالخدم لدولتهم، وما يعيشه الاحتلال اليوم هو تطبيق لهذه الفكرة مدعومة بقرار سياسي يغطي كل ممارسة تجاه أي عربي.

ويشير عطون إلى أن هذه الهبَّة التي تعيشها كافة أراضي فلسطين المحتلة، أثرت على الكيان المغتصب للأرض؛ فقد نجحت في تعطيل مشروع تقسيم المسجد الأقصى زمانياً ومكانياً، بعد أن كان الاحتلال يشعر بأنه اقترب من إتمام مخططه هذا، أيضاً تم إعادة الاعتبار للقضية الفلسطينية على الساحة الدولية وأعادت حالة الحضور والتلاحم والوحدة الميدانية بين أبناء الشعب الفلسطيني لتلتحم في مواجهة الاحتلال رغم الحالة التي تعيشها في ظل الانقسام السياسي بين القيادات السياسية، أيضاً تكبد الاحتلال خلال شهر ونصف شهر خسائر بملايين من الدولارات؛ نتيجة الخوف والرعب، وأيضاً خلقت الهجرة العكسية بين المواطنين اليهود إلى الدول الخارجية، وهذا لم يكن في الانتفاضة السابقة.

انتفاضة ثالثة

وأظهر أحدث استطلاع للرأي أعدّه المركز الفلسطيني لاستطلاع الرأي (أجري خلال الفترة ١٨ أكتوبر – ١٢ نوفمبر ٢٠١٥م) أن هناك ارتفاعاً ملحوظاً في تأييد الجمهور الفلسطيني لحدوث انتفاضة ثالثة بمقدار ٢١,٧٪، مقارنةً باستطلاع سابق (أجري خلال الفترة ٢٧ مايو – ١٥ يونيو ٢٠١٥م)، ولعلّ هذا الارتفاع في التأييد لانتفاضة القدس جاء للتعبير عن غضب الجمهور الفلسطيني تجاه ممارسات «إسرائيل» بحق المسجد الأقصى واعتداءاتها المتكررة على الشعب الفلسطيني، والتي باتت تهدِّد وجوده وأمنه واستقراره وتفاقم في معاناته، ناهيك أن الشعب الفلسطيني يريد حريته واستقلاله، ويرفض استمرار هذا الاحتلال الذي يقبع تحت نيره منذ عام ١٩٦٧م، فالاحتلال في حد ذاته هو السبب الرئيس وراء الأحداث الجارية في الأراضي الفلسطينية.

ونشر المركز النتائج المتوقع حدوثها في حالة اندلاع انتفاضة ثالثة واستمرارها، وكما جاء في نتائج هذا الاستطلاع الذي أظهر بأنها قد تؤدي إلى تدهور الوضع الاقتصادي والمعيشي عند الفلسطينيين؛ مما سينتج عنها فوضى سياسيّة واجتماعية وأمنية وإلى تراجع العملية التعليمية في الأراضي الفلسطينية وستزيد من فرص احتمال قيام دولة الاحتلال بشن حرب جديدة على قطاع غزة، وسيتمخض عن ذلك المزيد من القتلى والجرحى في صفوف الفلسطينيين.

واستناداً لنتائج الاستطلاع، فإن أغلبية الجمهور الفلسطيني يعارضون العودة إلى المفاوضات السلمية مع الصهاينة؛ إذ وصلت نسبتهم إلى ٦٢,٣٪، ويرجع سبب ذلك إلى خيبة أملهم وغضبهم وإحباطهم من جدوى المفاوضات المكوكية التي استغرقت ما يزيد على عشرين عاماً من غير أن تحقق أي تقدم ملموس في العملية السلمية؛ وبالتالي فإن الانتفاضة الثالثة المتوقعة ستنتشر وتتحول إلى أكثر عنفاً ودموية في المستقبل المنظور إذا لم يحدث أي تقدم في المفاوضات يؤدي إلى حلّ الدولتين على أساس القرارات الدولية.

ورطة كبيرة

وتكشف مجلة «إسرائيل ديفينس» العسكرية العبرية عن مفاجأة مفادها أن أجهزة الأمن الصهيونية تواجه ورطة كبيرة بالنظر إلى أن الهجمات التي ينفذها الفلسطينيون في الوقت الراهن تختلف كثيراً عن سابقاتها في السنوات الماضية، حيث تتميز بروح تضحية عالية غير مسبوقة.

وتضيف المجلة في تقرير لها أن جهاز الأمن الصهيوني العام (الشاباك) أصدر تقريراً حول العمليات الفلسطينية الحالية، أظهر أن منفذي هذه العمليات «نوعية جديدة من الشباب الفلسطينيين غير المنتمين لحركات فلسطينية مسلحة ويتمتعون بروح تضحية عالية».

وتابعت المجلة أن منفذي العمليات الحالية من الفتيان والشبان الذين تتراوح أعمارهم ما بين ١٦ و٢٥ عاماً، ومعظمهم غير متزوجين،

حكومة «نتنياهو» شرعت في حظر «الحركة الإسلامية» رغم معارضة الأمن الصهيوني لخشيته من تدهور الأوضاع الأمنية في الداخل

هناك تطور في عمليات المقاومة مقارنة مع الشهر الأول من انتفاضة القدس حيث دخلت عمليات إطلاق النار

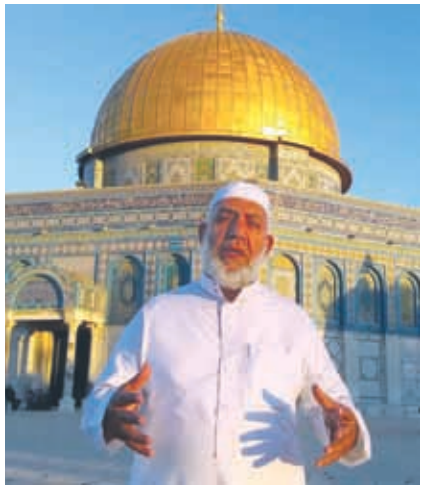

ناجح بكيرات

«الشاباك»: أكتوبر الماضي هو الأصعب منذ ٩ سنوات بسبب العمليات التي نُفذت

أظهرت الإحصائيات أن ١١ قتيلاً صهيونياً ومئات الإصابات وقعت خلال شهر أكتوبر الماضي في ٦٠٢ عملية

«الهبَّة» نجحت في تعطيل مشروع تقسيم الأقصى زمانياً ومكانياً بعد أن كان الاحتلال يشعر بأنه اقترب من إتمام ذلك

بكيرات: رغم الانقسام في المواقف السياسية فإن الشعب الفلسطيني يتحد اتحاد الدم في الضفة والقطاع والداخل الفلسطيني

وأن ٧ من بين منفذي العمليات الفلسطينية الأخيرة من النساء.

وتشير «إسرائيل ديفينس» إلى أن ما يرعب أجهزة الأمن الصهيونية أن الإجراءات المشددة التي اتخذتها وأدت إلى قتل معظم منفذي الهجمات، لم تبث الخوف في نفوس الفتيان الفلسطينيين الذين تسابقوا لتنفيذ عمليات جديدة.

جيل جديد

وتقول الكاتبة الصهيونية «عميره هاس»: إن المواجهات المتصاعدة في الضفة الغربية والقدس الشرقية، تعكس فقدان الأمل لدى الأجيال الفلسطينية الجديدة؛ بسبب ممارسات دولة الاحتلال وفشل السلطة الفلسطينية.

وتضيف الكاتبة في مقال نشرته بصحيفة «هآرتس» العبرية أن المواجهات المستمرة في الأراضي الفلسطينية، يقف خلفها جيل جديد من الفتيان والشبان الفلسطينيين الذين فقدوا كل أمل في «اتفاق أوسلو»، وحذرت من التبعات الاقتصادية للعمليات الفلسطينية، وتواصل الانتفاضة على الأسواق والحركة التجارية الصهيونية، للأسبوع الثامن على التوالي، منذ أن اندلعت أوائل أكتوبر الماضي.

ركود تجاري

ويقول الكاتب «روعي ينوفيسكسي»: بالرغم من أن الأيام الأخيرة شهدت انخفاضاً واضحاً في عدد العمليات الفلسطينية من الطعن والدهس ضد «الإسرائيليين» في مدينة القدس تحديداً، ورغم تواجد قوات الجيش «الإسرائيلي» وحرس الحدود، فإن ذلك لم يسر على قطاع الأعمال والتجارة في المدينة، ولم تتمكن الحركة التجارية «الإسرائيلية» من العودة إلى طبيعتها في المرحلة التي سبقت اندلاع الانتفاضة.

وأضاف: حتى إن سوق «محنيه يهودا» الأكثر شهرة في القدس ما زالت في حالة جمود وتوقف نسبي إلى حد كبير؛ خشية من تجدد العمليات الفلسطينية.

ونقل المراسل عن «فيني تسدكيهو»، صاحب محلات خضار وفواكه في القدس، أنه تضرر كثيراً من موجة العمليات الفلسطينية الأخيرة ومُني بخسائر كبيرة، وتراجعت أرباحه بنسبة ٥٠٪، وقال «تسدكيهو»: رغم أن حجم المبيعات تراجع بصورة كارثية، ما زالت الضرائب التي تفرضها علينا الحكومة كما هي، ليس هناك من أحد يعتني بنا، لا من داخل الحكومة ولا خارجها، رغم أن الانتفاضة وصلت آثارها إلى هنا.

«إليشع بن كيمون» كتب في «يديعوت أحرونوت»: إن جميع الأعمال التجارية «الإسرائيلية» تضررت خاصة المحلات الكبيرة، وناشد «الإسرائيليين» بالتوقف عن حالة الخوف والهستيريا التي تتملكهم،

بسبب تواجد قوات الأمن والشرطة وحرس الحدود بصورة مكثفة، مضيفاً أن الخسائر «الإسرائيلية» الكبيرة وقعت في المطاعم، مع تراجع حركة الرواد من الزبائن بمعدلات سيئة ومحبطة.

وهناك واقع يسهم في تراجع الحركة التجارية بسبب العمليات الأخيرة؛ وهو أن معظم المحال التجارية يعمل فيها عمال فلسطينيون بجانب اليهود، وفي أعقاب تزايد العمليات بدأ الجيش بإقامة حواجز عسكرية وحملات تفتيش دقيقة على كل مركبة فلسطينية تدخل لمناطق المستوطنات، وما دامت معظم السيارات الفلسطينية لا تمتلك تصاريح أمنية لدخول المستوطنات، فإنها تضطر للبقاء خارجها، ويدخل العمال الفلسطينيون على أقدامهم، وهذا كله أضر بالمحلات التجارية «الإسرائيلية»، حتى إن بعضها لا يدخلها إلا زبون واحد في اليوم فقط.

ويقول الكاتب الصهيوني «موشيه ليون» في مقال نشر في «يديعوت أحرونوت»: العمليات الفلسطينية الأخيرة عملت على تخفيف حركة الزبائن أمام المحلات التجارية في المدن «الإسرائيلية»، وخاصة القدس، وبات السياح الأجانب والمحليون يخشون من الذهاب إلى المدينة؛ لأنها باتت تتلقى ضربات قاسية من منفذي العمليات الفلسطينية؛ لأن عملية فلسطينية تستخدم سكيناً واحداً نجحت في الإضرار بمحلات تجارية ومقاه ومطاعم وفنادق.

ثلاثة مطالب

من جانبه، يرى د. ناجح بكيرات، رئيس قسم «التعليم الشرعي» في المسجد الأقصى المبارك، أن هذه الانتفاضة يجب أن تحقق ثلاثة مطالب على الأقل فيما يخص المسجد الأقصى ومدينة القدس المحتلة.

وأشار بكيرات إلى أنه ينبغي طرح عدة مطالب حتى تحققها الانتفاضة؛ أهمها منع اليهود من دخول المسجد الأقصى المبارك، وفتح أبوابه دون قيد أو شرط أمام المسلمين، والمطالبة بحرية الحركة والتنقل بين الأحياء، وإزالة كل مظاهر التجييش والعسكرة والتنكيل بالفلسطينيين، داعياً إلى محاكمة الاحتلال على جرائمه، مطالباً بإعادة النظر في «اتفاقية أوسلو» وإنهائها بلا رجعة، لأن قوات الاحتلال لم تنفذ أي جزء منها.

ويقول: إن هذه الانتفاضة ستكون محطة ورافعة يجب الاستفادة منها لوضع الإستراتيجيات لمواجهة مخططات الاحتلال الهادفة لتهويد القدس والأقصى.

أما عن الموقف الفلسطيني من التطورات الحاصلة، فيرى بكيرات أنه رغم الانقسام في المواقف السياسية؛ فإن الشعب الفلسطيني يتحد اتحاد الدم في الضفة والقطاع والداخل الفلسطيني.■

علاء الريماوي

أكثر من ٢٦٪ من الفلسطينيين يعارضون العودة إلى المفاوضات السلمية مع الصهاينة

ما يرعب الأمن الصهيوني أن الإجراءات المشددة لم تبث الخوف في نفوس الشباب الفلسطيني الذين تسابقوا لتنفيذ عمليات جديدة

العمليات الأخيرة أضرت بالمحلات التجارية «الإسرائيلية»

ارتفاع نسبة المؤيدين لانتفاضة ثالثة مقارنة بشهر يونيو الماضي بأكثر من ٢١٪

ليبيا..

بين عجز أبنائها وغدر أصدقائها!

د. نزار كريكش

تطورات كثيرة شهدها المشهد السياسي الليبي في الأسابيع القلية الماضية، كلها تشير إلى أن الحرب بالوكالة كانت جزءاً من أسباب استمرار الصراع، يأتي هذا في سياق مجموعة من الرسائل التي سُربت عبر صحيفة «الجارديان» وكذلك «النيويورك تايمز»، والتي شككت في مجملها في مصداقية الوسيط الدولي «برناردينو ليون» في الحوارات التي جرت في الأشهر السابقة، هذا الأمر أدخل المشهد في حالة من الجمود والترقب.

وقد نشرت صحيفة «الجارديان» البريطانية بعض «الإيميلات» (الرسائل) التي تظهر مشاورات المبعوث الدولي مع وزير الخارجية لإحدى الدول الخليجية، كما نشرت صحيفة «النيويورك تايمز» الأمريكية «إيميلات» أخرى تظهر الاتفاق على إرسال أسلحة لمُطلق «عملية الكرامة» وهو قائد الجيش الليبي التابع للبرلمان الليبي في طبرق؛ الأمر الذي طالب المبعوث بالتحقيق فيه باعتباره مخالفاً لقرارات مجلس الأمن بعدم تسليح أطراف النزاع في ليبيا، هذه الأجواء نشرت حالة من الانقسام في طرابلس بين من يرى ضرورة المضي في الحوار رغم كل هذه الملاحظات، ومن شكك في الاتفاق برمته، وكأن ما أظهرته هذه التسريبات كان سراً!

الانقسام يزداد، والحوار دخل في حالة من الجمود بين الخجل الذي أظهره بعض المسؤولين في مجلس الأمن، كما بينت مجلة «فورين بوليسي» الأمريكية، والتشكيك وتبادل التهم بين من وقّعوا بالأحرف الأولى على مسودة «ليون» ومن رفضوا التوقيع.

مجلس النواب الليبي في الشرق (طبرق) ليس أسعد حالاً؛ حيث الانقسام حول تشكيلة الحكومة التي اقترحها «ليون»، وهذا الانقسام ليس راجعاً إلى تلك التسريبات التي شككت في مصداقية «ليون»، بل راجع إلى أن التشكيلة الحكومية التي اقترحها «ليون» لم تُرُق للتركيبة العشائرية، ولم تراعِ موازين القوى التي خلقتها

حالة التناسج بين العسكري والسياسي التي رضيها البرلمان.

الحرب بالوكالة

تبدو الحرب بالوكالة نموذجاً قد يفسر حالة الجمود التي وصل إليها الأمر في ليبيا، وتتجلى مظاهر ذلك في تأكيد مجلس النواب على دعم كل من الإمارات ومصر لتحركاته؛ وهو ما يفسر محاولة البرلمان الدفاع عن حادثة المواطن الخليجي الذي قبضت عليه شرطة مطار معيتيقة في طرابلس، والذي أكدت النيابة العامة أنه تابع لمخابرات دولته الخليجية.

الحرب بالوكالة لا تعني فقط وجود حرب بين دولتين على أرض دولة أخرى؛ بل إنها تعني في أحد تعريفاتها وجود إستراتيجية لدعم أحد أطراف الصراع في بلد آخر، وهذا البعد قد يُظهر أن الفراغ الإستراتيجي الذي خلفه فشل الدولة الليبية جعل لدول الإقليم مخاوف إستراتيجية جعلها تعمل على تصميم نظام يضمن مصالحها، وتسبب في ظهور قوى مسلحة كـ«تنظيم الدولة» والتنظيمات المسلحة الأخرى، الأمر الذي جعل مجلس الأمن يؤكد ضرورة تطبيق مسودة «ليون»، واختار «مارتن كوبلر»، الدبلوماسي الألماني، لمواصلة مسيرة «ليون».

مستقبل مسودة «ليون»

هل سيحافظ «مارتن كوبلر» على مسودة «ليون»؟ هذا هو الظاهر، فمجلس الأمن في أكثر من جلسة كان راضياً على الإطار الذي اختاره «ليون»، قد يكون هناك تغيير طبعاً في سياسة «كوبلر» خاصة في اختيار مجلس رئاسة الوزراء، فقد تبين أن تأكيد «ليون» على شخصيات بعينها هو جوهر التحيز الذي كان عليه، فإن «ليون» وغيره يعرفون أن وجود مؤسسات في ليبيا شيء عزيز بسبب النظام السياسي الذي ارتضاه «القذافي» لنفسه، وهو النظام الذي لا يؤمن بالتراتبية الهيراركية (الهرمية)، وبالتالي لا مناص من ضمان استقرار النظام الليبي، والتأكد من التحكم في مفاصله، وذلك من خلال اختيار شخصية للحكومة يمكن تحقيق مصالح وضمان سلوكها المستقبلي، هذا الأمر هل سيتغير مع «كوبلر»؟ بعض المحللين يرون أن الدبلوماسية الألمانية بالعموم كانت حيادية، إلا أن تاريخ «كوبلر» في العراق كان محل نقد كبير؛ إذ اتهمه بعض المراقبين بالجبن أمام الطائفية التي يمارسها المالكي في العراق.

مارتن كوبلر المبعوث الأممي الحالي

برناردينو ليون المبعوث الأممي السابق

الغرب يدرك أن وجود مؤسسات في ليبيا شيء عزيز بسبب النظام السياسي الذي ارتضاه «القذافي» لنفسه

هجمات فرنسا قد تدفع المجتمع الدولي إلى أن يكون أكثر إصراراً على الوصول لاتفاق بين الأطراف الليبية

سيحتاج «كوبلر» بالطبع بعض الوقت لكي يفهم الواقع الليبي، وربما ستكون هناك مرونة في التعامل مع طلبات المؤتمر الوطني، خاصة بعد الحرج الذي خلفه «ليون» في ليبيا، إلا أننا نتوقع أن يكون المجتمع الدولي أكثر إصراراً على الوصول لاتفاق في ليبيا، خاصة بعد ما حدث من أعمال إرهابية في فرنسا؛ حيث صارت المنطقة بحاجة مهمة لنظام يمنعها من مزيد من الفوضى.

إستراتيجية المجتمع الدولي

لفهم العلاقة بين ما يحدث في الشرق الأوسط وما يحدث في ليبيا وشمال أفريقيا، لا بد من إدراك أن الوضع في ليبيا يتجاذبه تفسيران؛ أحدهما يرى أن غياب مؤسسات الدولة هو السبب في انتشار الفوضى والحرب والإرهاب، والآخر يصر على وضع ليبيا في سياق الحرب على الإرهاب، والفرق بين الاثنين يبدأ في ترتيب الأولويات؛ فالتفسير الأول يجعل تشكيل الحكومة شرطاً أساسياً

خليفة حفتر

لبدء الحملة ضد «داعش» وبيد ليبية، أما الآخر فيفترض إمكانية وجود حملة دولية بقيادة دول عندها فائض جيوش تقليدية من الجنود المشاة كمصر وتشاد والنيجر.

هذا الأمر دلت عليه بعض التقارير التي نشرها حلف «الناتو» عن التجربة الفرنسية في مالي؛ حيث بينت أن الجيوش غير التقليدية لا يمكنها أن تُحدث استقراراً؛ لذا لا بد من جيوش تقليدية، وفي ليبيا يبدو أن المقاتلين إما أن يكونوا في إطار حكومة يمكن التعامل معها مالياً وسياسياً من خلال تنظيم سلوكها حاضراً ومستقبلاً، وإما أن يكونوا من دول أخرى لا يوجد فيها نظم تهتم بمواطنيها يمكنها أن تزج بمقاتلين في وضع صعب مثل ليبيا.

معاناة المواطن

هذا الانقسام السياسي والتعثر في الحوار انعكس على حياة المواطن من خلال زيادة الأسعار، وارتفاع سعر الدولار بشكل غير مسبوق تجاوز حاجز ثلاثة دنانير ليبية؛ الأمر الذي لم تشهده ليبيا منذ زمن طويل، خاصة مع استمرار الصراع في بنغازي وما يترتب عليه من عمليات نزوح ولجوء.

تقرير «هيومن رايتس ووتش» الذي صدر هذا الشهر أشار إلى الممارسات التي قامت بها مليشيات تابعة للواء حفتر؛ مثل التهجير وحرق البيوت وغيرها من المشاهد التي جعلت التقرير يحث الليبيين على المسارعة في الاتفاق السياسي الذي ينهي الانقسام، ويضع حداً للأزمات الاقتصادية، والمعاناة الإنسانية التي يبدو أنها ستزداد، خاصة بعد تقرير المصرف الليبي المركزي بعدم قدرته على دفع مرتبات المواطنين إذا استمر هذا العجز في الميزانية، خاصة بعد أن قرر الزعيم القبلي في مدينة أجدابيا في وسط البلاد إغلاق بعض موانئ النفط؛ فعلاوة على انخفاض سعر النفط فإن الإنتاج وصل إلى أقل مستوياته بعد هذا القرار من زعيم مليشيا يدعي أنه يريد الحفاظ على موارد البلد!

٤ سيناريوهات متوقعة

مراكز الدراسات ترى أن السيناريوهات المتوقعة لليبيا أربعة:

أولها: أن تستمر الحرب الأهلية، وينشأ عن ذلك سيناريوهات لا تقل سوءاً كالتدخل الأجنبي أو انتشار الحرب من ليبيا إلى مصر أو الجزائر، أو انقسام البلد لدولة في الشرق وأخرى في الغرب والجنوب.

ثانيها: سيطرة «تنظيم الدولة» على جزء كبير من البلد، ومن ثم يصبح شمال أفريقيا أشبه بالشرق الأوسط؛ الأمر الذي جعل «جون كيري»، وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية، في اجتماعه في الرابع عشر من أكتوبر في فيينا مع نظيره الروسي، يؤكد ضرورة وجود حل لليبيا وسورية واليمن، من خلال الحفاظ على ما تبقى من الدولة قبل أن يستمر «تنظيم الدولة» في التمدد من سورية إلى سيناء إلى النيجر والصومال ومن ثم ليبيا.

ثالثها: يتوقع الحسم لأحد الطرفين، وهذا يبدو أن الواقع قد تجاوزه؛ لأن أغلب الإحصاءات تؤكد أن سنة من الصراع في أي حرب أهلية قد تمنع من هذا الحسم؛ بسبب الإنهاك، وصعوبة الاستمرار بنفس الجذوة (الأمر الذي يتوقع في حالة وجود حرب بالوكالة).

رابعها: السيناريو الأخير وهو الوصول لحكومة توافق، وهذا قد يكون بدعم أممي يضمن وجود مؤسسات تمنع من الانزلاق نحو معركة تكسير عظام كالتي شهدها البلد بعد الثورة، حين تُرك المجال للساسة الليبيين لممارسة السلطة، فتدخلت دول إقليمية ولم تفلح المرحلة الانتقالية؛ لذا فالسيناريو الأخير وهو إنشاء حكومة بدون دعم مؤسسي قد يكون عبارة عن حالة استقرار مؤقتة سرعان ما تنتهي إلى حالة من الفوضى تبدأ من حيث انتهت.■

> استمرار الحرب الأهلية قد ينشأ عنه سيناريوهات كارثية كالتدخل الأجنبي أو انقسام البلد لدولة في الشرق وأخرى في الغرب والجنوب

> الحرب بالوكالة قد تتجاوز المفهوم التقليدي إلى وجود إستراتيجية لدعم أحد أطراف الصراع في بلد آخر

> التقارير بينت أن الجيوش غير التقليدية لا يمكنها أن تحدث استقراراً

المصرف الليبي المركزي هدد بعدم قدرته على دفع مرتبات المواطنين إذا استمر العجز في الميزانية بهذه الصورة

مقال

بقلم: د. عامر البو سلامة

القضية السورية.. ومسألة الهوية

قامت الثورة السورية تطالب بالحرية والعدل وحقوق الإنسان، وهي ثورة شعبية عارمة، شاركت فيها مختلف فئات الشعب، وهذه من مفاخر هذه الثورة، فلم تكن ثورة حزب أو جماعة أو تيار، واستطاعت هذه الثورة - خصوصاً في بداياتها - أن تصنع وحدة وطنية رائعة في الإطار العام، وكان من شعاراتها «واحد واحد واحد.. الشعب السوري واحد»؛ ذلك لأن النظام يسعى لتفتيت الناس وتمزيقهم، على أساس مكونات الشعب السوري الانتمائية المعروفة، وهذا خطر يهدد الثورة في مهدها، ومؤشر خطر على مستقبلها؛ لذا حرص الثوار على هذا الأمر، شعوراً منهم بأن الأمر إذا مضى والناس صف واحد، سيكون له أكبر الأثر، في نجاح الثورة، بينما لو حدث الشقاق والخلاف والفرقة، سيؤدي إلى ضياع البلد وفشل الثورة.

هذا الموضوع وهذه القضية تحتاج إلى وعي كبير من قيادات الثورة، وأبنائها بالمستويات كافة، كما أن الأمر يحتاج إلى برنامج عمل دقيق، بناء عليه يكون مسار هذه الثورة، ومن ذلك الحذر من الخوض في تفاصيل الأدلجة، وتقريرات مبسوط الأحكام، والاتفاق على القواسم المشتركة العامة، وعدم الخوض فيما يشق الصف، ويخرب وحدة الناس، ويجب التركيز على إسقاط النظام، ووحدة سورية، وغير ذلك من الأساسيات.

وفعلاً مضى الأمر على هذا المنال، وقدمت أوراق سياسية طيبة، تحمل في طياتها معالم الوعي والشعور بالمسؤولية، ومنها ورقة «ميثاق الشرف الثوري» الذي وقّعت عليه مجموعة من الفصائل، ومنها «وثيقة المبادئ الخمسة» التي كانت برعاية كريمة من المجلس الإسلامي السوري، ووقّعت عليها كثير من الفصائل والمجموعات والجماعات، كما شارك في التوقيع عليها مجموعة من الشخصيات الوطنية، التي لها مكانتها، وبين هذه وتلك كانت وثائق وأوراق توافق عليها سياسيون، كلها كانت تصب في المعنى الذي أشرنا إليه.

والثورة في نفس الوقت كانت تخرج من المساجد، وشعاراتها العامة إسلامية، وفي بطنها الأدعية المباركة «يا الله يا الله.. ما لنا غيرك يا الله»، كما كانت نداءاتها بناءة تدعو إلى التضحية والفداء «شهداء بالملايين.. على الجنة رايحين»، في جو متناغم رضي عنه الناس كافة، حتى إن رئيس المجلس الوطني جورج صبرا، يفخر بأن الذين كانوا يطالبون بالإفراج عنه هم رواد المساجد.

فشعبنا السوري معروف بهويته الإسلامية الأصيلة، وبمرجعيته الشرعية المتينة، القائمة على الفطرة، ونبذ الغلو (التطرف)، فجموع الشعب تؤمن بالتعايش ومارسته مئات السنين، وشعارها استئناف الحياة على معاني الحرية والكرامة، وحقوق الإنسان، وتؤكد قيمة العدل بين الناس، وتندد بالظلم والظالمين، مهما كان انتماؤهم، أو تلونت مشاربهم، إنه الإسلام، بفقهه السياسي المرن، وسياسته الشرعية، التي تقوم على جلب المنافع، ودرء المفاسد، وتحقيق العدل بين الناس، فقه الرشد والوسطية، ونبذ الغلو.

وفي زحمة الحدث ظهرت هنا وهناك، نتوءات خطر، تؤكد غير هذا المعنى، وتحاول المضي بالناس والثورة إلى مربعات بعيدة عن الرشد، وخالية من الحكمة، وتريد سوق الثورة على مشتهاها، في اليمين أو اليسار، وهذا أمر غير مقبول، ولعل بذور ذلك بدأت في بعض المؤتمرات الباكرة.

وكان نصيبها الرد، وحاصرها المخلصون من أبناء هذا الشعب الغيور الميمون.

واليوم تأتي هذه المسألة، ولكن بثوب جديد قديم، وبلغة مرفوضة، وهي استفزاز لمشاعر ملايين المسلمين في سورية، لأنها تمس هوية الأمة، وتحاول التسلل إلى دوائر خصوصيتها، وهذا الأمر لا يملكه أحد من الناس كائناً من كان، وخصوصاً إذا جاء من جهة خارجية، ليس لها علاقة بالبلد وأهله، وعقيدته وتاريخه، إنها الخوض في شؤون الآخرين بدون استئذان ولا «إحم ولا دستور»، فهذا عدوان صارخ، واستهتار بالناس.

إن من أبسط المبادئ العالمية احترام خصوصية الناس، وهذا الأمر يشمل كل الناس «لا إكراه في الدين»، فما لنا نرى الذين يدعون الحرية وحقوق الإنسان يتطالون على الناس في سورية الجريحة، ويحاولون فرض نموذجهم على أبناء هذا الشعب، وعلى مسار ثورته، وعلى مستقبل البلد وشكل التكوين القادم.

اتركوا الأمور لأبناء الشعب السوري، من العلماء والقادة والثوريين والسياسيين، هم من يقرر المعاني التي يريدونها في شأن الحكم والسلطة وإدارة البلد، وتحديد الهوية.

وهذا كله يلفت أنظارنا إلى أهمية الموضوع، وأن على أبناء الشعب السوري وقواه الثورية أن تجتمع كلمتهم على رفض فرض النموذج، وتحديد الهوية.

ديننا بفهم العلماء العدول الثقات سلفاً وخلفاً أغلى ما نملك، ولأجله يرخص كل شيء.■

اليمن:

«الحوثي» وخيارات مُرة.. بين الحل السياسي والاستمرار في المواجهة العسكرية

صنعاء: عبدالملك شمسان

يتجدد نشاط الحرب المستعرة في عدد من المحافظات اليمنية الوسطى، وتعود الحركة السياسية الخارجية النشطة في إطار الترتيب لحوار «جنيف ٢» بين السلطة الشرعية ممثلة بالرئيس عبدربه منصور هادي وحكومته والأطراف اليمنية المؤيدة للشرعية، وسلطات الانقلاب المسلح الذي نفذه الحوثيون وحليفهم علي عبدالله صالح، ويعود معهما الجدل بشأن الحسم، وما إذا كان سيحسم في ميدان السياسة أم في ميدان الحرب في ظل انعدام الرؤية تحت كثافة الغبار في كلتا الساحتين.

انتعش الحوثيون على الميدان خلال الشهر الماضي (نوفمبر)، وعادوا يستهدفون بصواريخ «الكاتيوشا» مدينة مأرب شرقي البلاد، ويحاولون تعزيز تواجدهم في بعض منطقة «صِرْوَاح» بالتقدم إليها عبر «بني ضبيان» التي هي أحد بطون قبيلة «خولان»، ويخوضون هناك مع القبائل حروباً شرسة.

الوضع الميداني

خلال الشهر الماضي، تمكن صالح والحوثيون من السيطرة على «المسراخ» في محافظة تعز، وبالتزامن مع ذلك تمكنوا من إشعال الحرب في منطقة «المَضَارِبَة» على الحدود بين محافظتي تعز ولحج، وهي الحدود التي تفصل الشمال والجنوب حسب تقسيم ما قبل وحدة شطري اليمن، وبدا أنهم يدقون بهذا أبواب الجنوب المحرر من جهة الغرب، كما يدقونها من أبواب الوسط بعد تمكنهم من العودة إلى مديرية «دمّت» التابعة لمحافظة الضالع والقريبة من صنعاء، فضلاً عن أن المعارك ما تزال تحتدم في عدد من المناطق التابعة لمحافظة شبوة الجنوبية الشرقية، وتنتعش معنوياتهم، وتزداد الحيرة على وجوه المؤيدين للشرعية في الطرف الآخر.

في المقابل، خرج قائد في المقاومة الشعبية في محافظة الجوف شرق البلاد مؤكداً الاستعداد التام لدى المقاومة والجيش الوطني المسنودين بقوات التحالف لتطهير المحافظة، تاركاً التساؤل عما إذا كانت كل تلك الإمكانات التي وصلت إلى مأرب والتحم جزء كبير منها بمحافظة الجوف ما تزال مجرد استعدادات، وما الذي يمنع القرار السياسي من أن يطلق لها صافرة البدء؟!

وفي الأثناء، ينفي الناطق باسم قيادة قوات التحالف العميد أحمد عسيري تأخر التحالف عن تحرير تعز، معتبراً أن التأخير أو التقديم مرتبط بموعد زمني، فيما لم يصدر موعد بتحرير هذه المحافظة حتى يمكن الحكم بناء عليه بالتقدم أو التأخر، مفيداً أن تحرير تعز ما يزال قراراً مؤجلاً كما هي الحال في الجوف، وأن هاتين الجبهتين الرئيستين اللتين يعوَّل عليهما في تنفيذ الحسم العسكري النهائي ما تزالان تنتظران القرار السياسي المثير باحتجابه لجدل شعبي واسع وتناول إعلامي شبه يومي.

توغَّل صالح والحوثيون في هذه الجبهات، وبدؤوا يتسللون إلى مناطق أبعد ويستعدون للتوسع، وشدّوا قبضتهم بالحصار على مدينة تعز، ليهتز الطرف الآخر محركاً القوات من عدن إلى تعز، وتبدأ معاركها في منطقة «الشُّرَيْجة» على بعد ٣٠ كيلومتراً من تعز من الجهة الشرقية، ثم تتقدم منها نحو «الراهِدَة»، وتتجه مجاميع من قوات المقاومة الشعبية الجنوبية لتستعيد في تعز منطقة «الوازعيَّة» القريبة من باب المندب، فضلاً عن تعزيز المقاومة في منطقة المضاربة، واستمرار القصف الجوي على مواقع الحوثيين في داخل مدينة تعز وخارجها.

تغيرت المعادلة، وانتعشت المقاومة ومؤيدوها، وانفتح باب الأمل بتحرير تعز، وأطلق قائد المنطقة العسكرية الرابعة تصريحاً عن انطلاق معركة تحرير تعز، واشتعلت وسائل الإعلام، إلا أن ذلك التحرك العسكري لم يكن لتحرير تعز، ولم يهدف لأكثر من فك الحصار عن المدينة وصدّ التقدم المتزايد للحوثيين، ولا تزال القوة التي تحركت من عدن تخوض معاركها بعيداً عن مدينة تعز، وقد برر مساعد وزير الدفاع اللواء عبدالقادر العمودي تأخر حسم معركة تحرير تعز بأنه أمر طبيعي؛ لأنها آخر معاقل المتمردين؛ بحيث إنهم حاولوا التقدم أكثر من مرة ولكنهم فشلوا في ذلك.

الخيارات السياسية

يحتجب القرار السياسي الذي تنتظره قوات الجيش الوطني والمقاومة الشعبية المستعدة لتحرير الوسط الممتد من تعز إلى المَخَا على باب المندب، وصولاً إلى ميناء الحُدَيدة على البحر الأحمر، ويحتجب – أيضاً – عن القوات الهائلة المرابطة في الشرق على الحدود مع السعودية (مأرب –الجوف – صعدة وحرف سفيان)، مثيراً باحتجابه لجدل شعبي واسع يبحث عن الأسباب والمبررات، وهي المبررات الكامنة في ميدان السياسة الذي ما يزال من جهته أكثر غموضاً، وتظل الحرب ما بين كر وفر في ذات المربع.

فيما قام الأمين العام للأمم المتحدة بزيارة للرياض، وقد أكد من هناك ضرورة التحول نحو الحل السياسي، ويعلن مبعوثه الخاص إلى اليمن إسماعيل ولد الشيخ الـ٢٧ من نوفمبر موعداً لانطلاق الحوار السياسي في العاصمة السويسرية فيما يعرف بـ «جنيف ٢» قبل أن يقوم بجولة إقليمية في الخليج يسبقها بزيارة غير معلنة إلى طهران، ويلتقي

خلال الشهر الماضي تمكن صالح والحوثيون من السيطرة على «المسراخ» في تعز وإشعال الحرب في منطقة «المَضَارِبَة» على الحدود بين محافظتَي تعز ولحج

تعز والجوف الجبهتان الرئيستان اللتان يعوَّل عليهما في تنفيذ الحسم العسكري النهائي ما تزالان تنتظران القرار السياسي

علي عبدالله صالح

أنباء صحفية تؤكد رفض دولة الإمارات مغادرة العميد أحمد علي عبدالله صالح أراضيها إلى جيبوتي وقد فتح طلبه التكهنات حول توقيت الطلب

خلالها بوفد من الحوثيين في مسقط، وكانت الحكومة اليمنية قد بادرت مطلع الشهر إلى إعلان تشكيلة الوفد الممثل لها في الحوار، مبدية نشاطاً نحو «جنيف ٢» على عكس حالها في «جنيف ١»، ويتلكأ الحوثي من جانبه.

مصادر مطلعة تؤكد لـ «المجتمع» أن الحوثيين طلبوا قبل أسبوع من موعد انطلاق «جنيف ٢» مهلة لمدة أسبوعين ليتدارسوا رؤيتهم للحوار، الأمر الذي استدعى من الأمم المتحدة تأجيل الموعد إلى أجل غير مسمى من الشهر الجاري (ديسمبر).

وفي ٢٢ نوفمبر، نشر محمد عبدالسلام، الناطق الرسمي باسم زعيم الحوثيين عبدالملك الحوثي، على صفحته بموقع التواصل الاجتماعي «فيسبوك» منشوراً يتحدث فيه عن توجههم إلى مسقط بعد تلقيهم – كما قال – ملاحظات إيجابية على النقاط التي طرحوها بشأن الحوار السياسي، مضيفاً أنهم تلقوا دعوة من عدة أطراف أوروبية لزيارتهم وإطلاعهم على رؤيتهم للحوار عن كثب، وهو ما قد يفسر بمحاولات الحوثيين للوصول إلى بعض الأطراف الأوروبية بهدف استمالتهم إلى صفهم.

وقد أبدت الحكومة اليمنية حماساً لافتاً لحضور «جنيف ٢»، بإعلانها المبكر عن ممثليها في الحوار، ومطالبتها للحوثيين بتشكيل وفدهم، وموافقتها على أن تكون في ٢٧ نوفمبر (الماضي) موعداً للحوار، وربما أن في ذلك مؤشرات على استعداداتها للحوار بشيء ما، والأكثر لفتاً للنظر هو سماحها للحوثيين بالتقدم في أكثر من منطقة، وكأنها بذلك تلعب على وتر تشجيع الحوثي للقبول بالحوار واتخاذ خطوات عملية بذلك، تبعاً لكونه يعتقد أن تقدمه في هذه المناطق من شأنه أن يعزز موقفه في الحوار ويرجح كسبه لجولاته، فيكون تقدمه الميداني بمثابة حبل يجرجره إلى حوار جنيف الذي ينطلق أثناءه القرار السياسي من دول التحالف لكل من جبهة «تعز – المخا – الحديدة»، وجبهة «مأرب – الجوف – صعدة وحرف سفيان»، وينحصر حوار جنيف حينها في كيفية تسليم واستلام صنعاء.

وهذا يفسر – ربما – تلكؤ صالح والحوثيين رغم أنهم الطرف الذي يبحث عن مخرج سياسي، ورغم ذلك فقد يوفر لهم حوار جنيف أحد أمرين؛ إما أن يعزز موقفهم، خاصة أن هناك أطرافاً دولية كبرى – شرقية وغربية – تساندهم من طرف خفي، ويحققوا بالتالي مكاسب سياسية تقل أو تكثر، وإما أن يوفر لصالح وبعض قيادات الحوثيين ضمانة لحياتهم الشخصية وخروجاً آمناً من البلاد مقابل تسليم صنعاء، فتبدو صنعاء – إذا صح هذا – كناقلة ركاب كبيرة مختطفة من قبل مجموعة إرهابيين يساومون بحياة جميع الركاب مقابل حياتهم، وهو ما يحملهم على الاستمرار في القتال حتى آخر لحظة، وكأن هذا أحد أسباب مبالغتهم في الاستعداد لمعركة صنعاء، أي حتى يرسخوا لدى الأطراف الخارجية ودول التحالف أن الحسم العسكري في صنعاء باهظ الكلفة، وهي القناعة التي سبق للولايات المتحدة والأمم المتحدة أن عبرتا عنها بصراحة، وهذا ما دفع مستشار الرئيس اليمني د. محمد موسى العامري إلى التأكيد أن الانقلابيين لا يرغبون في السلام، ويرفضون الالتزام بالقرار (٢١٢٢).

وأوضح أنه لم يتم حتى اللحظة الاتفاق على جدول الأعمال، ولم يعلن الحوثيون أسماء وفدهم، ولم يبدوا ملاحظاتهم حول جدول المشاورات وكيف سيتم وكل ما يقومون به هو المراوغة.

وعن طبيعة الخلاف الدائر حول

المفاوضات، قال العامري: حددنا في السلطات الشرعية محطتين للمشاورات؛ الأولى استعادة الدولة وبسط نفوذها وتسليم الأسلحة التي نهبت للدولة والمعسكرات، وفك الحصار عن تعز وكل المدن اليمنية، تتبعها المرحلة الثانية وهي المشاورات السياسية، مشيراً إلى أن الحوثيين يصرون على ضرورة أن تبدأ المحطة الثانية السياسية قبل الأولى التنفيذية والمتعلقة بإزالة آثار الانقلاب.

وأشار إلى أن الحكومة اليمنية أبلغت المبعوث الأممي إسماعيل ولد الشيخ أنه لا يمكن الذهاب إلى جنيف دون تحديد جدول الأعمال، معتبراً أن الحوثيين يسعون لتحقيق مكاسب ميدانية.

وأوضح أن الحوثيين مطالبون ببناء الثقة من خلال الإفراج عن المساجين كإجراء للإثبات على مؤشر الجدية في المشاورات وهذا ما لم يحصل، مؤكداً حرص الحكومة اليمنية على السلام.

مؤشرات المعركة القادمة

رغم توقف المقاومة والجيش الوطني وقوات التحالف عن التقدم صوب صنعاء، والاقتصار على صد التقدم الحوثي هنا وهناك أو تطهير بعض البؤر المتبقية في المحافظات المحررة، فإن الاستعدادات مستمرة لمعركة كبرى قادمة.

في هذا السياق، وصلت إلى مأرب (١٨ نوفمبر) أربع كتائب من اليمنيين الذين تلقوا تدريبات في المملكة السعودية، مدججين بقوة من السلاح الشخصي والتجهيزات الفردية لم يسبق مشاهدتها في الدفعات السابقة، ومعززين بعشرات الدبابات والآليات العسكرية وكاسحات الألغام الحديثة.

وحول توقيت اقتحام العاصمة اليمنية صنعاء وتحريرها، قال مساعد وزير الدفاع اليمني: هذا الأمر يعتمد بالدرجة الرئيسة على قيادات المقاومة الموجودة في تلك المناطق؛ حيث إن المنطقة تعتبر وعرة وضيقة.

وفي ١٧ نوفمبر الماضي، وصل الرئيس عبدربه منصور هادي إلى عدن قادماً من الرياض، وعلى تعدد الرسائل الإيجابية لهذه العودة من قبيل إثبات سيطرة الدولة على عدن بعكس ما يروجه الإعلام الحوثي والموالي له من مبالغات بشأن سيطرة التنظيمات الإرهابية.. على هذا وغيره، فإن ما يمكن الوقوف عليه هو تلك التصريحات التي أدلى بها مسؤول بالرئاسة لوكالة «رويترز» متحدثاً عن اعتزامه الإشراف على حملة تحرير تعز.

وفي ٢١ نوفمبر الماضي، وصل نائبه رئيس الوزراء د. «خالد بحاح إلى مأرب قادماً من الرياض مروراً بالإمارات.

وفيما ذهب البعض إلى تفسير افتراقهما بأنه ناشئ من الخلاف الشائع بينهما، إلا أن الخلاف لا يبدو تفسيراً مقنعاً، خاصة أنهما كانا مقيمين سوياً في الرياض، والأقرب أن الأمر يشير إلى صحة تلك التصريحات، وإذا صحت فإن د. خالد بحاح سيتولى الإشراف المباشر على جبهة المحور الشرقي «مأرب، الجوف، حرف سفيان وصعدة»؛ أي مقابل إشراف الرئيس على جبهة المحور الغربي الممتد من تعز في الوسط مروراً بالمخا (تتبع تعز أيضاً من جهة باب المندب) والمنتهية بالحديدة وميناء ميدي على ساحل البحر الأحمر غرباً.

وأطلقت الحكومة «إذاعة صنعاء» من مدينة عدن وبتردد بديل للسابق الذي كانت تعتمد عليه الإذاعة عند سقوطها في يد الحوثيين، وأكدت الحكومة أن المحطة الإذاعية تغطي جميع محافظات الجمهورية، وهو ما يمكن اعتباره إشارة إلى أن هذه الإذاعة ستكون موجهة بدرجة أساسية إلى المحافظات الشمالية التي يسيطر عليها الحوثيون أثناء المعركة.

وقامت قبائل «بني ضبيان» في محافظة صنعاء باعتراض قوات صالح والحوثيين وخاضت معهم اشتباكات عنيفة لمنع مرور تعزيزاتهم العسكرية نحو مأرب، وهي المرة الأولى التي تتجرأ فيها قبيلة في هذه المنطقة بمواجهة الحوثيين من غير القبائل المعروفة بموقفها المبكر ضد انقلاب صالح والحوثيين.

ويتزامن ذلك مع تركيز مستمر من طيران التحالف على قصف مواقع تابعة لصالح والحوثيين في صنعاء والمحافظات الشمالية المجاورة.

وأكدت أنباء صحفية رفض دولة الإمارات مغادرة العميد أحمد علي عبدالله صالح أراضيها إلى جيبوتي، ليطرح السؤال هنا: لماذا رفضت الإمارات السماح لأحمد علي بمغادرة أراضيها إلى جيبوتي؟ ولماذا أراد هو المغادرة أصلاً؟ والجزئية المهمة في الخبر تتعلق برغبة أحمد علي بمغادرة الإمارات في هذا التوقيت بالذات، أي قبيل المعركة الكبرى التي تشير إليها المعطيات السابقة، وأن أحمد علي قد قرر مع والده وحليفهما الحوثي خوض الحرب ضد الإمارات والتحالف إلى النهاية التي أصبحت على الأبواب، ويخشى أن تأتي النهاية بالحسم العسكري وهو بالإمارات، وربما أنه تأكد الآن أن الإمارات ودول التحالف قد قررت المضي حتى النهاية على عكس ما كانت تصور له بعض الأطراف الداعمة، ويخشى أن تأتي هذه النهاية وهو على أراضيهم.

تتضافر هذه المعطيات لترجح أن انطلاق القرار السياسي بانطلاق العملية العسكرية الكبرى في المحورين المشار إليهما سابقا سيأتي مرتبطاً بانطلاق العملية السياسية المقررة في جنيف، مع الإشارة إلى أن المكان لم يحسم بعدُ بشكل نهائي.■

عبدربه منصور هادي

الحكومة اليمنية أبدت حماساً لحضور «جنيف ٢» بإعلانها المبكر عن ممثليها في الحوار ومطالبتها للحوثيين بتشكيل وفدهم

عودة الجدل حول لغة التدريس وتدريس اللغات في المغرب

الرباط: عبدالغني بلوط بن الطاهر

عاد الجدل في المملكة المغربية حول لغة التدريس وتدريس اللغات، بعدما أصدر رشيد بلمختار، وزير التربية الوطنية، أخيراً مذكرة وزارية تلزم تدريس المواد العلمية بسنة أولى ثانوي علمي وتقني بالمغرب باللغة الفرنسية بشكل تدريجي ابتداء من السنة الدراسية ٢٠١٥/٢٠١٦م.

ويعتقد عدد من المدافعين عن هذا القرار أن النقاش حوله مفتعل كون التلميذ المغربي ومنذ السنوات الأولى من المدرسة ملزماً بتعلم اللغة الفرنسية إلى جانب اللغة العربية، وفي بعض الأحيان اللغة الأمازيغية، وأن تدريس العلوم باللغة الفرنسية كان سائداً في المغرب طيلة ثلاثين سنة ما بعد الاستقلال، وبه تكونت الأطر المغربية التي تعمل الآن في الإدارات العمومية وفي المرافق الحيوية، وبه استطاع المغرب أن يواكب التطورات التكنولوجية الحديثة، ويبني علاقات متقدمة مع فرنسا وعبرها مع الاتحاد الأوروبي.

خطة إنقاذية

يرى بلمختار نفسه الوزير التكنوقراطي في حكومة عبدالإله بن كيران أن التعليم في المغرب – الذي اتخذت فيه العربية لغة لتدريس التاريخ والجغرافيا والعلوم في جميع المراحل منذ السبعينيات من القرن الماضي – يعرف الآن أزمة حادة يتفق الجميع على وجودها، ويسعى الوزير إلى تطبيق خطة «إنقاذية» ذات بُعد إستراتيجي طيلة الـ١٥ سنة المقبلة (٢٠١٦ – ٢٠٣٠م)، من بين مقترحاتها: إضافة إلى تدريس العلوم باللغة الفرنسية ابتداء من أولى ثانوي، بداية تدريس اللغة الفرنسية منذ السنة الأولى ابتدائي (لتلاميذ عمرهم ٦ سنوات) بدل السنة الثالثة ابتدائي مع التركيز على ثلاثة محاور أساسية هي القراءة والكتابة والتفتح.

ويعتبر بلمختار باتخاذه هذا القرار أن اللغة الفرنسية لم ولن تكون السبب في تدهور التعليم، وإنما أشياء أخرى – كما صرح هو نفسه – مرتبطة أساساً بتكوين المدرسين؛ حيث إن الآلاف منهم ولجوا التدريس دون تكوين، ومنهم من يستمر في التدريس دون النجاح في امتحان الكفاءة المهنية، ومنهم من لم يتلق أي تكوين مستمر منذ ولوجه المهنة قبل ٢٠ أو ٣٠ سنة، ويهدف بلمختار حسب خطته إلى تحسين ظروف استقبال التلاميذ، ومحاربة الهدر المدرسي الذي يعتبر معضلة في المغرب، مع إصلاح الاختلالات في التكوين لمهن التربية وفي جهاز تأطير وتقييم المدرسين، بالإضافة إلى إشكالية الحكامة، حيث هناك ملاحظات على الجهاز التنظيمي وفي نظام التدبير واللامركزية وكذا في سلسلة التدبير وتعبئة الفاعلين المحليين.

مناقض للدستور

لكن أمينة ماء العينين، الناشطة النقابية عضوة المجلس الأعلى للتربية والتعليم، أبرزت في تصريح لمجلة «المجتمع» أن هذه المذكرة الوزارية أثارت فعلاً نقاشاً حقيقياً وغير مفتعل، بالنظر إلى كونها تلامس إحدى أعقد الإشكاليات في المنظومة التعليمية المغربية وأكثرها حساسية؛ وهي لغة التدريس، وتشير ماء العينين إلى أن المشكل الذي يريد الكثيرون الإيحاء به هو فشل اللغة العربية في أن تكون لغة لتدريس العلوم، لكن واقع الدراسات يثبت أنه ليس هناك لغة ناجحة أو فاشلة في حد ذاتها، والدول العشرون المصنفة في المراتب الأولى من حيث جودة تدريس العلوم كلها تدرسها بلغاتها الوطنية بما فيها تلك التي لا يتجاوز الناطقون بها ٣٠٠ ألف نسمة.

أما د. فؤاد بوعلي، وهو عالم لسانيات مغربي، نائب رئيس الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب، والرئيس الأسبق للجمعية المغربية لحماية اللغة العربية، فيذهب أبعد من ذلك بالقول: إن هذا القرار الانفرادي المزاجي الذي اتخذه وزير التربية الوطنية يعد انتكاسة في مسار التعليم المغربي؛ بل يمكن اعتباره أخطر قرار اتُّخذ منذ عقود، والذي لم يجرؤ عليه أي من الوزراء السابقين.

وخطورته – حسب بوعلي – لا تكمن فقط في استعمال لغة بدل أخرى في تدريس العلوم؛ بل هو قرار اتُّخذ من قبل من لا يحق له اتخاذ القرار لأنه ليس وزيراً منتخباً أو من حزب منتخب، وهو قرار مناقض للنص الدستوري ولتقرير المجلس الأعلى للتكوين والتربية والبحث العلمي؛ ولذلك رفضته لجنة من لجانه، وهو قرار يراد منه القضاء على العربية وفرنسة التعليم خدمة للسيد الفرنسي، وإعادة إحياء التبعية الذي ناضل من أجله المغاربة، وبكل بساطة المذكرة خطر على المغرب ومستقبل أجياله، ومقاومتها واجب الوقت على كل الغيورين على هوية الوطن ووجوده.

فشل تدريس «ديداكتيكيا»

تعتبر ماء العينين أن المشكلة تكمن في الإرادة والحسم في توجه الدولة؛ لأن الذين يقولون بضرورة هجر اللغة العربية التي يتجاوز ناطقوها المليار بدعوى تخلفها عن تدريس العلوم؛ فماذا سيقولون عن الأمازيغية التي ما زالت عملية معيرتها جارية لتصلح أن تكون لغة مدرسة فأحرى أن تكون لغة للتدريس؟!

وتعتقد ماء العينين أن المشكلة في

رشيد بلمختار

يرى البعض أن النقاش حول القرار مفتعل لأن التلميذ ملزم بتعلم اللغة الفرنسية إلى جانب العربية وفي بعض الأحيان الأمازيغية منذ فترة مبكرة

يهدف بلمختار حسب خطته إلى تحسين ظروف استقبال التلاميذ ومحاربة الهدر المدرسي وإصلاح الاختلالات في تكوين وتقييم المدرسين

المشكل الذي يريد الكثيرون الإيحاء به هو فشل اللغة العربية في أن تكون لغة لتدريس العلوم

يرى عالم لسانيات أن القرار اتُّخذ من قبل من لا يحق له اتخاذه لأنه ليس وزيراً منتخباً أو من حزب منتخب وهو مناقض للدستور

لا يعقل أن يدرس الطفل اللغة الفرنسية منذ الصف الأول الابتدائي إلى البكالوريا ثم يكتشف أنه لم يتمكن من قواعدها الأساسية!

المشكلة لا تكمن في العربية والدليل نسب تفوق التلاميذ المغاربة في أولمبياد الرياضيات على المستوى العالمي

هذا النقاش المتلاطم يدور بالجزائر وتونس وموريتانيا بين معارض يخشى على هويته من الانسلاخ ومنافح عن الفرنسية يسعى إلى الإصلاح

المغرب تكمن في فشل منهجيات واختيارات تدريس اللغات الأجنبية ديداكتيكياً؛ حيث لا يعقل أن يدرس الطفل اللغة الفرنسية منذ الأول ابتدائي إلى البكالوريا، ثم يكتشف أنه لم يتمكن من قواعدها الأساسية، في حين يتوجه الطلبة المغاربة حاملو البكالوريا إلى دول أخرى لمتابعة التعليم العالي، فيتلقون لغات تلك البلدان (ألمانية، إسبانية، تركية..) لمدة ستة أشهر فيتقنونها ثم يدرسون بها العلوم.

الإنجليزية وليس الفرنسية

وتعود ماء العينين لتؤكد أن المشكلة لا تكمن في العربية التي يتلقى بها الطلبة المغاربة العلوم فيتقنونها، والدليل هو نسب تفوق التلاميذ المغاربة في أولمبياد الرياضيات على المستوى العالمي، وحتى لو فكرنا في مزيد من الانفتاح على الإنتاج العلمي؛ فيجب أن نتجه إلى الإنجليزية وليس إلى الفرنسية التي صارت متجاوزة علمياً، ولسنا معنيين بمركبات النقص التي يحملها البعض، فسواء أكانت العربية أو الأمازيغية فنحن نفتخر بهما ونعتبرهما لغتي علم وتنمية، وليستا فقط لغتي ثقافة وحضارة ودين، كما يحاول البعض إيهامنا.

وقد كشف المجلس الأعلى للفرانكفونية أن عدد المغاربة الذي يتحدثون اللغة الفرنسية يصل إلى ١٠ ملايين مغربي، وهو ما يجعل المغرب خامس دولة فرانكفونية في العالم، لكن عدد المغاربة المتحدثين بها في تراجع بالرغم من الجهود التي تبذلها فرنسا للحفاظ على انتشارها في المغرب.

أبعاد دولية

وفي هذا السياق، يرى النائب البرلماني عن حزب العدالة والتنمية بجهة الصحراء محمد سالم البيهي أن القرار له أبعاد دولية وإقليمية، مشدداً على أن النماذج العربية هي البديل التعليمي الناجح، ويرى البيهي أن العديد من «الخائضين» في هذا الجدل لا يستحضرون أن هذا القرار ستطبقه الحكومات الفرانكفونية المغاربية في نفس السنة، ونفس النقاش المتلاطم يدور بالجزائر وتونس وموريتانيا بين معارض يخشى على هويته من الانسلاخ، ومنافح عن الفرنسية يسعى إلى الإصلاح، كما يأتي قرار تدريس المواد العلمية باللغة الفرنسية ثمرة عمل دؤوب للمنظمة الدولية للفرانكوفونية ومؤسساتها الموازية للتصدي للخطر الأنجلوساكسوني الداهم، فمنذ تأسيسه سنة ٢٠١٢م والمكتب الجهوي المغاربي – التابع للوكالة الجامعية للفرانكفونية – الذي ترأسه «كريستينا جوبالو كورديرو» وهو يقوم بالتنسيق، وإنشاء خلايا الخبراء للتقييم والتكوين لإنجاح خياره الإستراتيجي لإعطاء الصدارة لتعليم لغة موليير في دول المغرب العربي.

هذا من الأسباب القوية التي جعلت وزارة بلمختار في حكومة بن كيران تصر على إخراج هذه المذكرة المثيرة للجدل.

النموذج الأردني والمصري

وفي خضم هذا النقاش، فقد بعث النائب البيهي سؤالاً كتابياً لوزير التربية يحثه فيه على اعتماد النموذج الأردني والعراقي والسوري والمصري للخروج من مأزق «فرنسة» بعض مواد التعليم العمومي المغربي، وأشار النائب البرلماني إلى أن النموذج الفلسطيني رغم الاحتلال ومضايقاته يتبوأ مواطنوه مراكز متقدمة في الدراسات والمسابقات العالمية.

ويخلص المناهضون لقرار بلمختار إلى أن مذكرة بلمختار تنم عن الارتباك والفشل في التخطيط، ليس هناك مشكلة في تعريب العلوم، بل في غياب الإرادة في إنجاح التعريب؛ حيث تم التغاضي عن توصية أساسية للميثاق الوطني للتربية والتكوين الذي دعا إلى فتح مسالك العلوم في الجامعات باللغة العربية لوقف التشظي الذي يعاني منه الطلبة بين لغتين إحداهما وطنية في الأسلاك الإعدادية والثانوية، والأخرى أجنبية في الجامعة.

ويؤكدون أن مذكرة بلمختار خالفت توصيات الرؤية الإستراتيجية التي أصدرها المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي التي أكدت أن العربية هي لغة التدريس الأساسية، مع إمكانية الانفتاح على الفرنسية والإنجليزية لتدريس بعض المجزوءات والمضامين، وهي توصيات تمخضت عن نقاشات كبيرة وعميقة بمشاركة الخبراء وممثلي الفئات التعليمية والمؤسسات الوطنية والنقابات والمنتخبين، في حين حسمت المذكرة – محل النقاش – بشكل أحادي لا تشاركي يرغب في وضع الجميع أمام الأمر الواقع، وهو أمر مرفوض؛ حيث أقر الوزير نفسه باعتماد الرؤية كمرجعية للإجراءات والتدابير التي يتخذها، فيما أكد أنه لن يمس عمقها الإستراتيجي بالنظر إلى الطابع التشاركي والتشاوري الذي أنتجها.■

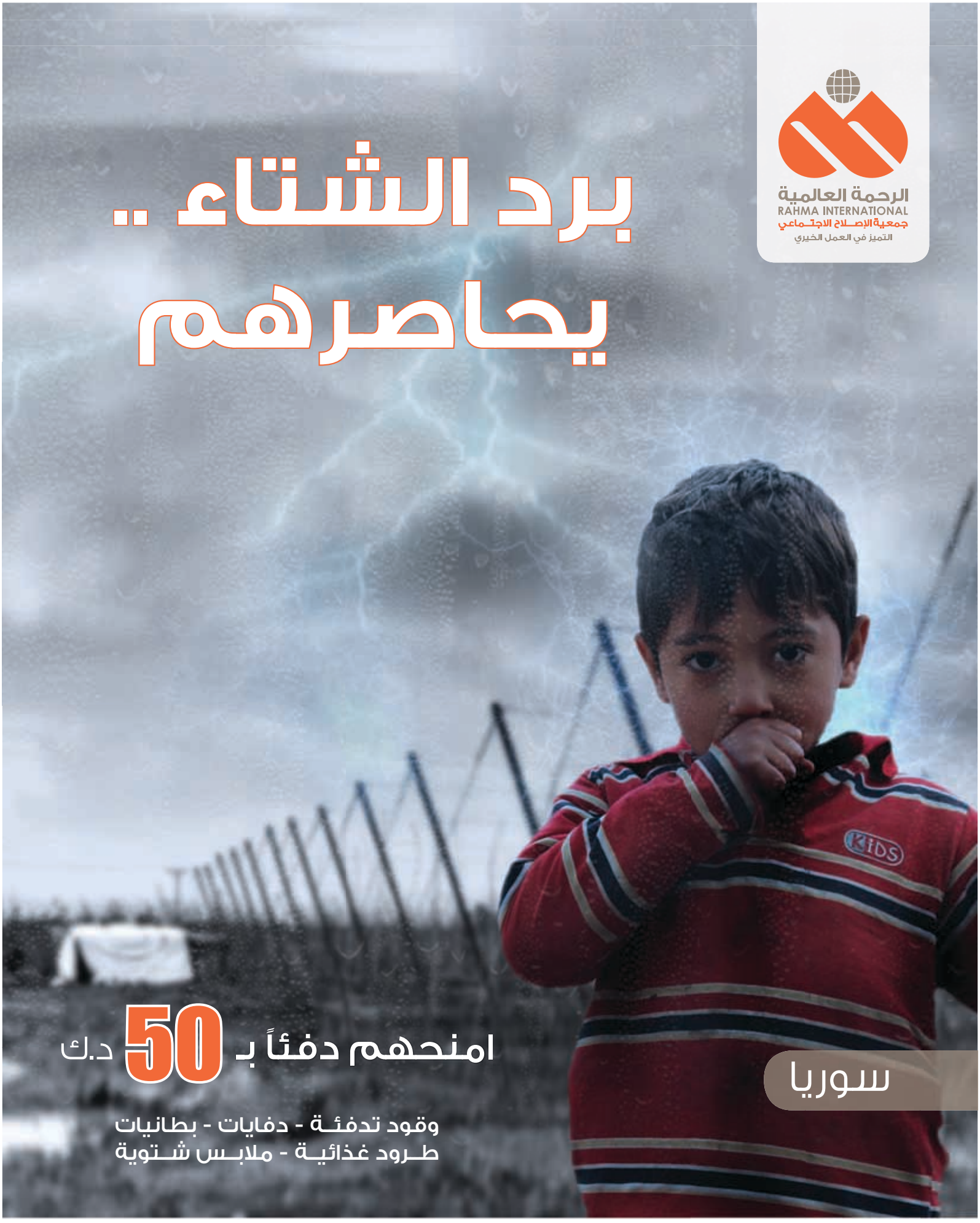

1 888 808 khaironline.net @khaironline

العراق:

هل حقَّق «العبادي» التنمية المنشودة؟

منذ أن تسلم حيدر العبادي رئاسة الحكومة ومهامه الدستورية والوضع السياسي والأمني والاقتصادي من سيئ إلى أسوأ

حكومة العبادي افتقدت للإرادة الحاسمة اللازمة للإصلاح والإدارة الواعية القادرة على التعامل مع الواقع

د. أشرف محمد دوابه
خبير دولي في التمويل والاقتصاد الإسلامي

أكثر من عام مر على حكومة حيدر العبادي، وما زال الفساد والبيروقراطية هما سيد الموقف في دولاب الدولة العراقية، وبات الأمن والاستقرار اللذان هما قوام أي اقتصاد مفقودين، حتى ازداد «تنظيم الدولة الإسلامية» تقدماً في العراق، وفرض سيطرته على مناطق جديدة ومهمة.

لقد جاءت حكومة حيدر العبادي بالعراق خلفاً لحكومة رئيس الوزراء السابق نوري المالكي الذي لم يترك السلطة بمحض إرادته، ومنذ أن تسلم حيدر العبادي رئاسة الحكومة العراقية ومهامه الدستورية في مسؤولية إدارة الحكم في العراق والوضع السياسي والأمني والاقتصادي ينتقل من سيئ إلى أسوأ؛ حتى باتت الأزمات واشتدادها عنوان المرحلة، فمن أزمة الكهرباء والمياه والسكن والبنية التحتية، إلى أزمة الصحة والتعليم والفقر والبطالة والهجرة والفساد المستشري؛ حتى يمكن القول: إن مشكلات الكون تعمقت في العراق، رغم ثرائه النفطي وخيره الوفير الذي تم بعثرته على يد الطائفية، وسيادة الفساد والمحسوبية والقتل بالهوية.

تعهدات العبادي الإصلاحية

أعلن حيدر العبادي منذ توليه رئاسة الوزراء عن خطته للإصلاح للخروج من الأزمة وتحقيق التنمية في العراق، وقد صادق مجلس الوزراء بالإجماع على تلك الخطة في ٩ أغسطس ٢٠١٥م، وصادق البرلمان عليها في ١١ من الشهر نفسه، ولم تكن تلك الإصلاحات سوى ما أعلنه حيدر العبادي في برنامجه الحكومي (٢٠١٤ – ٢٠١٨م).

وتركزت تلك الإصلاحات على خمسة محاور:

- المحور الأول: الإصلاح الإداري: من خلال تفعيل العمل المؤسسي، وإصلاح نظام الرواتب، والتخلص من العبء الزائد من نفقات الحماية للمسؤولين التي تجاوزت الحدود، وفتحت مراتع الفساد، وذلك بتقليص أعداد الحمايات لكل المسؤولين في الدولة، فضلاً عن ترشيد الامتيازات الأخرى للمسؤولين من سكن وسيارات وغيرها، وإلغاء مناصب نواب رئيس الجمهورية ونواب رئيس الوزراء.

- المحور الثاني: الإصلاح المالي: من خلال معالجة العجز في الموازنة العامة للدولة عن طريق معالجة التهرب الضريبي، وتوسيع الوعاء الضريبي بصورة عادلة، مع تخفيف العبء على أصحاب المهن الحرة، وتطبيق التعريفة الجمركية بصورة عادلة على جميع المنافذ الحدودية؛ سعياً لتشجيع نمو المنتجات الوطنية، ومنع إغراق السوق العراقية، وكذلك تخفيض الحد الأعلى للرواتب التقاعدية للمسؤولين التي بدا استنزافها لمزيد من موارد الدولة واضحاً للعيان.

- المحور الثالث: الإصلاح الاقتصادي: من خلال فتح المجال للقطاع الخاص لقيادة التنمية، وتوفير التمويل اللازم له، ودفع مستحقاته لدى الحكومة، وإلغاء أي استثناءات تختص بتنفيذ العقود الحكومية فيما عدا ما يتعلق بعقود التسليح في وزارة الدفاع، وكذلك دعم المشروعات الصغيرة بقروضٍ بلغت تريليون دينار عراقي، فضلاً عن إعادة هيكلة الصناعات المملوكة للدولة، وخصخصتها بصورة تدريجية، وزيادة إنتاج النفط والغاز، وعمل إصلاح تشريعي لتكوين بنية تشريعية محفزة للاستثمار تسمح بجذب الاستثمار الأجنبي، بما يتيح تنويع مصادر الدخل بعيداً عن النفط الذي شهد انخفاضاً ملحوظاً في أسعاره.

- المحور الرابع: الإصلاح الخدمي: من خلال الارتقاء بالمستوى الخدمي والمعيشي للمواطن العراقي، وتوفير البنية التحتية اللازمة، وكذلك معالجة أزمة الكهرباء والنهوض بالصحة والتعليم، وتبني برنامج رقابة مجتمعية فعّال لكشف التراجع أو الفشل في تقديم الخدمات العامّة، ومن ثم محاسبة المقصرين والفاسدين.

- المحور الخامس: محاربة الفساد: من خلال إنشاء مجلس «مكافحة الفساد» برئاسة رئيس الوزراء نفسه، وتفعيل مبدأ «من أين لك هذا؟»، وتفعيل دور القضاء في هذا الشأن، ووضع سقف زمني لحسم جميع القضايا الخاصة بالفساد، وكذلك تفعيل دور المؤسسات الرقابية وصلاحياتها.

حبر على ورق

الناظر إلى وعود حيدر العبادي الإصلاحية يجد أنها -كسابقتها من الوعود - ذهبت أدراج الرياح؛ حتى باتت حبراً على ورق؛ فالفساد يزداد توحشاً، والمحاصصة

الإصلاحات التي تعهد بها العبادي تركزت على ٥ محاور هي الإداري والمالي والاقتصادي والخدمي ومحاربة الفساد

الفساد المستشري استنزف ٣٥٠ مليار دولار من خزائن الحكومة منذ عام ٢٠٠٣م

الطائفية والحزبية تهتك بأركان العراق، والبنية التحتية زادت تهالكاً، والإنسان نفسه – الذي هو أساس التنمية – بات نازحاً يفتقد الأمن؛ بل مهدداً بألا يجد راتبه الذي يستعين به على أموره المعيشية.

لقد افتقدت حكومة حيدر العبادي للإرادة الحاسمة اللازمة للإصلاح، فضلاً عن الإدارة الواعية القادرة على التعامل مع الواقع؛ فمحاربة الفساد الذي كان أهم محور في خطة حيدر العبادي الإصلاحية لم يمنع من انتشار الفساد كالسرطان في جسد الدولة العراقية، وإهدار قدراتها ومقوماتها، ووضعها على حافة الإفلاس، وإصابتها بالعجز عن الدفع بعجلة التنمية في البلاد، أو تقديم الخدمات الأساسية اللازمة للمواطنين، بل والعجز عن توفير رواتب الموظفين الحكوميين.

وبرزت ظاهرة الهجرة المشروعة وغير المشروعة للشباب العراقي إلى أوروبا؛ حيث جازف الكثير منهم بحياتهم وحياة عائلاتهم هرباً من جحيم ما يحدث بالعراق، وفي مقدمة ذلك سوء الأحوال الاقتصادية، وفقدان الأمن، وتمدد «تنظيم الدولة الإسلامية»، فضلاً عن المليشيات المسلحة المدعومة من قوى داخلية وخارجية، والتي أصبحت خارج السيطرة، وتفتعل الاشتباكات مع القوات الأمنية العراقية، وتنفذ عمليات الخطف والاغتيالات.

لقد استنزف الفساد المستشري في العراق ما يقدر بـ٣٥٠ مليار دولار من خزائن الحكومة منذ عام ٢٠٠٣م، حتى جاء العراق في المراكز المتأخرة جداً في قائمة تضم ١٧٥ دولة، تتعلق بقياس جهود تلك الدول في مكافحة الفساد، التي تضمنها «مؤشر مدركات الفساد للعام ٢٠١٤م» الذي صدر عن منظمة الشفافية الدولية؛ حيث جاء في المركز ١٧٠، كما انخفض النمو الاقتصادي في العراق من ١٣,٩٪ في عام ٢٠١٢ إلى نسبة ٠,٥٪ في عام ٢٠١٥م.

موازنة التقشف

كشفت موازنة التقشف العراقية لعام ٢٠١٥م – التي عمدت إلى خفض الإنفاق بنسبة ١٦٪، وفرضت ضرائب المبيعات على السيارات وتذاكر الطيران وائتمان الهاتف الخلوي والكحول والسجائر – عن فشل حكومة حيدر العبادي في الحفاظ على العجز الذي يقدر بـ٢٢ مليار دولار من الميزانية، وتوقع لهذا العجز أن يتجاوز حاجز ٣٥ مليار دولار، بنسبة ٢٠٪ من الناتج المحلي الإجمالي، وكل ذلك نتيجة طبيعية للفساد، إضافة إلى ما نجم عن احتساب سعر النفط في الموازنة بمبلغ ٥٦ دولاراً للبرميل، وحينما دخلت الموازنة حيز التنفيذ انخفض سعر البرميل إلى ٤١ دولاراً، فضلاً عن توقع موازنة عام ٢٠١٥م تصدير العراق ٣,٣ مليون برميل من النفط يومياً، بما في ذلك ٥٥٠ ألف برميل يومياً من قبل الأراضي التي تديرها حكومة إقليم كردستان

تقرير بعثة الأمم المتحدة: العبادي أخفق في تنفيذ الإصلاحات التي أعلنها نتيجة للخلافات السياسية والاستقطاب التدريجي للقوى الفاعلة

النمو الاقتصادي انخفض من ١٣,٩٪ في عام ٢٠١٢ إلى نسبة ٠,٥٪ في عام ٢٠١٥م

مقابل حصول الإقليم على ١٧٪ من الموازنة الاتحادية، لكن الاتفاق الذي وصلت إليه حكومة حيدر العبادي وحكومة إقليم كردستان في ديسمبر ٢٠١٤م ذهب أدراج الرياح، وترك فراغاً في صادرات نفط الحكومة العراقية.

وإزاء العجز المتنامي في الموازنة، كشف وزير المالية هوشيار زيباري عن تغطية ذلك العجز من خلال بيع كميات من احتياطي البلاد النفطي بنظام الدفع المسبق، وإصدار سندات دولية، والاقتراض من المصارف المحلية، وكذلك الاقتراض من مؤسسات دولية، وفرض ضريبة على السيارات المستوردة والاتصالات الهاتفية وشبكات الإنترنت.

وإذا كان ذلك العجز خاصاً بموازنة العام ٢٠١٥م، فإن موازنة العام ٢٠١٦م ستكون أكثر صعوبة وأكبر عجزاً، فمن غير المحتمل أن تجد ميزانية عام ٢٠١٦م مصادر كافية لتمويل إنفاقها المتوقع، وهذا سيعرض العراق لخطر حقيقي من خلال مواجهة أزمة مالية في العام المقبل تتضخم معها الديون العراقية، وقد أقر مجلس الوزراء العراقي في ١٨ أكتوبر ٢٠١٥م مشروع قانون الموازنة الاتحادية لسنة ٢٠١٦م، بمجموع نفقات يبلغ ١٠٦ تريليونات دينار، وبعجز متوقع يبلغ ٢٣ تريليون دينار تقريباً، ويستحوذ فيها الإنفاق الدفاعي على نحو ٢٠٪ من موازنة عام ٢٠١٦م.

توصيات «يونامي»

لعل تقرير بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي) الصادر في شهر نوفمبر ٢٠١٤م يكشف بوضوح الفشل الذريع لحكومة حيدر العبادي، ويصف الواقع الاقتصادي المر الذي يعيشه العراق؛ حيث ذكر أن رئيس الحكومة العراقية حيدر العبادي أخفق في تنفيذ الإصلاحات التي أعلنها نتيجة للخلافات السياسية والاستقطاب التدريجي للقوى الفاعلة، وطالب التقرير بتنفيذ إصلاحات اقتصادية عاجلة، ومكافحة الفساد، وإصلاح القطاع الحكومي، والشروع بالخصخصة لتنويع مصادر الاقتصاد العراقي، وتشجيع الاستثمار الأجنبي، وتحفيز نمو فرص العمل؛ لمواجهة آثار انخفاض أسعار النفط العالمية، والأزمة المالية في البلاد، والعجز المتفاقم في الموازنة، مع استعادة إدارة الحكم الرشيد، وسيادة القانون في المناطق المحررة من تنظيم الدولة الإسلامية، فضلاً عن الانفتاح والشراكة وإجراء المشاورات الموسعة في عملية صنع القرار ضماناً لتعزيز الإدارة الفعالة للبلاد.

وبذلك، فإن المحصلة النهائية لحكومة حيدر العبادي هي من فشل إلى فشل؛ فقد تهدمت خطتها الإصلاحية ووعودها التنموية على صخرة الفساد، والطائفية، وغياب الخدمات الأساسية، والعجز المتنامي في الموازنة، الذي أوشك أن يأكل الأخضر واليابس في كافة جوانب الاقتصاد العراقي.■

الانتخابات التركية أنعشت الأمل في استمرار الثورات العربية

محمد جمال عرفة

قبل أن تظهر نتائج انتخابات البرلمان التركي الأخيرة، كانت هناك حالة ترقب كبيرة من الصديق والعدو لما ستسفر عنه الانتخابات البرلمانية التركية، وحكومات وصحف دول عربية عديدة مرت بمراحل «الربيع العربي»، وبعضها شهد ثورات مضادة، تترقب بشغف سقوط حزب «العدالة والتنمية»، وتتمنى ألا يفوز بالأغلبية التي تمكنه من تشكيل حكومة بمفرده، أو بأغلبية أكبر ليتمكن من تعديل الدستور.

فالغالبية العظمى من أبناء الربيع الديمقراطي العربي كانوا مؤيدين لحزب العدالة والتنمية التركي الذي انحاز إلى «الربيع العربي»، بينما كان خصوم «الربيع العربي» بالإجماع ضد حزب «أردوغان»، ويتمنون فشله وسقوطه في الانتخابات؛ باعتباره كسراً نهائياً لإمكانية تجدد روح «الربيع العربي»، وبعضهم بشّر بذلك قبل إعلان النتائج، فلما خاب أملهم أقاموا مأتماً كبيراً، واتهموا «أردوغان» بالتزوير، وأنه دكتاتور، وسيؤدي فوزه لانتعاش الإرهاب.

ففي الجولة الأولى، عندما لم يتمكن حزب العدالة من تشكيل حكومة منفرداً بسبب حصوله على أقل من ٢٧٦ مقعداً اللازمة لتشكيل حكومة بمفرده (حصل على ٢٥٨ فقط)، خرجت فضائيات وصحف تبشر بنهاية «حقبة السلطان أردوغان»، وأفول «الربيع العربي» رسمياً بغياب الداعم الوحيد له.

ولكن في أعقاب فوز حزب «أردوغان» بـ٣١٧ مقعداً؛ أي ٤٩,٥٪، وحصده ٥٩ مقعداً زيادة في ٥ أشهر، اعتبر مراقبون أن هذا أول مسمار في نعش الثورات المضادة؛ لهذا انهالت الانتقادات للديمقراطية التركية في تلك الصحف، ووصفها البعض بأنها «جمهورية الخوف»، وأن «أردوغان جزء من صناعة الإرهاب»، وتحدث أحدهم عن «الخراب» بعد فوز «أردوغان».

مسمار في نعش الثورات المضادة

مراقبون تحدثوا بوضوح عن أهمية هذا الفوز ودلالاته وانعكاساته على دول «الربيع العربي» التي عانت من سلسلة من الثورات المضادة، أعادت ليس فقط رموز الأنظمة السابقة على «الربيع العربي» للواجهة، ولكنها جاءت بأوضاع أكثر سوءاً على الحريات والديمقراطية، وقمع غير مسبوق، وحكم عسكري واضح.

ربما كان أبرزهم راشد الغنوشي، زعيم حزب النهضة في تونس، الذي كتب في تدوينه على صفحته الرسمية على «فيسبوك»: إن هذا الفوز يبث الفرحة لكل محبي تركيا في العالم العربي، وهو فوز لـ «الربيع العربي»، وخسارة لمشاريع الفوضى والانقلابات والثورة المضادة في المنطقة.

وحتى حينما هاجم البعض فوز العدالة والتنمية، ألمحوا ضمناً لدوره المرتقب في دعم «الربيع العربي»، حيث اتهموا «أردوغان» بدعم تيارات الإسلام السياسي، وتحدثوا عن مواقفه تجاه ثورات «الربيع العربي».

أيضاً رأى البرلماني حاتم عزام أنه لو كان حزب الرئيس التركي «رجب طيب أردوغان» خسر في الانتخابات البرلمانية، لكان هذا بمثابة القضاء على ما تبقى من «الربيع العربي»، ولكن فوزه جاء بالبشارة للثورات العربية.

واعتبر جمال سلطان، رئيس تحرير صحيفة «المصريون»، أن فوز «أردوغان» هو فوز لربيع الديمقراطية في العالم العربي الذي تفجر في عام ٢٠١١م من تونس إلى مصر إلى ليبيا إلى اليمن إلى سورية، ثم تعرض لانكسارات أو هزائم منذ سنتين، وتحديداً منذ عام ٢٠١٣م، بعضها كان عنيفاً ودموياً وبعضها كان باختراقات أجنبية وبعضها تحول إلى حروب أهلية.

> انتخابات تركيا أحرجت الانتخابات المصرية بنسب المشاركة العالية مقابل عزوف المصريين

أكثر الفائزين

مثلما كانت هناك حالة ترقب كبيرة من الصديق والعدو لما ستسفر عنه الانتخابات البرلمانية التركية، يمكن اعتبار النتائج فوزاً أو هزيمة أيضاً لكل من الطرفين.

الفائز الأول بلا شك هو «الربيع العربي»؛ بمعنى تجدد الدعوة للحريات والديمقراطية وتداول السلطة سلمياً، في مواجهة حكومات دكتاتورية قفزت على السلطة بالقوة الدموية، أو حكومات منقسمة ومفتتة في البلد الواحد (ليبيا)، أو حكومات طائفية (سورية)، حيث أعطى الفوز التركي أكسير الحياة لدعاة الثورات العربية، وجدد آمالهم في عودة ثوراتهم السلمية من أجل الحرية.

أما الفائز الثاني؛ فهم اللاجئون أو الهاربون العرب إلى تركيا، سواء بفعل الدكتاتورية التي نتجت عن الثورات المضادة، أو الحروب والتصفيات الدموية، وفي مقدمتهم الشعب السوري؛ لأن تركيا الأردوغانية هي الداعم الأكبر والأهم للثورة السورية والرافضة تماماً لبقاء «بشار الأسد» في السلطة، وغير المعترفة بحكم «عبدالفتاح السيسي»؛ لذلك كانت احتفالات السوريين ومؤيدي الثورات العربية في مصر وتونس وليبيا وغيرها هائلة بالنتائج.

الفائز الثالث؛ هو المعارضة المصرية، وخاصة جماعة الإخوان التي تحتضن تركيا في عهد حزب العدالة والتنمية القيادات والكوادر الإخوانية التي هربت من مصر في أعقاب انقلاب ٣ يوليو ٢٠١٣م، والتي كانت تخشى على وجودها لو خسر حزب العدالة والتنمية، خاصة أن «أردوغان» لا يزال متمسكاً بقوة بالرئيس «محمد مرسي» كرئيس منتخب جاء به «الربيع العربي».

«الربيع العربي» الذي يواجه حرباً محلية وإقليمية هو **الفائز الرابع** أيضاً؛ إذ إن فوز حزب «أردوغان» هو انتصار أيضاً لقوى

الثورة الليبية التي تواجه مؤامرة إقليمية بقيادة الجنرال خليفة حفتر وأطراف أخرى عربية ودولية، تسعى للتخلص منها؛ لهذا يمكن اعتبار حكومة طرابلس وداعميها من تلك القوى الثورية من المنتصرين بنتيجة انتخابات تركيا؛ لأن العدالة والتنمية داعم قوي لحكومة طرابلس وقوى الثورة المتمسكة بأهداف الثورة الليبية.

الفائز الخامس؛ هو بالطبع القضية الفلسطينية؛ بسبب انعكاس النتائج على الاهتمام التركي بالقضية الفلسطينية، فعلى مدار السنوات العشر السابقة تولي القيادة السياسية التركية اهتماماً كبيراً بهذا الملف، وهذا الاهتمام نابع من رؤية حزب العدالة والتنمية التركي للقضايا المحورية والمركزية في الشرق الأوسط.

المملكة العربية السعودية، وقطر، الحليفان القويان للثورة السورية الآن عربياً، فازتا أيضاً سياسياً في تلك الانتخابات التركية، خاصة أن السعودية تستند إلى تركيا في تحالفها السُّني ضد النفوذ الإيراني وعزل «بشار الأسد»، بعدما تخلى عنها نظام «السيسي» بمصر وأيّد التدخل الروسي في سورية.

أبرز الخاسرين

أما الخاسرون من فوز حزب «أردوغان» فهم في مصر نظام «السيسي»، وفي سورية نظام «بشار الأسد»؛ لأنه أكبر أعدائه، وأكبر داعمي ثورة الشعب السوري ضده، وإيران التي تمنت هزيمة «أردوغان» لتكسر شوكته وتشل يده عن دعم الثوار في سورية، وتضعف تحالفه مع السعودية العدو الأكبر لإيران حالياً.

ربما لهذا يمكن القول: إن انتصار «أردوغان» سيضعف موقف مصر ودول عربية أخرى في سورية ترغب في بقاء «بشار» أو مؤسسته العسكرية والأمنية.

وبرزت هذه الخسارة في تغطية انتخابات تركيا في «الإعلام المصري» والسوري أيضاً، حيث حضرت الأحقاد وغابت المهنية.

حيث اعتبرت صحف مصرية أنها أعادت حكم الحزب الواحد، ووصفت الرئيس التركي «رجب طيب أردوغان» بـ«السلطان الجائر، والدكتاتور، وكفيل القتلة، وبأنه جزء من صناعة الإرهاب، وبأنه يحلم بنظام رئاسي وخلافة على دماء الأتراك، وبأنه لم يصدُق شعبه، وبأنه

سيستثمر نتائج الانتخابات في استكمال مشروعه الدكتاتوري»!

مؤشرات الثورة المصرية

ربما لا تبدو مصادفة أن يعقب فوز حزب «أردوغان» وتجدد الأمل في الثورات العربية أن تبدأ أصوات تعلو في مصر منتقدة حكم الانقلاب لأول مرة؛ وأن يوجه له نقد لأول مرة في التلفزيون الحكومي (القناة الثالثة) من مذيعة مصرية، وتم عزلها بسبب نقدها.

الأكثر دلالة على مؤشرات عودة الثورة لمصر أنه بدأت لأول مرة تنتشر دعوات التحضير المبكر لذكرى ثورة ٢٥ يناير ٢٠١٦م، التي وصفها بعض الشباب المصري على مواقع التواصل بأنها «يوم الخلاص»، منها حركة شباب ٦ أبريل المعارضة بمصر، حيث دشنت يوم الأربعاء ١٨ نوفمبر٢٠١٥م «هاشتاج» على حسابها الرسمي وعلى «تويتر»، بعد سلسلة من المطالب على مواقع التواصل بالبحث عن بديل، في ظل تدهور الأوضاع الاقتصادية والجمود السياسي والأمني، و«هاشتاج» يحتوي على عبارة «شاركونا رؤيتكم وأحلامكم وطموحكم ومطالبكم»، بدأت حركة ٦ أبريل تغريداتها لتبني الحركة دعوة نقاش للمستقبل، بعد مضي نحو ١٧ شهراً من انتخابات الرئاسة، وقبل أقل من شهرين على الذكرى الخامسة لثورة يناير ٢٠١١م، والتي أطاحت بالرئيس المخلوع «حسني مبارك»، واعتمدت في بدايتها على مواقع التواصل الاجتماعي أيضاً.

ورأت الحركة أنه سوف يقود الشباب مصر للمستقبل، والعالم سينظر نظرة احترام لشعب يصون بلده وكرامة مواطنيه بالعمل والحق والحرية.

تعديل الدستور وحجاب القاضيات

ويطمح «أردوغان» إلى تعديل الدستور؛ لتحويل منصب الرئيس الشرفي الذي يحتله الآن إلى منصب تنفيذي بصلاحيات أكبر، وقال نائب رئيس حزب العدالة والتنمية، المتحدث باسم الحزب، عمر جليك: إن صياغة دستور جديد في البلاد على رأس أولويات الحزب، ليحمل تركيا إلى مستقبلٍ معاصر ويركز على الإنسان المدني، قائلاً: «تعالوا نصغ دستوراً مدنياً يحمل تركيا إلى عام ٢٠٢٣م».

وفي هذا السياق، بدأ حزب العدالة التركي إنفاذ خطة للإنجازات التي سيتم عملها خلال ١٠٠ يوم من الآن، تتضمن تحقيق مزيد من المكاسب في مجال الحريات مثل تعديلات الدستور، ورفع حظر الحجاب عن القاضيات.

حيث أفادت صحيفة «يني عقد» بأن حاكمة محجبة قامت عقب الانتخابات مباشرة بحضور الجلسة بحجابها في محكمة إسطنبول الأناضولية للصلح، وهي الحادثة التي تعتبر الأولى من نوعها، حيث كانت الهيئة العليا للقضاة والمحامين قد سمحت قبل فترة بلبس القاضيات للحجاب.

وجاء في نص القرار الذي صدر عن الهيئة العليا للقضاة وأعضاء النيابة العامة: «يمكن للقضاة وأعضاء النيابة العامة (من النساء) العمل وهن محجبات».■

استحقاقات مرحلة ما بعد الانتخابات في تركيا

أنقرة: د. سعيد الحاج

بعد فترة انتقالية صعبة شهدت عدم استقرار سياسي وتراجعات اقتصادية وتوترات أمنية، عادت تركيا مرة أخرى بعد انتخابات الأول من نوفمبر ٢٠١٥م إلى حكومة مستقرة من حزب واحد كما تعودت منذ عام ٢٠٠٢م (يتوقع أن يتم الإعلان عنها قبل صدور هذا العدد من المجلة)، وهو ما يعني أن مرحلة جديدة ومختلفة تماماً قد بدأت في البلاد، حاملة معها همومها وملفاتها واستحقاقاتها.

تبدو أولويات الحكومة الجديدة – ومن خلفها حزب العدالة والتنمية – واضحة في ثنايا تصريحات السياسيين ومواقفهم حتى قبل تشكيلها، فقد شكل الحزب لجنة خاصة لمتابعة ملف تنفيذ الحكومة الوشيكة لتعهدات العدالة والتنمية خلال الحملة الانتخابية، وخاصة تلك المتعلقة بحياة المواطن اليومية.

الملف الاقتصادي

فقد قدم الحزب ما أسماه تعهدات – وليس مجرد وعود – واضحة ضمنت له الكثير من الأصوات في الجولة الانتخابية الأخيرة، شملت رفع الحد الأدنى للأجور، ومكافآت نهاية الخدمة، ومكافحة البطالة وغيرها، وتريد الحكومة من ذلك مواجهة الأزمة الاقتصادية المتأثرة بالفترة السابقة وتجلياتها السياسية والأمنية من جهة، وترسيخ رسالة الإنصات للمواطن والصدق معه من جهة أخرى.

ورغم وجود العديد من العقبات الداخلية مثل التصعيد العسكري المستمر مع حزب العمال الكردستاني، والخارجية مثل الأزمة السورية والأزمة الاقتصادية اليونانية، فإن العدالة والتنمية يبدو عازماً على إنفاذ وعوده، وإرضاء ملايين الشباب الذين أولوه ثقتهم مؤخراً بعد أن كانوا قد سحبوها منه في انتخابات السابع من يونيو ٢٠١٥م، وكأنهم قد قبلوا اختباره وهو لا يريد الرسوب في هذا الاختبار.

التصعيد العسكري

والملف الثاني الأكثر إلحاحاً على الحكومة التركية الجديدة سيكون ملف مكافحة «الإرهاب» في إطار عملية التصعيد الأخيرة من العمال الكردستاني، الذي استغل تطورات الأزمة السورية – وزيادة أهمية أكراد سورية بالنسبة للولايات المتحدة والتحالف الدولي – على هامش نتائج انتخابات يونيو ليكسر الهدنة مع الحكومة التركية ويشن عدة عمليات افتتحت فترة تصعيد جديدة لم تنته بعد.

ولئن كانت ثمة تطورات إيجابيةَ، تمثلت في نتائج الانتخابات الأخيرة بما أفرزته من استقرار سياسي متوقع في البلاد، إضافة لانحسار التأييد الشعبي لعمليات الحزب

داود أغلو

العدالة والتنمية بانتظار اقتناص الفرص لتحقيق دستور جديد ينهض بتركيا ويبعد التدخلات الخارجية

الملفات الاقتصادية والأمنية والسياسية ملفات شائكة على رأس أولويات العدالة والتنمية

الأزمة السورية.. انعكاسات على السياسة الإقليمية التركية

بين الأكراد، والضربات الموجعة التي وجهتها الحكومة للحزب، إلا أن كل ذلك ليس كافياً بحال لإعادة الاستقرار والأمن للبلاد، على الأقل ليس قبل إعادة ضخ الدماء في العملية السياسية المتوقفة منذ شهر مارس الماضي.

عملية السلام

تبدو تركيا العدالة والتنمية اليوم أكثر اقتناعاً بمقولة «الحل العسكري ليس كافياً لحل المشكلة الكردية»، ومحتاجة أكثر من أي وقت مضى لإكمال طريق الإصلاحات الديمقراطية التي بدأتها عام ٢٠٠٢م خاصة فيما يتعلق بالمسألة الكردية.

فقد قام العدالة والتنمية بإصلاحات ديمقراطية خاصة باللغة والحقوق الثقافية والسياسية والاجتماعية للأكراد على عدة مراحل، آخرها حزمة الإصلاحات الديمقراطية الشهيرة في سبتمبر ٢٠١٣م، إضافة إلى المشاريع الإنمائية في جنوب وجنوب شرقي البلاد حيث الأغلبية الكردية.

ولئن دخلت العملية السياسية بين الحكومة والأكراد في حالة من الجمود بعد التصعيد العسكري من قبل العمال الكردستاني، وأصبحت «في الثلاجة» وفق تعبير الرئيس «أردوغان»، إلا أن تصريحات متواترة من قبل قيادات في الحزب والحكومة تشير بوضوح إلى الحاجة الملحة للعودة إلى المسار السياسي قريباً، وإن بشروط جديدة.

صحيح أن الأمر سيتطلب إعادة الأمن والنظام أولاً بعد كسر شوكة دائرة التصعيد الحالية، وصحيح أن العملية لا يمكن أن تعود بنفس الاسم والإطار واللاعبين السابقين، إلا أن المبدأ ثابت لم ولن يتغير؛ وهو مظلومية الأكراد في تركيا وضرورة إعطائهم حقوقهم عبر دستور جديد و/ أو تعديلات دستورية، وإنهاء الصراع المسلح في إطار عملية سياسية سلمية، الأمر الذي يراه العدالة والتنمية حيوياً وإستراتيجياً لتركيا، يزيد من لُحمتها الداخلية، ويمنع التدخلات الخارجية، ويضاعف من إمكاناتها في مسيرة النهضة والتنمية.

معركة الدستور

على المدى المتوسط/ البعيد، فإن المعركة الرئيسة التي سيخوضها العدالة والتنمية في هذه الدورة البرلمانية هي معركة الدستور الجديد، الذي تتفق غالبية الأحزاب على ضرورة إعادة صياغته كمبدأ بينما تختلف على تفاصيله، وخاصة المتعلقة بالنظام السياسي في البلاد.

ذلك أن تركيا ما زالت تُحكم بدستور عام ١٩٨٢م الذي وضعه العسكر بعد انقلاب عام ١٩٨٠م، وما زال رغم العديد من التعديلات الدستورية يعيق المشهد السياسي في البلاد بما يتضمنه من تداخل – مقصود لذاته – بين صلاحيات ومسؤوليات السلطات والمؤسسات.

في التفاصيل، لا يمتلك العدالة والتنمية العدد الكافي من النواب لإقرار الدستور الجديد في البرلمان (٣٦٧ من أصل ٥٥٠ نائباً) ولا حتى نسبة ٦٠٪ (٣٣٠ نائباً) لطرحه على الاستفتاء الشعبي، وبالتالي فهو بحاجة لتوافقات وتحالفات مع أحد/ بعض الأحزاب السياسية الممثلة في البرلمان.

على مستوى الأحزاب، لا يبدو الأمر سهلاً جداً، إذ يبدو مثلاً حزب الشعوب الديمقراطي (ذو الجذور الكردية) أقرب الأحزاب للتوافق مع العدالة والتنمية على الدستور الجديد الذي سيعيد صياغة مفهوم وحقوق المواطنة المتساوية بما في ذلك حقوق الأكراد، لكن أداءه السياسي أدى إلى تباعد كبير بين الطرفين بما يصعب من هذه المهمة كثيراً في ظل حالة عدم الثقة والهوة الكبيرة بينهما، بينما يمكن للتقارب الأيديولوجي مع حزب الحركة القومية أن يوحي بإمكانية الاتفاق، بيد أن الأخير سيشترط – كما دائماً – وقف العملية السياسية مع الأكراد بشكل نهائي لا رجعة عنه، وهو ما لا يمكن للحزب الحاكم قبوله.

وعليه، فلا يبقى للعدالة والتنمية إلا فرصتان؛ الأولى: انتظار أي تشققات أو خلافات داخل أحزاب المعارضة، وقد بدأت إشاراتها تلوح فعلاً منذ إعلان نتائج الانتخابات، حيث أعلن كل من حزبي الشعب الجمهوري، والحركة القومية تاريخ الجمعية العمومية لحزبيهما، والتي يتوقع أن ينتج عنها قيادة جديدة أو تغيرات كبيرة في طريقة الإدارة.

وأما الخيار الثاني؛ فهو الاعتماد على «القرار الفردي» لنواب أحزاب المعارضة باعتبار أن التصويت سيكون سرياً، وقد يسهل على بعض النواب أن يخرجوا عن قرار أحزابهم في حال اقتنعوا بمواد الدستور

الجديد، سيما وأن الحزب الحاكم يحتاج فقط إلى ١٤ صوتاً/ نائباً لنقل الدستور من البرلمان وعرضه على الاستفتاء الشعبي.

وفي كل الأحوال، فلا يبدو الحزب في عجلة من أمره في ملف الدستور، أولاً للتركيز على الملفات المستعجلة - وأهمها الاقتصادية - وثانياً لطرحه على النقاش الشعبي والمجتمعي والنخبوي، فقد كانت أهم دروس انتخابات يونيو السابقة هو التخوف من موضوع الدستور الجديد وفكرة تغيير النظام في البلاد إلى رئاسي؛ لأنه طرح فجأة دون تحضير مسبق ونقاش مستفيض من قبل مختلف الأطراف.

السياسة الخارجية

إلى جانب الوضع الداخلي، ستحتاج الحكومة الجديدة بكل تأكيد للاهتمام أكثر بالسياسة الخارجية وتطورات الإقليم، خصوصاً الأزمة السورية، باعتبارها مؤثرة في السياسة التركية، أولاً بتأزيمها للأوضاع في المنطقة، وثانياً بانعكاساتها التي بدأت ترتد إلى الداخل التركي، من خلال التفجيرات التي اتهم بها «تنظيم الدولة» (داعش).

ويدعم هذا التوجه عدة تصريحات من مسؤولين أتراك بضرورة القيام بمراجعات حقيقية وعميقة في السياسة الخارجية التركية، التي تعرضت لعدة انتكاسات وفشلت في القيام باختراقات مهمة مؤخراً بغض النظر عن نقاش مدى أخلاقيتها، وضرورة عودتها لتكون أكثر «عقلانية» وواقعية وبراجماتية كما كانت في السنوات السابقة.

من ناحية أخرى، تبدو تركيا راغبة في إغلاق باب الفترة الانتقالية التي حملت معها - على هامش عدم الاستقرار السياسي على مستوى الحكومة - تراجعات في السياسة الخارجية واستغلالاً من قبل بعض الأطراف - والحلفاء - لأوضاعها الداخلية، ومصممة على استثمار حالة الاستقرار الحالية كورقة قوة في محاولة لتحقيق إنجاز ما.

والإنجاز المقصود هو الطلب التركي المتكرر بضرورة إنشاء منطقة آمنة في الشمال السوري، تكون مأوى للاجئين السوريين محمياً بطائرات التحالف التي ستفرض حظر طيران، ونقطة انطلاق ربما في المستقبل لقوى المعارضة السورية، هذا الطلب التركي المرفوض أمريكياً حتى الآن، يبدو أنه أصبح أكثر قبولاً وإن بتفسير أمريكي مختلف، فما تريده واشنطن هو منطقة خالية من «داعش» وليس بالضرورة «منطقة آمنة» وفق التصور التركي، وبالتالي يبقى الأمر مدار نقاش علني ومفاوضات سرية على رقعة شطرنج التحالف، في ظل التطورات الأخيرة المتمثلة بالغطاء الجوي التركي - الأمريكي لبعض قوى المعارضة السورية في مواجهة «تنظيم الدولة» في الشمال.

دروس الماضي

ختاماً، ينبغي أن نقول: إن الانتخابات البرلمانية الأخيرة في تركيا ليست نهاية المطاف، بل بداية مشوار جديد بمرحلة جديدة، لها مفرداتها وملفاتها وتحدياتها الخاصة بها، ولعلنا يجب ألا نغفل أن هذه النتائج الأخيرة لا تلغي الرسائل التي وجهت لأنقرة - العدالة والتنمية تحديداً - في الانتخابات السابقة، بما يعني أن أوراق القوة الموجودة الآن بيد الحزب الحاكم لن تجعله يغامر كثيراً في سياساته الداخلية والخارجية، بل سيحاول تجنب المزالق على الجبهتين ومراكمة أسباب القوة قدر الإمكان.

بمعنى، سيركز الحزب بحكومته الجديدة بشكل أساسي على تمتين الجبهة الداخلية، من خلال الإصلاحات الاقتصادية واحتواء الشباب وتخفيف حدة الاستقطاب السياسي في البلاد، فضلاً عن إعادة الروح للعملية السلمية مع الأكراد، بينما سيحاول العودة بسياساته الخارجية لشيء من الواقعية، وتجنب الصدامات الحادة مع الخصوم والحلفاء على حد سواء، في انتظار اقتناص الفرص التي قد تلوح له.

والحال كذلك، فلا قفزات كبيرة يمكن أن تنتظر من أنقرة في الفترة القادمة التي ستكون ذات أولويات تركية بامتياز، بينما يجب ألا نتفاجأ بأي تراجعات أو مراجعات في بعض الملفات الإقليمية، إذ يريد - ويحتاج - العدالة والتنمية في الفترة المقبلة تدوير الزوايا قدر الإمكان ليعيد البلاد مرة أخرى على سكة السير نحو أهداف تركيا الكبيرة عام ٢٠٢٣م بالسرعة القصوى، قدر الإمكان.■

رجب طيب أردوغان

مرحلة جديدة للعدالة والتنمية عازمة على مواجهة الأزمات الداخلية

ضرورة القيام بمراجعات عميقة في السياسة الخارجية

الحزب سيركز على تمتين الجبهة الداخلية وإعادة الروح للعملية السلمية مع الأكراد

إسقاط الطائرة الروسية من قبل الأتراك.. رسائل وتداعيات

كتب: أحمد الشلقامي

لم يكن حادث إسقاط الطائرة الروسية من قبل سلاح الجو التركي مجرد موقف دولي، ضمن سياق الحالة التي تشهدها المنطقة من القتال والعنف والصراعات الدائرة، إنما عنوان لرسائل كثيرة أراد على ما يبدو الجانب التركي أن يوصلها.

«بوتين» متأثراً: إسقاط الطائرة طعنة في الظهر.. و «أوغلو» يرد: لن نسمح بانتهاك أجوائنا

رسالة تركيا لروسيا: لسنا راضين عن تدخلكم لكننا لم نكن في وضع يسمح بقول ذلك والآن اختلف الوضع

روسيا استهدفت لفترة طويلة جبل التركمان الذي يمثل حاضنة التركمان المقاومين لنظام «بشار الأسد» وذلك برغم ما تعلمه روسيا عن التحالف بين تركيا والتركمان

قبل أيام من نهاية نوفمبر الماضي، أعلنت وسائل الإعلام إسقاط طائرة روسية على الحدود التركية، وهو ما تبعها إعلان لبيانات وتصاريح من الجانبين، كان أهمها قول «بوتين» في حضور العاهل الأردني الملك عبدالله الثاني: «إن هذه الحادثة تمثل طعنة في الظهر»، فيما أعلن الجانب التركي على لسان رئيس الوزراء «داود أوغلو» أن أي انتهاك لأمن وحدود تركيا سيواجه بالتصدي والحزم، ليخرج رأس الدولة «رجب أردوغان» في لقاء متلفز ليقول: روسيا تتحمل المسؤولية تجاه انتهاكها الأجواء التركية، وإن تركيا لن تعتذر وترفض اتهامات الروس.

ما بعد الانتخابات

«لسنا راضين عن تدخلكم، لكننا لم نكن في وضع يسمح بقول ذلك، والآن اختلف الوضع».. ربما هذه هي الرسالة الأولى التي أراد الأتراك أن يقولوها؛ وهي أن الانتخابات التركية شرعية جديدة وقوة دفع للعدالة والتنمية أن يستمر في نهجه بعد أن خفت قليلاً صوته على وقع الانتخابات البرلمانية في مرحلتها الأولى التي لم يحسمها العدالة والتنمية، وكانت تركيا على شفا اضطراب قوي، ربما دفعها للتأجيل والتروي في رفض بعض التدخلات القائمة مثل التدخل الروسي في سورية، والذي مثّل انتهاكاً صريحاً لأمن تركيا القومي، خاصة مع توسع عمليات الروس ضد بعض الجبهات والمدنيين وعلى حدود تركيا.

الرسالة الثانية كانت موجهة بالأساس للتنظيمات التي تدور في فلك تركيا، وعلى رأسها التركمان الذين يمثلون عمق تركيا في داخل سورية، حيث الامتداد العقائدي والتاريخي، بجانب التجانس السياسي، فروسيا استهدفت لفترة طويلة جبل التركمان الذي يمثل حاضنة التركمان المقاومين لنظام «بشار الأسد»، وذلك برغم ما تعلمه روسيا عن التحالف والتعاون والوثيق بين تركيا والتركمان، واعتبرت تركيا على ما يبدو ما تقوم به روسيا من انتهاكات بحق التركمان استفزازاً مباشراً لها انتظر الفرصة ليكون ردها مباشراً وصريحاً.

وكانت تركيا في نوفمبر الماضي دعت إلى عقد اجتماع لمجلس الأمن لمناقشة الهجمات على التركمان في سورية، بعد أيام من استدعاء

أنقرة للسفير الروسي للاحتجاج على القصف «المكثّف» لقراهم.

وقال مسؤول تركي: إن نحو ١٧٠٠ شخص هربوا من المناطق الجبلية في سورية في منطقة بايربوجاق أو جبل التركمان في ريف اللاذقية بشكل خاص إلى الحدود التركية، بسبب المعارك، وذكرت المصادر أن رئيس الوزراء «أحمد داود أوغلو» أجرى مشاورات بشأن البعد المخابراتي للمسألة مع قائد القوات المسلحة، ومدير وكالة المخابرات الوطنية.

إعادة التوازن

على ما يبدو، فإن تركيا أرادت أن توصل رسالة أيضاً للمجتمع الدولي بشأن ما يحدث على صعيد المشهد السوري، فدخول الروس بقواتهم في سورية كان نقلة كبيرة في توازنات المشهد؛ حيث أصبحت روسيا ومن في فلكها (إيران والعراق) القوى الرئيسة على الأرض، ومع تفعيل الدور التركي بالرد على الروس بإسقاط طائرة أصبح المشهد الآن يبشر برسالة تركية لأطراف دولية، وأهمها دول الخليج، وعلى رأسها المملكة العربية السعودية، بأن التحالف المقاوم لتوسعات إيران وروسيا في المنطقة يبدأ من تركيا.

في بداية الحادث كان التصعيد ينبئ بأن هناك رد فعل قوياً سيقع من قبل الجانب الروسي تجاه تركيا، وجاءت عناوين الصحف لتؤشر على أن هناك توجهات تصل للحرب تلوح في الأفق، فعنونت صحيفة «الديار» اللبنانية خبراً على صفحتها قائلة: «روسيا تهدد تركيا والسعودية وقطر»، بينما نشر موقع «الجزيرة» موضوعاً تحت عنوان «روسيا تهدد بإلغاء مشروعات مشتركة مع تركيا»، ونشر موقع «روسيا اليوم» الناطق بالعربية موضوعاً تحت عنوان «سيناريو لحرب شاملة بين روسيا وتركيا».

لكن وبعد مرور أيام على الحادث، فإن السيناريوهات تنوعت وأصبحت أكثر زخماً:

السيناريو الأول هو الحرب: وربما من استدعى ذاك السيناريو يتحدث فيه عن عقلية «بوتين» التي تمثل قمة الزهو والغرور الذي جعل الرجل في أقل من عامين يتورط في حروب وتدخلات عسكرية مباشرة بدأت من أوكرانيا والقرم لتصل إلى سورية، هذا بجانب أن الوضع لم يعد يحتمل بالنسبة لتركيا أي توانٍ في ظل رفضها التام لوجود «بشار» أو أي تفاوض معه، وهو ما يصطدم برؤية روسيا وإيران.

إلا أن هذا السيناريو محفوف ببعض الأبعاد التي يجب أن تراعى، وأهمها العلاقات التركية الروسية اقتصادياً والتي لا يسهل التضحية بها، حيث بلغ حجم التبادل التجاري بين البلدين أكثر من ٣٠ مليار دولار، كما تعتبر تركيا ثاني أكبر مشترٍ للغاز الروسي بعد ألمانيا.

سيناريو قرص الأذن: في العلاقات الدولية يشتهر أسلوب الردع كأحد الخيارات التي تستخدمه الدول في علاقتها ببعضها بعضاً، وقرص الأذن مصطلح يستخدم للتعبير عن حالة من الحذر والترقب بين فريقين، وكل منهما يضغط على الآخر دون الوصول لحالة الحرب أو التجاوز الدموي الصريح، وهو سيناريو مطروح في المشهد الروسي التركي، حيث أراد كلا البلدين أن يوصل رسائل محددة وسيقف الأمر عند ذلك.

سيناريو الحرب الواسعة: وهو سيناريو يقع في حال دخول الطرف السعودي الخليجي بثقل في المشهد بين تركيا وروسيا بتحالف يفتح الأفق لسيناريو حرب واسعة، وهو سيناريو يتوقف على التحرك السعودي تجاه تركيا بتفعيل التعاون وتوقيع الاتفاقيات التي من شأنها توحيد الرؤية والمواقف، على غرار ما قامت به قطر.

سيناريو التوافق: وهو سيناريو خياره مفروض على كلا الدولتين لطبيعة العلاقة بينهما، والوضع الذي تعيشه كلاهما ولا يسمح لهما بالاستمرار في التراشق أو الدخول في حروب، حيث سيقوم الجانب التركي بطريقة دبلوماسية معهودة لكي يخفف من وطأة الأمر، ويحفظ للروس ماء الوجه، وسيقوم الجانب الروسي بتقبل التوافق والتفهم مع تعهدات بالرد في حال التكرار الذي لن يتكرر.■

بنجلاديش تعدم «علي أحسن مجاهد» زعيم الجماعة الإسلامية

كتب: محرر الشؤون الإسلامية

أقدمت بنجلاديش يوم السبت الموافق ٢١ نوفمبر ٢٠١٥م على إعدام اثنين من زعماء المعارضة على خلفية إدانتهم فيما وصف بـ «جرائم حرب» ارتُكبت خلال حرب عام ١٩٧١م للانفصال عن باكستان.

وأفاد مسؤول كبير بشرطة بنجلاديش: إنه تم تنفيذ حكم الإعدام شنقاً في كل من الزعيم الإسلامي المعارض «علي إحسان محمد مجاهد»، الأمين العام للجماعة الإسلامية ببنجلاديش، وأيضاً «صلاح الدين قادر تشودري»، وهو عضو سابق في البرلمان عن حزب «بنجلاديش القومي» الذي تتزعمه رئيسة الوزراء السابقة «خالدة ضياء».

وجاء تنفيذ الحكم بعد وقت قصير من رفض الرئيس «محمد عبدالحميد» التماسهما بالعفو، ومن المرجح أن تثير هذه الخطوة ردود أفعال غاضبة من أنصار الزعيمين المعارضين.

وكانت المحكمة العليا في بنجلاديش قد أيدت قبل أيام من تنفيذ الحكم، إعدام الأمين العام للجماعة الإسلامية في إطار سلسلة محاكمات ضد قيادات الجماعة أدينوا بارتكاب أعمال عنف خلال حرب استقلال بنجلاديش عن باكستان.

ورفضت المحكمة العليا في بنجلاديش الطعن الذي تقدم به الأمين العام للجماعة الإسلامية «علي إحسان محمد مجاهد»، على حكم بإعدامه بتهمة ارتكاب أعمال وحشية خلال حرب الاستقلال في عام ١٩٧١م.

وأدين الأمين العام لحزب الجماعة الإسلامية «علي إحسان محمد مجاهد» (٦٧ عاماً) بخمس تهم، بينها التعذيب، وقتل مثقفين وأفراد من الأقلية الهندوسية خلال قيادته قوة البدر التي كانت تابعة للجيش الباكستاني خلال حرب استقلال بنجلاديش عن باكستان.

ومن جانبها، أعربت وزارة الخارجية التركية عن حزنها العميق إزاء تنفيذ بنجلاديش حكم الإعدام بحق السكرتير العام للجماعة الإسلامية في البلاد «علي إحسان مجاهد»، والنائب عن الحزب القومي «صلاح الدين قادر تشودري»، بدعوى تورطهما في جرائم ضدّ الإنسانية أثناء حرب الاستقلال عن باكستان.

وقالت الوزارة في بيان لها: إن تطبيق الإعدام بحق مجاهد، وتشودري رغم طلبهما العفو من رئيس الجمهورية، أمر يثير القلق، لافتاً إلى أن تركيا التي ألغت حكم الإعدام، لا تزال عند رأيها، في أن جراح الماضي لا يمكن

تضميدها بهذه الطرق، وأضافت الخارجية التركية: ندعو الدولة الشقيقة بنجلاديش إلى الإلغاء الفوري لأحكام الإعدام، واستبداله بأساليب تخدم السلم الاجتماعي.

في سياق متصل، عبرت باكستان عن انزعاجها وقلقها الشديدين إزاء تنفيذ الإعدام بحق مجاهد، وتشودري، حيث وصف بيان الخارجية الباكستانية أحكام الإعدام بـ«المؤسفة».

فيما قال الداعية السعودي عوض القرني: إن بنجلاديش أعدمت أحد كبار علماء شبه القارة الهندية الشيخ علي أحسن مجاهد، في تغريدة عبر حسابه الرسمي على موقع التدوين المصغر «تويتر».

ومن جانبه، استنكر يحيى حامد، وزير الاستثمار المصري الأسبق في حكومة د. هشام قنديل، صمت دول العالم على إعدام زعيمين معارضين ببنجلاديش، وقال في تغريدة عبر حسابه على موقع التدوين المصغر «تويتر»: عالم يصمت اليوم على إعدام القياديين علي إحسان مجاهد، وصلاح الدين قادر تشودري ببنجلاديش لا تنتظر منه شيئاً تجاه قضايانا.

وقال الكاتب الصحفي أنس حسن، في حسابه عبر موقع «فيسبوك»: علي إحسان مجاهد ليس أول قيادي إسلامي يعدم ببنجلاديش، فالنظام السياسي المدعوم دولياً والموالي للهند والمعادي لباكستان يمارس سياسات نظام «السيسي» من قبل أن يوجد نظام «السيسي»، ونفذ مجزرة ضخمة شبيهة لرابعة في بنجلاديش قتل فيها ٦٠٠٠ آلاف من مناصري الحركة الإسلامية.

وتابع حسن: في بنجلاديش أيضاً تسيطر الدولة ورجال الأعمال العلمانيون على الإعلام، وأوجدت الدولة قطاع دعم واسع وتجييش لها ضد الإسلاميين، برغم احتفاظ الإسلاميين بكتلة ضخمة من المؤيدين، فإن نمط «تسلم الأيادي» منتشر جداً ويمكن لمسه بين البنجاليين، مضيفاً أن الحركة الإسلامية ببنجلاديش هي شبيهة بالإخوان المسلمين وتابعة لفرع الجماعة الإسلامية بباكستان سليلة «المودودي»، والمواجهة ضدها نسخة من ذات المواجهة ضد الإخوان بمصر.

وأكد حسن أن الحرب ضد الحركات الإسلامية تتخذ نمطاً عالمياً، وكل حركة يتم حربها بالنمط المناسب لها، فالحركات الشعبية الاجتماعية السياسية يتم حربها بنمط اضطهاد متدرج ينتهي بالحظر والإعدام والتصفيات الميدانية، والمسلحون يتم استدراجهم لحروب أكبر من حجم عتادهم، وهكذا تكتسب الحرب ضد الإسلاميين ملمحاً دولياً واضحاً لا لبس فيه.

من هما زعيما المعارضة اللذان أُعدما في بنجلاديش؟

«علي أحسن محمد مجاهد»، هو ثاني أرفع عضو في حزب الجماعة الإسلامية، أكبر الأحزاب الإسلامية في بنجلاديش؛ حيث يشغل منصب أمين عام الجماعة الإسلامية، كما شغل منصب وزير الرفاه الاجتماعي بين عامي ٢٠٠١ و٢٠٠٧م، وذلك في الحكومة الائتلافية بين الجماعة الإسلامية وحزب بنجلاديش القومي، التي ترأستها «خالدة ضياء».

أُعدم «مجاهد» عن عمر ٦٧ عاماً بعدما اتهمته السلطات بارتكاب جرائم حرب للتخلص منه بطريقة قانونية، من بين هذه التهم التي وجهت له قتل كبار المثقفين في البلاد، وإدانته في ٥ من أصل ٧ تهم وجهت إليه، بينها القتل والاختطاف والتعذيب، حيث يُتهم مجاهد أيضاً بأنه كان قائداً بارزاً في «مليشيات البدر»، التي كانت تُدعم من الجيش الباكستاني خلال حرب استقلال بنجلاديش.

أما «صلاح الدين قادر تشودري» (٦٦ عاماً)، فكان المستشار المقرب من «خالدة ضياء»، زعيمة الحزب القومي، أكبر أحزاب المعارضة في بنجلادش، وهو أيضاً نائب سابق في البرلمان، انتخب لـ٦ دورات عن حزب بنجلاديش القومي، وكان قد حُكم عليه بالإعدام في اتهامه بالإبادة الجماعية أثناء حرب الاستقلال عام ١٩٧١م، والتي انفصلت

علي أحسن مجاهد

باكستان عبرت عن انزعاجها وقلقها الشديدين إزاء تنفيذ الإعدام ووصفت الأحكام بـ «المؤسفة»

الخارجية التركية: إعدام «مجاهد» و«تشودري» أمر يثير القلق

عوض القرني: بنجلاديش أعدمت أكبر علماء المسلمين في شبه القارة الهندية

أنس حسن: الحرب ضد الحركات الإسلامية تتخذ نمطاً عالمياً

بعدها بنجلاديش عن باكستان.

الشيخة «حسينة»، رئيسة الوزراء البنجالية، نفت وجود دوافع سياسية وراء محاكمة وإعدام تشودري، ومجاهد، إلا أن الانطباع العام السائد في بنجلاديش يميل إلى عكس هذا تماماً، حيث يُعتقد أن «حسينة» تكتسب شرعيتها من خلال تصفية كل من وقف في وجه الانفصال عن باكستان قبل ٣٣ عاماً، أو من يُطلق عليهم ذيول حرب الاستقلال التي استمرت نحو ٩ أشهر.

هذا الاعتقاد تتبناه العديد من المنظمات الحقوقية، التي تؤكد أن أحكام الإعدام تلك وسابقتها تأتي في إطار تصفية الحسابات مع الخصوم السياسيين؛ حيث ترى الجمعيات الحقوقية أن الأحكام لم تطل أي ضابط بنجالي وقف مع الجيش الباكستاني خلال تلك الحرب، واقتصرت فقط على نشطاء المعارضة لا سيما من الإسلاميين، وهو ما يعتبره البعض ورقة يستخدمها النظام المدعوم دولياً لإقناع الناخبين بفرصته في الانتخابات المقبلة.

إذ أُنشئت المحكمة الخاصة من قِبل الحكومة البنجالية في عام ٢٠١٠م لمحاكمة من رفض الانفصال عن باكستان، والتي لا تجد تأييداً من الأمم المتحدة رغم اسمها الذي يوحي بذلك، أثارت أحكامها احتجاجات أنصار حزب الجماعة الإسلامية، الذين يتهمون الحكومة بالسعي من خلال تلك المحكمة، التي أصدرت أحكاماً قاسية بحق قيادات في الجماعة الإسلامية، إلى الانتقام السياسي من معارضيها، حيث يُعد حزب الجماعة الإسلامية من أهم الشركاء في تحالف المعارضة الذي يقوده حزب بنجلاديش القومي، وسبق للحزبين أن شكلا ائتلافاً حكومياً عام ٢٠٠١م.

اضطهاد الجماعة الإسلامية

الجماعة الإسلامية في بنجلاديش، التي تعتبر فرعاً للجماعة الأم في باكستان التي أسسها «أبو الأعلى المودودي»، سبق وأن أُعدم قادة منها، حيث نفذت حكماً بالإعدام في أبريل الماضي بحق الأمين العام للجماعة الإسلامية «محمد قمر الزمان (٦٢ عاماً)، رغم طلب الأمم المتحدة عدم تنفيذ عقوبة الإعدام لعدم استيفاء المحكمة للمعايير الدولية العادلة.

أُعدم الرجل الذي يشغل المرتبة الثالثة في هرم قيادة الجماعة الإسلامية باستخدام مشنقة أقيمت بالقرب من زنزانته في سجن بالعاصمة البنجالية دكا، بعدما أدانته محكمة محلية عام ٢٠١٣م بتهمة القتل خلال حرب الاستقلال عن باكستان، وهو ما نفاه محاموه، فيما رفضت المحكمة العليا حينها طلبه للاستئناف، ورفض هو شخصياً أن يتقدم بطلب للحصول على عفو رئاسي.

«قمر الزمان» كان الزعيم الإسلامي الثاني الذي يُعدم بتهمة ارتكاب جرائم حرب، حيث أعدمت السلطات البنجالية مساعد الأمين العام لحزب الجماعة الإسلامية المعارض «عبدالقادر ملا» (٦٥ عاماً) بذات التهمة في ديسمبر ٢٠١٣م داخل سجن دكا المركزي.

«ملا» الذي يُعد أبرز زعيم سياسي إسلامي مُعارض للنظام العلماني في بنجلاديش حكم عليه بالسجن مدى الحياة في البداية، وبعد قيام احتجاجات تطالب بإعدامه من مؤيدي النظام، عدل البرلمان البنجالي القانون بحيث يسمح للدولة باستئناف أي حكم تصدره محكمة جرائم الحرب.

رغم انتقادات من منظمة حقوق الإنسان التي وصفت محاكمة «ملا» بأنها تنتهك إجراءات المحاكمة العادلة، وكذلك المتحدث بالأمم المتحدة الذي طالب بإيقاف الحكم لافتقاده أبسط إجراءات التقاضي العادلة، وكذلك طعن «ملا» نفسه على الحكم وإنكاره التهم الموجهة له، فإنه تم إعدامه في ١٢ ديسمبر ٢٠١٣م.■

مقال

د. سلمان بن فهد العودة
رئيس مؤسسة «الإسلام اليوم»

خـــرق الناموس

قال لي صاحبي: أما ترانا كل يوم نفقد عزيزاً، ونخسر أرضاً، وننسحب من موقع، ونفاجأ بكارثة؟
قلت: بلى.
قال: ما الخطب؟ ولمَ؟ وإلى متى؟ وما المخرَج؟ وأين المفرّ؟
قلت: لا مفرّ من الله إلا إليه، ولا حول ولا قوة إلا به.
قال: ها نحن ندعوه ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً فلا يستجاب لنا!

قلت: إنه لا يخلف الميعاد، والدعاء أحد الأسباب الشرعية، ومعه أسباب شرعية أخرى؛ كالعدل، والإحسان، ورد المظالم، وحسن التعبُّد، والتوكل..وثمَّ أسباب طبيعية كونية وضعها الله نواميس تجري بها العادة، وهي سنن محكمة قائمة لا تكاد تتخلَّف.

كما الشمس في مطلعها ومغيبها، والقمر، والنجوم، وقوانين الذرة، والمجرة، والفيزياء، والكيمياء، وما بثَّ الله في الكون من أحياء ودواب تجرى كلها وفق ناموس واضح محكم؛ في أكلها، وشربها، وتزاوجها، وصحتها، ومرضها، وكثرتها، ونفوقها، وتنوعها.

أفترى شيئاً من ذلك عبثاً لا نظام له؟

قال: لا؛ وربي!

قلت: وهل جعل الله هذا الناموس متفاوتاً بين عباده في الدار الدنيا، فهو يجري بطريقة ما على الكافر، ويجري بطريقة أخرى على المؤمن؟

قال: كلا؛ هو ناموس واحد مطّرد يجري على العباد كلهم، ورحمته وحكمته اقتضت أن يكونوا أمام قانون الدنيا والكون سواسية.

قلت: فلماذا نحن في كل مرة نواجه أزمة تندرج ضمن هذه النواميس، نستغيث بلهجة من يريد من ربه خرق الناموس، وإحداث المفاجأة، وإجراء النتيجة التي لا تنسجم مع المقدِّمات والأسباب؟

كيف نتعلم إذا كان منا من يقول كما قالت بنو إسرائيل: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ (المائدة:١٨)؟

نعم؛ هو لا ينطقها بلسان المقال بل بلسان الحال.

ويعتبر نفسه كالابن المدلل؛ الذي يفعل ما يشاء، ولا يُؤاخذ، ولا يُعاتب، ولا يُعاقب، ولا تجري عليه القوانين؛ التي تجري على بقية الشعب!

أليس نقرأ في كتاب ربنا: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤)﴾ (النساء)؟

أليس قد قال الله لأهل الكتاب: ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ (المائدة:١٨)؟

أليس يقول رسول الله ﷺ: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا» (رواه مسلم).

أليس يقول حذيفة بن اليمان: نعم الإخوة لكم بنو إسرائيل إن كانت لهم كل مُرة ولكم كل حُلوة، فلا والله لتسلكن طريقهم قدَّ الشراك؟ (رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه).

كيف سنصحح تفكيرنا المعوج وطريقنا المائل إذا كانت الأمور تطاوعنا وتجري لنا كما نشتهي، ونحن ممعنون في الغلط، غافلون عن التصويب والتسديد، غارقون في مألوفاتنا وما وجدنا عليه آباءنا؟

قال لي صاحبي: صدقت.. ولكن ما قيمة الدعاء إذن؟ ولماذا يحركنا الدعاة والوعاظ إليه ليل نهار كلما ألمَّت ملمّة أو وقعت كارثة؟

قلت: الدعاء عبادة، وهو مناجاة وصلاة وقرب من الله؛ يربي على الصبر واحتساب الأجر، ويقوّي العزيمة على الطريق، ويرفع الهمة، ويعزز المقاومة، ويصنع التحفيز، ويفتح باب الأمل في حالات ومواقف شخصية، وأزمات نفسية وصحية وخاصة وعامة، ويهدئ النفس، ويريح الخاطر.

ولو لم يكن من بركته إلا أنه يمنح طاقة عظيمة على انتظار الفرج ولو بعد حين أو جيل أو أجيال، ويحمي النفوس من سطوة الكآبة والحزن، والهمّ والغم، واليأس والقنوط والاستسلام.. لكان ذلك كافياً.

الدعاء يمنح اللطف في الأزمات، ولذا كان بعض الصالحين يقول: اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه!

ويا ليت أن صيغ الدعاء تكون ملهمة ومحفزة على التدارك والتصويب والبحث عن أسباب الهزيمة في داخلنا كما كان أحدهم يقول:

اللهم بصِّرنا بمواطن الضعف في نفوسنا!

قال صاحبي: وهل ورد مثل هذا عن سيد المتعبِّدين؟

قلت: نعم.

كان أول ما يقول في دعائه وخطابه: «وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا» (رواه مسلم، وأحمد عن ابن عباس).

وكان يقول: «أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ» (رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم عن أبي هريرة).

وكان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي» أو كما قال ﷺ (رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، والحاكم).■

حسن الخطيب عضو مجلس إدارة مؤسسة مسلمي أمريكا من أجل فلسطين:

المسجد الأقصى.. القضية المركزية التي تحدد مصير الأمة

حاوره: سعد النشوان

«لا إسرائيل بدون القدس، ولا قدس بدون الهيكل».. إحدى المقولات المشهورة والراسخة في عقيدة الكيان الصهيوني، فالتقسيم الزماني والمكاني للمسجد الأقصى المبارك قديم بقدم عقيدة الاحتلال، وأصبح العالم يدرك أن اليهود يتعاملون بأسلوب طول النفس وخطوة خطوة من أجل تحقيق أهدافهم المرسومة.

حسن الخطيب، عضو مجلس إدارة مؤسسة مسلمي أمريكا من أجل فلسطين، في حوار مع «المجتمع»، أكد أن المسجد الأقصى في خطر حقيقي منذ دخول اليهود إلى فلسطين، مشيراً إلى أن كل محاولات الهيمنة على مدينة القدس وطمس معالمها العربية والإسلامية مستمرة منذ اليوم الأول للاحتلال.

● بداية، هل يمكننا القول: إن القدس والمسجد الأقصى في خطر حقيقي؟

– نعم، القدس في خطر كبير، ومنذ وقت طويل، والخطر يتضاعف مع مرور الأيام واللحظات.

● ما رأيكم في التقسيم الزماني والمكاني للمسجد الأقصى؟ وما تأثيره على المقدسيين؟

– موضوع تقسيم المسجد الأقصى موضوع قديم بقدم عقيدة الكيان الصهيوني، وهناك مقولة مشهورة تقول: «لا إسرائيل بدون القدس، ولا قدس بدون الهيكل».

إن كل محاولات الهيمنة على مدينة القدس وطمس معالمها العربية والإسلامية مستمرة منذ اليوم الأول للاحتلال، وبعد ٧٠ عاماً من الاحتلال، أدركنا أن اليهود يتعاملون بأسلوب طول النفس، وخطوة خطوة؛ من أجل تحقيق أهدافهم المرسومة مسبقاً.

وبالتعاون والتنسيق مع السلطات الرسمية (السلطات الأردنية، كون الأردن له سلطة على الأقصى)، تم السماح لهم بالدخول.

● هل تدعونا أحداث حرق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩م إلى أن نوضح للمسلمين هذا الخطر؟

– أحداث عام ١٩٦٩م ما هي إلا مقدمات لما سيحدث في المستقبل، حيث يسعى اليهود صراحة لهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل.

● هل عمليات الحفر ما زالت موجودة؟

– عمليات الحفر ما زالت وبكثافة، لكن بعض عقلاء اليهود وحكمائهم طالب بوقف عمليات الحفر أسفل المسجد؛ لأن تلك الحفريات قد تؤدي إلى هدم المسجد الأقصى، خوفاً من وجود تداعيات سياسية كبيرة في حالة هدم المسجد الأقصى؛ لذا هم حذرون من مغبة الإقدام على هذه الخطوة.

وصل الأمر أن يقوم اليهود بتحديد تاريخ معين لبناء الهيكل المزعوم، وهو عام ٢٠٢٥م، والبعض يحدد عام ٢٠٢٧م حسب مواقيتهم، والخلاصة أننا نلاحظ تسريع العمليات لإنجاز بناء الهيكل، في وقت غفل فيه كثير من المسلمين عن ذلك.

● هل يدعونا ذلك لدعم المرابطين والمرابطات المدافعين عن الأقصى؟

– دعم إخواننا المرابطين واجب شرعي، فالقدس والمسجد الأقصى قضية مركزية يرتكز عليها المسلمون، يتحدون في توحيد الرؤية إليه رغم خلافاتهم واختلافاتهم.

كل ما يحدث في العالم وراءه «إسرائيل»؛ من أجل السيطرة الكاملة على فلسطين، وتحقيق حلمهم التاريخي وهو بناء الهيكل المزعوم.

● الفلسطينيون يطالبون بالتوافق العربي من أجل حل القضية الفلسطينية، أليس من الأولى أن يكون هناك توافق فلسطيني فلسطيني، أولاً؟

– بلى، يجب أولاً تحقيق المصالحة الوطنية الشاملة بين كافة فئات الشارع الفلسطيني؛ لأن سياسة «إسرائيل» في احتلال فلسطين، ساهمت في تفريق العرب والمسلمين.

لذا يجب أن يكون هناك وحدة فلسطينية، تعقبها وحدة عربية، ثم وحدة إسلامية، وهذا بالنسبة لي هو المسار المنطقي لتحرير فلسطين.

● كنا نحلم بحل القضية الفلسطينية، والآن نحلم أن تجلس «حماس» مع «فتح» على طاولة واحدة، فهل هذا ممكن؟

– لا يمكن أن يتوافق وطني مع عميل، وعندما تكون المهمة الوحيدة للسلطة الفلسطينية هي التنسيق الأمني لتوفير الحماية الأمنية لـ «إسرائيل»، تجعلنا نضع علامات استفهام كثيرة على هذه السلطة، وهذا ما يعيق «حماس» وغيرها عن عملية التلاحم والتقارب والاتفاق مع السلطة.

● هل ترون أن السلطة الفلسطينية هي من تقوم بحماية الكيان الصهيوني؟ وهل هي ممثل شرعي؟

– السلطة هي من تحافظ على مصالح الكيان الصهيوني، وأستطيع القول: إنها ليست شرعية ولا تمثل الشعب الفلسطيني؛ فهي أعفت «إسرائيل» وحملت عنها عبء إدارة المدن العربية المكتظة بالسكان، والأمر في ظاهره إدارة حكم ذاتي، ولكن حقيقته إعفاء «إسرائيل» من عبء ثقيل يرهق كاهلها، إضافة إلى توظيف قوات الأمن الفلسطينية للسيطرة على الفلسطينيين.

● في مؤتمر عقد في الكويت، طالب وزير أوقاف السلطة الفلسطينية بفتوى تجيز زيارة القدس لغير الفلسطينيين، وقد جوبهت بالرفض؛ لأن أي زيارة لن تتم إلا بالتنسيق مع العدو، وهو اعتراف ضمني بالعدو، ما رأيك في ذلك؟

– أنا شخصياً مع الفتوى التي تحرم الزيارة في الوقت الراهن؛ لأن الزيارة فيها دعم لـ «إسرائيل»، وتنسيق واعتراف ضمني.

● هل ترون أن ما يحدث في القدس بداية لانتفاضة ثالثة؟

– إن ما يحدث أربك «إسرائيل» والقوى المجاورة التي كانت تنسق لأمر معين، وإذا نظرت للوضع العام فأنا في الحقيقة غير متفائل، من إمكانية حصول انتفاضة واسعة تعم كل فلسطين، وتشارك فيها كل القطاعات؛ نظراً لضعف الموارد، وضعف الدعم، فالدول العربية لم تعد تدعم كما كانت، وأول من سيحارب هذه الظاهرة هم بعض الفلسطينيين، متمثلين في السلطة الفلسطينية.

إن الشعب الفلسطيني يستخدم كل ما لديه من قوة؛ لأن السلطة الفلسطينية نجحت في تجريد أهل الضفة بالذات من أي إمكانيات عسكرية مسلحة.

● ما رسالتك للشعب المصري؟

أقول للشعب المصري: الشعب الفلسطيني منكم وفيكم، وهم أقرب الناس إليكم، فهم عرب ومسلمون، وأنتم وهم جسد واحد؛ لذا يجب أن يضغطوا على النظام المصري من أجل منع ما يحدث لغزة.

● «داعش» بدأ يضرب في كل اتجاه، فأين هو من فلسطين؟

– ما هذا التنظيم الذي يدعى «داعش»؟ وما أغراضه؟ ومن أنشأه؟ ولماذا؟ فـ «داعش» قد يكون أساس نشأته مؤامرة عالمية دولية تشعبت وتعددت.

الأهم من ذلك هو «إسرائيل»، ذلك العدو القابع في أراضينا، المحتل لها والمشتت لأهلنا، ومن بقي منهم يتعرض للتهديد بالقتل يومياً، تحت ذرائع واهية وحجج ضعيفة.

الأمور معقدة، ولا يُعلم من الصديق ومن العدو، فلا عدو دائم، ولا صديق دائم، وكوننا ضد أمريكا، لا يعني ذلك أننا مع روسيا، وحين نسأل أنفسنا: ما الذي تغير في سورية؟ ولماذا صار العالم وأمريكا ضدها؟ فأنا لا أدافع عن النظام السوري؛ لأنه لا يوجد إنسان عاقل يدافع عن نظام دموي.

إن الذي تغير هو أن الشعوب كادت أو اقتربت من أن تلفظهم، هم حريصون على معرفة من سيتسلم الراية بعدهم، فالتباهي بالديمقراطية أكذوبة كبرى، هم لا يؤمنون بها إلا في بلادهم، ولا يحبذون تطبيقها في العالم العربي والإسلامي، فالغرب يريدون أمثال «السيسي»، «كرزاي»، «عباس»، «المالكي»، «السبسي»؛ حتى يتم الإبقاء على هذه الحال.

> تقسيم المسجد الأقصى عقيدة راسخة لدى الاحتلال الصهيوني
>
> الاحتلال يتعامل مع القضية بطول نفس وخطوة خطوة للوصول إلى مبتغاه
>
> الكويت كانت ومازالت من أكبر الداعمين للشعب الفلسطيني

● كيف هو وضع الفلسطينيين في أمريكا، في ظل الأوضاع المتفجرة في العالم العربي، وبعد تعرض بعض الدول الغربية لأعمال إرهابية؟

– كل ما يحدث في العالم الإسلامي يتأثر به المسلمون في الغرب، وخاصة في أمريكا، وأكثر الشرائح الإسلامية تأثراً هم الفلسطينيون.

أما الحقيقة التي تظهر للعيان حالياً، والنظرة السلبية السائدة في الغرب، وما يصدر عنها من أخطار ومضايقات هي موجهة للمسلمين، فالمواطن الغربي لا يصنف على أساس الجنسية أو اللون أو اللغة، ولكن كل ما يظهر باللباس الإسلامي، وما حدث في فرنسا من تفجيرات أخيراً لم نرَ له أي توابع أو آثار سلبية تجاه المسلمين هنا.

● أين يرتكز محور عملكم، داخل أمريكا أم خارجها؟

– نسعى لتوعية الشعب الأمريكي بالقضية الفلسطينية من منطلق العدالة الاجتماعية، ومقرها في أمريكا فقط.

● عام ٢٠١٤م، اختيرت الكويت من قبل الأمم المتحدة «العاصمة الإنسانية» في العالم، واختير سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح «قائداً إنسانياً عالمياً»، ماذا يعني لكم ذلك؟

– يشرفني أن يتم ترشيح الكويت لمثل هذا المنصب؛ لأن الكويت كانت – وما زالت – من أكبر الداعمين للشعب الفلسطيني، سواء على المستوى الرسمي أو الشعبي.

● كلمة أخيرة للشعب الكويتي؟

– الشعب الكويتي جزء لا يتجزأ من الكيان العربي والإسلامي، ونطلب منهم زيادة الدعم، وندعو الله أن يجمعنا على الخير، سواء في الكويت أو في فلسطين، وأن يرزقنا الصلاة في المسجد الأقصى بعد تحريره من الكيان الصهيوني الغاصب، إن شاء الله تعالى.■

النظام العالمي الجديد.. ودِين «أستانة»

د. زينب عبدالعزيز
أستاذة الحضارة الفرنسية

ما من إنسان يجهل اليوم أن نظام العولمة يتقدم بخُطى شاسعة، فالاقتصاد العالمي ازداد تداخلاً، والاتفاقيات الاقتصادية توحّد مجال المال أكثر من ذي قبل، بفضل العديد من المؤسسات العالمية، بدءاً بما يطلقون عليه: مدينة لندن، أو حيّ البنوك، وهيئة الأمم المتحدة، والبنك الدولي، وصندوق النقد، وبنك التسويات الدولية.

قاعة الاجتماعات الكبرى

بصمة يد نزر باييف

وبالفعل؛ إن حكومات العالم تعمل معاً بإيقاع متزايد السرعة، وما من إنسان يجهل أن مجالي السياسة والمجتمع يسيران بنفس الإيقاع، فيا ترى ما وضع الدين، المحور الرابع للنظام العالمي الجديد؟ هل يمكن القول: إننا نشاهد أيضاً عولمة الدين؟!

استجابة للبابا

في خطابه الرسولي الأول عام ٢٠٠٩م، طالب «بنديكت ١٦»، حيال الأزمة المالية الشاملة والأزمة الاقتصادية عام ٢٠٠٨م، بضرورة «إنشاء سلطة سياسية عالمية حقيقية»، وطالب بأهمية التعاون مع هيئة الأمم المتحدة، ذات التوجهات الماسونية.

ومنذ يوم ٢٥ – ٢٧ سبتمبر ٢٠١٥م، طرحت منظمة الأمم المتحدة برنامجاً جديداً عالمياً من أجل الإنسانية جمعاء، مكوّناً من ١٧ هدفاً يجب تحقيقها حتى عام ٢٠٣٠م، ويأتي هذا الإعلان مباشرة من وثيقة أساسية لهذا البرنامج الجديد، وقد أطلق عليه «الأهداف العالمية»،

وهو واحد من أكبر البرامج الدولية التي تم اتخاذها، ويتعلق بمجال الاقتصاد، والزراعة، والتعليم، ومساواة الجندر، والصحة، وقد توجّه البابا «فرنسيس» إلى نيويورك من أجل خطاب إعلان انطلاق هذا البرنامج، مفصحاً بذلك عن موافقته المطلقة على هذا المشروع الجديد، وبالفعل قامت كل الدول الحاضرة طواعية أو جبراً بالتوقيع على الأهداف السبعة عشر لهذا البرنامج، إلا أن هذا الحدث لم يلفت انتباه وسائل الإعلام الدولية.

«فرنسيس».. والفاتيكان

يوم ٢٥ سبتمبر ٢٠١٥م، في كاتدرائية سان باتريك، أقر البابا «فرنسيس» الأجندة الجديدة لعام ٢٠٣٠م في الولايات المتحدة الأمريكية، وأعلن أن حياة يسوع قد انتهت بالفشل على الصليب! وهي عبارة غير كريمة ممن اعتاد التصريحات المبالغ فيها أو الاستفزازية، ومنذ وثيقة «في زماننا هذا» (١٩٦٥م)، المعوجّة المسيّرة، والتي تضعه دفعة واحدة في خط النظام العالمي الجديد، فإن البابا «فرنسيس» لا يكف عن محاولاته اللافتة للنظر من أجل التوحيد بين الكنائس أو التقارب بينها، بل والأكثر من ذلك، هناك تيار تم اختلاقه يزعم أن المسيحية والإسلام يعبدان نفس الإله! وهو ما يدفع إلى التساؤل: تُرى عما يهدف إليه؟ ألا يتخذ الخطوات اللازمة من أجل إقامة نظام ديني عالمي واحد، رغم عملية تنصير العالم التي يقودها؟!

واللافت للنظر، أنه منذ يوم انتخابه في ٣ مارس ٢٠١٣م، بدت بعض الظواهر التي تكشف عن تواطئه، فأول خطاب أرسله فور لحظة انتخابه كان تحية ليهود روما، ثم تلقى التهنئة من النظام العالمي الجديد، ومن تنظيم «بناي بريث» اليهودي، وأعلن انضمامه إلى الاحتفال بعيد «الهانوكا» اليهودي، وورّط الكنيسة في أكثر المشروعات نقاشاً واختلافاً، وبعد انتخابه بشهر واحد، بدأ تنظيم مؤسسته ليؤكد مزيداً من الشراكة بينه وبين الأساقفة، وهو ما يخالف وظيفته أنه «ممثل الرب يسوع» على الأرض، فكيف يكون له شركاء في هذا المنصب؟ ولا يكف عن توسيع نطاق شراكتهم هذه في «سينودس الأسرة» الذي انتهى منذ أيام؛ وهو ما يدفع إلى قول: إنه منذ عدة عشرات من السنين، والكنيسة الكاثوليكية تقع في توريطات سياسية شديدة تضعها أساساً تحت حبال النظام العالمي الجديد.

ومنذ توليته كرسي البابوية، يُعرب البابا «فرنسيس» عن رغبته في توحيد الكنائس المنفصلة؛ الأرثوذكسية، والأنجليكانية، والبروتستانتية، على الرغم من أن مجمع مدينة ترانت قد أعلن الحرق ناراً لكل من يؤمن بأن يسوع وحده هو المنقذ، وقرر إلقاء اللعنة على كل المخالفين لكنيسته، وهي لعنة تجددت عدة مرات، وفي الوقت نفسه، قام

يوم ٢٥ سبتمبر ٢٠١٥م في كاتدرائية سان باتريك أقر البابا «فرنسيس» الأجندة الجديدة لعام ٢٠٣٠م في الولايات المتحدة الأمريكية وأعلن أن حياة يسوع قد انتهت بالفشل على الصليب!

منذ عقود والكنيسة الكاثوليكية تقع في توريطات سياسية شديدة تضعها أساساً تحت حبال النظام العالمي الجديد

«النواشيزم» ديانة عالمية جديدة منبثقة من اليهودية اعتماداً على قوانين سيدنا نوح - كما يزعمون - وهي تتواكب مع السياسة العالمية وتطبّق تعاليمها وقوانينها على غير اليهود فقط!

بمغازلة المسلمين بشكل واضح، ففي ٢٠ مارس ٢٠٠٣م عند اجتماعه المسكوني، قال تحديداً: «أحييكم قلبياً وأشكركم جميعاً على الحضور أيها الأصدقاء المنتمون لتقاليد دينية أخرى، وأولهم المسلمون، الذين يعبدون الإله الواحد، الحي الرحيم، ويلجؤون إليه في صلواتهم، إن الكنيسة الكاثوليكية مدركة لأهمية إنماء الصداقة والاحترام بين الرجال والنساء من مختلف الأديان (وأتمسك بتكرار هذا: تنمية الصداقة والاحترام بين الرجال والنساء من مختلف الأديان)، فذلك يشهد أيضاً للعمل المهم الذي يقوم به المجلس البابوي من أجل الحوار بين الأديان».

وفي خطابه الرسولي «فرحة الإنجيل»، يزيد من الحفاوة بالمسلمين قائلاً: «يجب ألا ننسى أبداً أنهم يزعمون إيمانهم بإبراهيم، ويعبدون معنا الإله الواحد الرحيم الذي سيحاكم الإنسانية يوم القيامة»، وتجدر الإشارة إلى عبارة «يزعمون»، إذ إن الإنجيل الذي أصدرته كنيسته يقول: إن إسماعيل هو الابن البكر لسيدنا إبراهيم، والذي تم العهد معه، وهو الختان، وأن الختان قد تم على كافة رجال البيت بمن فيهم سيدنا إبراهيم، كما تجدر الإشارة إلى أن «الإله الوحيد الرحيم» مأخوذة نقلاً عن الإسلام، وتم إدخالها بالتحايل والتلاعب في وثيقة «في زماننا هذا»؛ ليزعموا أننا نعبد نفس الإله.

إلا أن هذا الحب المُعلن عنه صراحة لا يمنع نفس هذا البرجوليو والبابوان اللذان يسبقانه، عن محاولة اقتلاع ذلك الإسلام الذي يتقربون منه، بضراوة، وذلك بفرض تنصير العالم، والأدهى من ذلك؛ منذ عام ٢٠٠٠م والفاتيكان متورط في أعمال «مؤتمر الأديان العالمية والتراثية» الذي يجمع كل أديان العالم، في مبنى هرمي الشكل، بمدينة أستانة بكازاخستان، بغية توحيدها أو إغراقها لتفريغها من محتواها ومن معناها المميّز.

أستانة.. مدينة النظام العالمي

مدينة «أستانة» هي عاصمة كازاخستان منذ ١٠ ديسمبر ١٩٩٧م، حصلت على جائزة «مدن من أجل السلام» من اليونسكو عام ١٩٩٩م، وأصبحت عضواً في المجلس الدولي للعواصم والمدن الكبرى منذ عام ٢٠٠٠م، وهي أول مدينة / عاصمة تم تشييدها في القرن الحادي والعشرين، وأستانة تشير إلى الاتجاه الذي يسير إليه العالم، وقد تم تشييدها تحت رعاية «نور سلطان نزاربابيف»، رئيس دولة كازاخستان، بدعم من مليارات الدولارات البترولية، وهي عاصمة غيبية، تجمع مكوّنات النظام العالمي الجديد، وتقيم شعائر عبادة الشمس، أقدم الديانات على الأرض.

وكازاخستان دولة متفرّدة في العالم، فهي تضم أكثر من ١٣٠ جنسية، وربما كل ديانات العالم، ويصل تعدادها إلى حوالي ١٦ مليوناً من المواطنين، وتضم هذه الدولة ٤٢ ديانة وعقيدة، وحوالي ٣ آلاف منظمة دينية.

والمبنى الرئيس بها الهرم، تم إهداؤه إلى عبارة «التخلي عن العنف»، وإلى عبارة «تجميع ديانات العالم»، وهما موضوعان لهما أهمية خاصة بالنسبة للفاتيكان، والتجوّل داخل ذلك الهرم يمثّل طريق الإنسانية تجاه التنوير؛ ففي البدروم توجد أوبرا أستانة، حيث تقوم الجماهير المغيّبة بالتسلية، والطابق الأوسط، وهي الساحة الرئيسة بالهرم، هي عبارة عن قاعة الاجتماعات لكافة القادة الدينيين في العالم، الذين يحضرون هذه الاجتماعات، ويتناقشون في كيفية المصالحة بين الاختلافات القائمة بينها، من أجل العصر الجديد القادم، والذي يهدف إلى إحلال خلفية وثنية جديدة بدلاً من كل الأديان القائمة، وتضم قمة الهرم أو القمة المقدسة قاعة محاطة بالزجاج تماماً، وعليه رسومات للحمام الأبيض، رمز السلام الذي سوف يلوح مع توحيد الحكومات العالمية والأديان كافة تحت مسمى «النظام العالمي الجديد».

وقد تبنّت كازاخستان نظاماً اجتماعياً متفرداً في العالم، مجتمع متعدد الأعراق ومتعدد الأديان، معترف به كنموذج ضد الصراعات الدينية المنتشرة في جميع أنحاء العالم، وقد أصبحت مدينة أستانة مكان اللقاءات وساحة لقادة المجتمع الدولي، الذين يجتمعون من أجل الحوار بين الأديان، باعتباره وسيلة للتقارب بين مختلف الثقافات.

ويقام «مؤتمر قادة العالم والديانات التراثية» في أستانة منذ عام ٢٠٠٠م، وهم يجتمعون كل ٣ أعوام، وقد تمت ٥ لقاءات حتى الآن، في أعوام ٢٠٠٣، و٢٠٠٦، و٢٠٠٩، و٢٠١٢م، وكان آخرها في يونيو ٢٠١٥م، والاجتماع القادم سيتم عام ٢٠١٨م، وقد تم الاجتماع الخامس يومي ١٠ و١١ يونيو ٢٠١٥م، تحت رئاسة رئيس جمهورية كازاخستان، «نور سلطان نزاربابييف»، وكان موضوعه «السلام والتوافق كاختيار للإنسانية»، وقد حضره ٨٠ وفداً من ٤٠ دولة، ومن بين الحضور «بان كي مون»، الأمين العام الأمم المتحدة، وملك الأردن «عبدالله الثاني»، والأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي «إياد أمين مدني»، ومختلف قيادات الديانات العالمية.

وكانت الموضوعات المطروحة للمناقشة هي: «القيادات الدينية والسياسية: المسؤولية تجاه الجنس البشري»، «تأثير الدين على الشباب: التعليم، والعلوم، والثقافة، ووسائل الإعلام»، «الدين والسياسات: اتجاهات جديدة وتطلعات»، «الحوار القائم على الاحترام المتبادل والتفاهم بين قادة العالم والديانات التراثية من أجل السلام، والأمن، والتوافق»، أما الجلسة الختامية فكانت بعنوان «حوار القادة الدينيين والسياسيين من أجل السلام والتنمية»، وكما نرى، يبدو أنها رقصة ثنائية الإيقاع بين السياسة والدين!

البابا فرنسيس

حضور الفاتيكان

إن مقر الكرسي الرسولي البابوي والفاتيكان في كازاخستان يعد واحداً من ضمن ١١٣ تمثيلاً دبلوماسياً وقنصلياً أجنبياً، وواحداً من ٦٣ مفوضية في أستانة، والكاردينال «جان لوي توران»، رئيس المجلس البابوي للحوار بين الأديان، هو الممثل شبه الدائم للفاتيكان في هذه المؤتمرات، ومع ذلك، فإن تمثيل الفاتيكان يصل إلى أعلى من ذلك، بما أن رئيس الدولة «نزاربابييف» قد ذهب شخصياً لدعوة البابا «بنديكت ١٦»، يوم ٦ نوفمبر ٢٠٠٩م، لحضور المؤتمر الثالث، وقدم له هدية تذكارية، عبارة عن نموذج للهرم، ذلك المبنى الرئيس في أستانة ومقر الاجتماعات التخريبية، وأياً كان الأمر، فإن هذا التواطؤ الخائن للدين لا يخص الفاتيكان وحده، وإنما كافة ممثلي الأديان في العالم، بكل أسف، وخاصة أولئك التابعين لـ١٧ دولة الأساسيين، الذين توجد توقيعاتهم على نموذج الكرة الأرضية في قمة الهرم.

ظاهرة الخزر.. وكازاخستان

إن ظاهرة الخزر تعني الأتراك - المغول الذين تحولوا لليهودية عام ٧٤٠م، وهي سابقة تعد الأولى من نوعها في التاريخ، من جانب شعب لا ينتمي لواحدة من القبائل الاثنتي عشرة لـ «إسرائيل»، وقاموا بتكوين القبيلة الثالثة عشرة! وجزء كبير من يهود أوروبا الشرقية (الأشكيناز) أصلهم من الخزر، ويتميزون عن باقي الهجرات «السفاراد» حول محيط البحر الأبيض المتوسط، وقد قام العديد من المؤلفين بكتابة تاريخ ذلك الشعب الذي لا تتنازل أطماعه عن السيطرة على العالم أو أن يكون من قادته، ولعل ذلك هو الذي أدى إلى اختيار تلك الرقعة الجغرافية لإقامة مدينة أستانة.

وقد قام كل من «مايك هاريس»، «بريستون جيمس»، بالكشف عن التاريخ الحقيقي المخفي لدولة الخزر وارتباطها بالصهيونية العالمية وبـ«آل روتشيلد»، المتمركزين فيما يُطلق عليه «سيتي لندن»، وهو أغلى كيلومتر مربع على سطح الأرض، إذ يضم أكبر البنوك الرئيسة في العالم، وتمتلك هذه الأسرة السيطرة على بنك إنجلترا، وتدير الثروات المهولة التي لا تُحصى للفاتيكان، وقام آخرون بالربط بين تلك العائلة وبرنامج ٢٠٣٠م الذي أصدرته هيئة الأمم هذا العام، بينما يقوم البعض الآخر بربطها بمافيا «روتشيلد - الخزر» الذين يتحكمون بخيوط اللعبة في العالم حالياً.

وأياً كانت المعطيات التي تتداخل لتكوّن الخلفية العامة أو المسرح الذي تدور عليه الأحداث في مدينة أستانة، حيث تتم المناقشات الدولية لصياغة دين النظام العالمي الجديد، فلقد أصبح ذلك يمثل واقعاً لا يمكن لأي شخص إنكاره، بكل أسف؛ إذ إن الموقع الرسمي لهذه المؤتمرات يتضمن كشف أسماء كل المساهمين في هذه اللقاءات الخمسة التي تمت، بما فيها صورهم الشخصية.

إنجيل «آريس».. وأستانة

إن التطور السريع نسبياً للعديد من الحركات والطوائف والمذاهب الدينية الحديثة، التي تظهر في كل مكان تقريباً منذ عدة عقود، يلفت النظر لتواكبه مع نظام العولمة، ونذكر من هذه الحركات: المورمون، والأونزم،

والكاؤديزم، وكنيسة الصحوة، وكنيسة الوحدة، والبراهما كومارس، والبهائية، والسنكريتية، والنيوسنكريتية، والنواشيزم، وغيرها كثير، وكل تلك الفقاعات من الحركات أو الفرق تؤدي إلى زعزعة الأديان المستقرة، في زمن تزعزع فيه الكثير من الثوابت؛ لتسهل عملية محوها.

وتعتبر «النواشيزم» ديانة عالمية منبثقة من اليهودية؛ اعتماداً على قوانين سيدنا نوح - كما يزعمون - وهي تتواكب مع السياسة العالمية، وتطبّق تعاليمها وقوانينها على غير اليهود فقط! ومن وجهة نظر «النواشيزم» هذه، فإن الكاثوليكية عليها القيام بإعادة نظر شاملة لمبادئها بدءاً من إلغاء الثالوث وألوهية المسيح، وهو ما يجعلها قريبة مما ينادي به إنجيل «آريس» بوضوح، والذي نستشهد به على سبيل المثال، وحيث إن الهدف النهائي لليهودية هو إقامة دين عالمي للجميع، فهذا هو ما نطالعه أيضاً في نهاية إنجيل «آريس»؛ حيث إن رسالته تجعل من «إسرائيل» الدولة المعدّة لتحقيق الوعد (إطار صفحة ٥٣).

وإن كان إنجيل «آريس» يدعو إلى ممارسة حب القريب ويدعو إلى تخطي الأنظمة الدينية والسياسية، وإقامة عدالة عالمية تتخطى كل خلافات العقائد والأديان، فهو لا يرمي إلى أن يكون ديانة تقودها مؤسسة، على حد زعم كاتبه، ويترك حرية مطلقة للبشر، ثم يحدد قائلاً: «إن كل شيء معدّ لكي تختفي كل الأديان والسياسة والحضارة المادية الحالية»! ألا يتماشى ذلك مع ما تطالب به لقاءات أستانة لتنفيذه؟!

وفيما يتعلق بالمسيحية، فإن إنجيل «آريس» يدين معطيات الأناجيل، ويعتبر الثالوث هرطقة، وينكر ألوهية يسوع، وينكر أنه ابن الله، ويهاجم رجال الإكليروس، ويطالب بإعادة صياغة الأناجيل ليجعل منها «الإنجيل الإسرائيلي»! وإن كانت مهمة «بوتاي» لا تتوجه بكل تأكيد إلا إلى نطاق المسيحية، فهو بدأ من عام ١٩٩٥م يدرج البلدان المسلمة في نطاق مهمته، وذلك لم يمنعه من أن يقول في مقدمة طبعة عام ٢٠٠٩م: «إن رسالة إنجيل آريس لا تؤسس أي دين ولا سياسة ولا قانون جديد، وترمي بالأحرى إلى الاختفاء الطبيعي لكل ما هو قائم منها»، وتقول آخر جملة: «لذلك فإن هذا الإنجيل لا يمكن أن يؤدي - ما أن يتم تحقيقه - إلا إلى عالم قد تغير تماماً بلا دين، ولا سياسة، ولا قانون، ولا مؤسسات تدخلية أو تحكمية»، أليس ذلك ما ينادي به ويعمل على تنفيذه القائمون على مؤتمرات أستانة؟!

إن الربط بين إنجيل «آريس» وما يدور في أستانة قد يبدو مبالغة غير لائقة في نظر أتباع «آريس»، الذين تقبّلوا ذلك الإنجيل وخاصة فكرة أن يسوع تجسّد له بلحمه وعظمه، على أنه واقع حقيقي، وبخلاف كل ما تقدم، توجد صلة أخرى بين إنجيل «آريس» ومؤتمرات أستانة، تتلخص في كلمة «الإستب»، التي تمثل الخلفية الجغرافية السياسية لكازاخستان، والتي ترد ٥ مرات في نص إنجيل «آريس»،

إنجيل «آريس» يدين معطيات الأناجيل ويعتبر الثالوث هرطقة وينكر ألوهية يسوع وينكر أنه ابن الله ويهاجم رجال الإكليروس ويطالب بإعادة صياغة الأناجيل ليجعل منها «الإنجيل الإسرائيلي»!

«أستانة» عاصمة كازاخستان مدينة النظام العالمي الجديد

كازاخستان تضم أكثر من ١٣٠ جنسية ويصل تعدادها إلى حوالي ١٦ مليوناً من المواطنين.. وتضم ٤٢ ديانة وعقيدة و٣ آلاف منظمة دينية

في الآيات : ٥-٣ /٢٨؛ ٢٨/١٠؛ ٢١-٢٠ /٢٨؛ ٠١ /٣١؛ و ٠٥ /٣١، ويحدد «بوتاي» قائلاً: «لا توجد إستب إلا في الاتحاد السوفييتي أو في الصين الشيوعية»، وذلك في تعليقه على الآية ٥ /٢٨ طبعة ٢٠٠٩م، أي أن مهمته تتمركز في تلك المنطقة، ثم يضيف في نفس الملحوظة: «إن إعادة تنظيم العالم ليس أمراً ماركسياً، ولكن إنجيلياً منذ عام ٢٠٠٠م»؛ أي دينياً، وينهي تعليقه على شرح الآية الرابعة قائلاً: «إن الله يطلب مساعدة الملحدين أو حتى عبدة الأصنام من أي نوع لكي يقوموا بإعداد عالم المستقبل»!

إن الآية ٢٨/١٠ تنتهي بعبارة «مع إخوانك في الإستب، الذين لا ينطقون اسمي، ستقيم العدل»، وهو ما يعني أن «بوتاي» لا يقع عليه التعاون فحسب مع إخوانه في «الإستب»، لكن يا له من «يسوع» غريب ذلك الذي يطلب من رسوله أن يتعاون مع القائمين في «الإستب»، الذين يسعون إلى إلغاء الأديان! والآية ١١ /٢٨ تستكمل المعنى: «من الأفضل أن تقام بدون اسمي عن أن يحكم ويسود ما أبغضه».

ويقول «بوتاي» في طبعة ٢٠٠٩م: «إن نداء توحيد كافة المؤمنين قد انطلق من آريس (أولاً مع أبناء إبراهيم؛ المسيحيين واليهود والمسلمين)، ومع غير المؤمنين (الذين لا ينطقون اسم الرب) ليقوموا معاً بتحطيم الأنسقة الدينية، والسياسية، والعرقية، والاقتصادية، ويحرروا في كل مكان المقهور والمنهوب»، وبما أن اليهود الصهاينة هم سادة هذا التخريب السائد في العالم، فلا يمكن إلا القيام بالربط بين ما يدور في أستانة والرسالة الخاتمة لإنجيل «آريس»، الذي ذُكر كنموذج على سبيل المثال.

ففي ملاحظات طبعة عام ٢٠٠٩م التي تختلف كلية عما في طبعات أخرى، يفسر «بوتاي» آيات ٢١ - ٢٠/ ٢٨ قائلاً: «إن الإعلان عن الانقلاب الكبير هو الذي سيقيم الحضارة الجديدة، ساحة الجنة الأولى التي علينا إعادة بنائها»! ولا داعي لإضافة أن الجنة (في سفر التكوين) كانت في السماء حيث طرد الرب منها آدم وحواء وأرسلهم إلى الأرض.

ولاختصار كل ما تقدم، لا يمكن إلا قول: لقد تمت اللعبة، ومن يقومون بتنفيذ الأحداث القادمة يتمسكون بشراسة لإنجاح خطتهم؛ لذلك يحلو لي أن أذكّر بآية تفتح الآفاق أمَلاً: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ (الأنفال).■

المصادر

1- http://www.paulmcguire.us/nwv092815.html
2- www.religions-congress.org/index.php?lang=english
3- http://www.un.org/ga/search/view_doc.asp?symbol=A/RES/701/&Lang=F
4- http://wordpress.catholicapedia.net/wp-content/uploads/201208//La_religion-noachide.pdf

أدب الدعاية والمنشورات السياسية:

يؤيّد الاستبداد.. يسوّغ القتل.. يشوّه الإسلام! (١ - ٢)

أ. د. حلمي محمد القاعود
أستاذ الأدب والنقد

في الصراع من أجل الحرية والكرامة الإنسانية، لا تواجه الشعوبُ الحكومات المستبدة وحدها، ولكنها تواجه أذرعها الإعلامية والثقافية التي تسوغ الظلم، وتقدم حيثيات وجوده واستمراره، والأخطر من ذلك أنها تستميت دفاعاً عن تأجيل الحرية والشورى والكرامة الإنسانية إلى أجل غير مسمى.

الشعوب تواجه أذرعاً إعلامية تسوِّغ للظلم في صراعه مع الحرية والكرامة

لا يستطيع أعداء الإسلام من بني جلدتنا انتقاد لحية حاخام أو قسيس.. ولكن اللحية الإسلامية مشكلة!

عقب انقلاب يوليو ٢٠١٣م في مصر، ظهرت مجموعة من الأعمال الدعائية المنسوبة خطأً إلى الأدب؛ دواوين شعر، وأزجال بدائية، وروايات، ومجموعات قصصية، فضلاً عن المقالات اليومية الأسبوعية وغيرها تبارك الانقلاب، وتهجو اختيار الشعب، وتندد بإراداته، وترحب بالحكم العسكري الدموي الفاشي، وفوق ذلك كله تنتقص الإسلام وتزدريه وتشوه أتباعه؛ مما جعل هذه الأعمال أقرب إلى المنشورات السياسية والتقارير الأمنية.

سنقرأ معاً نموذجاً دالاً من هذه الأعمال التي ظهرت عقب الانقلاب لكاتب اسمه عمار علي حسن، وهو من العاملين بـ «وكالة أنباء الشرق الأوسط»، ويحمل درجة دكتوراه، وقد لمع منذ بداياته في التسعينيات بصورة مريبة، حيث أغدقت عليه الجوائز في مصر والخليج، واهتمت به على غير العادة الحظيرة الثقافية؛ فاحتفت بأعماله وقرظتها وأثنت عليها، مع أنها في مجموعها ضعيفة ومتواضعة، ولكنها في كل الأحوال تتبنى الخطاب الحظائري الأمني المعادي للإسلام.

وقد تصورت أن الكاتب يمتلك جرأة الباحث عن الحقيقة والمدافع عن الحرية وشجاعة المؤمن بحق الإنسان في الاختيار والمشاركة، ولكني للأسف صدمت صدمة عنيفة حين قرأت بعض أعماله التي يحاول فيها أن يبدو بطلاً شجاعاً في مواجهة حالة من الحالات السلبية في المجتمع.

شرشوح الزفر!

بصفة عامة، نرى الكاتب مغرماً بنقل الواقع على طريقته الرمزية، ولكنه لا يستطيع المواجهة المباشرة؛ خوفاً على مصالحه، وقد يصيب شيئاً من التوفيق في النقل دون أن يحرز شيئاً من الشجاعة الحقيقية؛ كما نرى في صورته القصصية التي سماها «شرشوح الزفر»، وتقدم لنا شخصاً معروفاً في الواقع الاجتماعي، سبّاباً بذيئاً، له ملامحه الجسمانية المصورة في أذهان الناس والقراء، ويتحاشاه المجتمع حتى لا يصيبه أذاه، وفي الوقت نفسه يحميه عمدة القرية الذي يستخدمه في تدمير خصومه معنوياً أو مادياً، حيث يدّعي شرشوح دائماً أنه يملك على الشخص المستهدف وثائق اتهام وعناصر إدانة، ولكنه في الحقيقة لا يملك إلا استخدام الرشوة وتلفيق القضايا وشهود الزور الذين يجعلونه يحقق انتصارات على الشخص المسكين المستهدف، وبينما يبدو في قلب المجتمع أسداً هصوراً يخيف الناس، فإنه أمام زوجته يبدو فأراً مذعوراً حيث تتعامل معه بالشبشب، وفي لحظة ما يقرر العمدة وشباب القرية إنهاء سطوته (جريدة «المصري اليوم»، ٢٠١٥/٩/٣م).

وتبدو عملية نقل الواقع في كل الأحوال شبه مكشوفة؛ لأن القارئ يدرك من فوره وفي أثناء القراءة الشخص المعني أو الأحداث المقصودة، وهو ما تفصح عنه كثيراً مواضع كتابه «السلفي».

وهذا الكتاب (السلفي – رواية، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ٢٠١٤، ٢٩٥ صفحة، قطع متوسط)، ينقسم إلى عتبات عددها إحدى وعشرون عتبة، كل عتبة تمثل فصلاً، وتشير إلى دار أو مبنى من مباني القرية التي ولدت بها الشخصية الرئيسة، أو احتضنت شخصيات أخرى جاءت من خارجها.

وتدور أحداث السلفي في إحدى قرى المنيا القريبة من عاصمة المحافظة، وتمتد إليها وإلى بعض قراها ومدنها الأخرى، بالإضافة إلى مدينة القاهرة التي يعيش فيها بطل الرواية راوي الأحداث بعد أن انتقل إليها من قريته ليتعلم ويعمل محامياً، وتظهر من بعيد جبال أفغانستان أو تورا بورا التي يتمركز فيها المجاهدون العرب القادمون من الدول العربية لمواجهة الاحتلال الشيوعي السوفييتي.

يستخدم الراوي الضمير الثاني

(المخاطب) فقد تخلى عن الضمير الأول (المتكلم) والضمير الثالث (الغائب)، واستخدم الضمير الثاني (المخاطب)، وهو من أصعب الضمائر في السرد الروائي، ويحتاج في الغالب إلى كاتب محترف له تجربة عميقة في الإنتاج الروائي؛ حتى يتجنب المزالق الفنية وفي مقدمتها الخطابة الزاعقة والمباشرة الصارخة.

الزمن التاريخي

لا نستطيع تحديد الزمن التاريخي الذي جرت فيه أحداث الرواية بدقة، فهناك الاحتلال الروسي أو السوفييتي لأفغانستان الذي تم في أواخر السبعينيات (١٩٧٩م)، واشتعال المقاومة الإسلامية ضده فور دخوله إلى الأراضي الأفغانية، وبعد اشتداد المعارك تدفق اللاجئون الأفغان على الدولتين المجاورتين باكستان وإيران، واستمر الجهاد نحو عشر سنوات، انسحب الروس بعدها، وتحررت أفغانستان وانهار الاتحاد السوفييتي.

ثم يرجع الزمان التاريخي إلى ميلاد المحامي / الراوي، وقد يغوص في أعماق التاريخ إلى ما قبل مولده، ويقفز إلى عصرنا الراهن أو إلى ما قبل ثورة الشعب المصري في يناير ٢٠١١م حيث يطالعنا حديث توريث نجل المخلوع وأحداث العراق وغيرها.

الزمن الروائي

أما الزمن الروائي فيبدأ بحديث المحامي عن ابنه وتلقيه رسالة وحيدة منه، حيث يقبع في جبال تورا بورا، وينتهي بانتهاء مرافعته أو مونولوجه الطويل (حواره الداخلي) الذي استغرق فترة تجواله على عتبات القرية (لا يحدد طولها)، وقص تاريخها وذكر سكانها وكيف عاشوا وكيف ماتوا مع الإشارة إلى من بقي منهم حياً يذكر الله!

ما لم يذكره الراوي أو المحامي أن أمريكا بعد تمركز قوات الغزو السوفييتي في أفغانستان، شجعت حكومات العالم الإسلامي على الوقوف بجانب المجاهدين الأفغان، وساعدت على وصول مئات الشباب العربي والإسلامي إلى أفغانستان، وكانت بعض الحكومات العربية بالاتفاق مع أمريكا توفر عملية الانتقال إلى هناك، وفتحت بمعرفة بعض الحكومات العربية والإسلامية حسابات مصرفية لمساعدة المقاومة الأفغانية، وبعد هزيمة السوفييت تغيرت الأحوال، فقد تدخلت أمريكا لتشعل الفتنة بين المجاهدين الذين انقسموا على أنفسهم وتصارعوا فيما بينهم، وسال دم أفغاني كثير بأيدي الأفغان المجاهدين، ثم ظهرت جماعة «طالبان» (طلبة المعاهد الدينية) التي سحقت الجماعات الأخرى ووحدت البلاد تحت حكمها.

بيد أن الأمريكيين حركوا الأمور في اتجاه آخر، أعلنوا العداء لـ «طالبان»، وجعلوا الحكومات العربية تشيطن الشباب العربي الذي حارب مع المجاهدين، وصار من يعود من أفغانستان إرهابياً تعاقبه حكومته، وظهرت قضايا ما يسمى بالعائدين من أفغانستان أو الأفغان العرب، لتجعل العودة إلى أرض الوطن عودة إلى الجحيم، فآثر كثير منهم الغربة في أرجاء الأرض، أما من بقي في أفغانستان وأطلق عليهم اسم «القاعدة» فقد وصمتهم الولايات المتحدة – ومن بعدها الحكومات العربية والإسلامية – بـ «الإرهاب»!

تدمير ما بقي من أفغانستان

وعقب حادث نيويورك أو برج التجارة العالمي الغامض في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، الذي أودى بمئات الأمريكيين، زحفت جيوش أمريكا لتحتل أفغانستان، وتدمر ما بقي منها بعد الاحتلال الشيوعي، وتقيم حكومة موالية لها، تحميها قوات «المارينز»، وتواجه قوات «طالبان» التي راحت تقاوم الاحتلال الأمريكي حتى هذه اللحظة.

زعمت الولايات المتحدة – دون تحقيق قضائي – أن الإرهابيين المسلمين في أفغانستان أو «القاعدة» كانوا من وراء الحادث البشع الذي أودى بالمئات في برج التجارة العالمي. وساعدها على ذلك تصريحات عنترية غير مسؤولة لبعض المحسوبين على الحركة الإسلامية؛ انطلقت هنا وهناك تعلن مسؤوليتها عن الحادث، مع أن الحادث أكبر منها ومن قدراتها جميعاً.

كما سبقت الإشارة، فإن السلفي تقدم لنا شخصية أب يعمل محامياً يتحدث في الخيال إلى ولده الذي تركه وسافر إلى تورا بورا بمساعدة من يسميهم السلفيين أعداء الحياة الذين حرموه من وحيده وقرة عينه، فلا يعرف أحيّ هو أو ميت، ولم يتلقَّ منه غير رسالة يتيمة من زمن بعيد، ويتوسل إلى معرفة مصيره بكل الوسائل والأشخاص الذين يعرفهم، ولكنه يخفق، فيأخذ ولده الضائع في رحلة متخيلة إلى قريته التي ولد فيها الأب – بعد أن صار قاهرياً بحكم الإقامة والعمل – ليعرفه بأهلها وسكانها وبيوتها ومسجدها

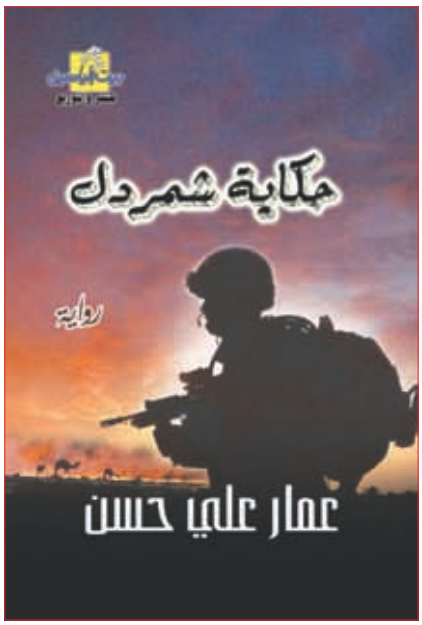

> الصوت الروائي يصر على أن يكون بوقاً دعائياً يتجاوز مفهوم الفن ليشهّر بمن تنحاز إليهم الفطرة السوية والإرادة الشعبية

كشفاً لقصته وتاريخ حياته وأفكاره وآرائه، لعل الولد يحن ويعود إلى أحضانه.

مرافعة فاسدة شديدة الزعيق

فكرة بناء الرواية من خلال العتبات جيدة لو أن المؤلف استخدمها بصورة فنية، ولكنها بدت مجرد لوحات مفككة مفعمة بمرافعة فاسدة شديدة الزعيق، كثيرة المغالطات لتنحية ثوابت الإسلام خاصة الجهاد لحساب الصوفية السلبية بمعنى الدروشة وما يمكن تسميته بالإسلام السلبي الذي يجب ألا يتعدى حدود جدران البيت أو المسجد في أفضل الحالات، مع تقديم صورة مقزّزة للمسلم صاحب اللحية الكثّة المهوشة الذي تعلوه الكآبة والجهامة والكشارة والغضاضة وكراهية البشر والانغلاق دون الناس والمجتمع، والتآمر الخسيس على الوطن، والرغبة الدائمة في الشر والدم!

تمهد الرواية للأحداث بنبوءة من إحدى العجائز اسمها الشيخة زينب لجدة الولد تفيد ولادة طفل يعصي والده ويجعل أيامه نكداً في نكد، ويكون هو الولد الذي ذهب إلى تورا بورا في مكان بعيد آخر الأرض.

في الحوار بين المحامي وابنه يبدأ انتقاد المحامي للسلفية المفترضة وابنه السلفي فيتوقف عند موضوع اللحية، وتبدو اللحية عند المسلم عموماً – بغض النظر عن موقف السلفيين – موضع مؤاخذة وانتقاد وسخرية، ويلح عليها الشيوعيون والمعادون للإسلام، ويتخذ منها الممثلون ورسامو الكاريكاتير موضوعاً للسخرية من الإسلام والمسلمين، وتقوم الجهات الأمنية بمتابعة أصحاب اللحى الذين يرتادون المساجد، ويقبضون عليهم عند تلفيق القضايا للإسلاميين، صحيح أن هناك لحى مزيفة يتخذ منها بعض المحتالين وسيلة لخداع البسطاء والأميّين بحكم أن من يلتزم بها يفترض فيه وفقاً للوعي الجمعي أنه يراعي أخلاق الإسلام في تعاملاته وسلوكه، ولكن أولاد البلد يفرقون بين صاحب اللحية الصادق والآخر المزيف، ويطلقون على لحية الأخير صفة «التايواني»؛ أي الفالصو أو المزيفة، وقد أطلقوها بعد الانقلاب العسكري في مصر (٢٠١٣/٧/٣م) على أحد الأحزاب الخائنة التي تآمرت مع أعداء الإسلام الذين خطفوا الرئيس المسلم، وأوقفوا الدستور وأطاحوا بإرادة الأمة وحرموها الحرية والكرامة والمشاركة، وقتلوا الآلاف من الأبرياء واعتقلوا عشرات الألوف من الشرفاء،

وفرضوا إرادتهم الدموية على الملايين!

سؤال اللحية

بالطبع، لا يستطيع أعداء الإسلام من بني جلدتنا أن ينتقدوا لحية حاخام يهودي، وما أطول لحيته، ولا قسيس مسيحي، ولا لحى البوهيميين والفنانين، ولا لحية الشيوعي «جيفارا» أو صنوه «فيدل كاسترو»، اللحية الإسلامية هي مشكلة القوم في بلادنا!

يسأل المحامي ابنه عن اللحية، فيرد الولد:

– هذه سُنة الرسول (بدون صلاة وتسليم كما يفترض).

ويرد عليه الأب ضاحكاً:

– كان الرسول يترك شعر رأسه مسترسلاً على كتفيه، وكان يضفره فافعل مثله.

ويلوذ الولد بالصمت، ويقول:

– لا أستطيع أن أفعل هذا.

– لماذا؟

فيرد الولد بصوت خفيض:

– التقاليد!

فيقهقه الأب ويقول له:

– كانت بعض تقاليدهم فماتوا عليها فصارت لديكم سُنة.

وامتلأ وجهك بالغيظ، وقبل أن ترد عليَّ بما يظهر غضبك واصلت أنا، وسألتك:

– ترى لو كان في جزيرة العرب قديماً حلاقون مهرة ألم يكن من الممكن أن يتغير كل شيء؟

وضربت عليك ذلة ومسكنة واحتار أمرك، ولكنك جريت إلى غرفتك وأحضرت كتباً ذات أغلفة مقوّاة خضراء وحمراء، وعناوينها مكتوبة بماء الذهب، وقلت لي:

– اقرأ بدلاً من الولع بسيرة الشيخة زينب الجاهلة.. (يقصد الشيخة العجوز التي تنبأت بعصيانه لوالده) (انظر: السلفي، ص ٢٠ وما بعدها).

هكذا يبدو النزال بين الوالد والولد في الحوار المتخيل مشحوناً بالكراهية والمغالبة، بيد أن المحامي المترافع ضد ولده السلفي الملتحي لا يكتفي بتشويه السلفيين المتشددين المتخلفين المتحفزين لدولتهم القادمة التي يسْبُون فيها غير المسلمات، ولكنه يوجه سهامه إلى جماعة الإخوان المسلمين وفقاً للأجندة الانقلابية القائمة التي تهجوهم طوال الليل والنهار عبر الصحف والتلفزة والإذاعات والمؤتمرات والندوات والمحاكمات الملفقة وأحكام الإعدام التي تصدرها ضدهم بالمئات عدا المؤبدات وما تحتها.

تجاوز مفهوم الفن

الصوت الروائي يصر على أن يكون بوقاً دعائياً يتجاوز مفهوم الفن ليشهّر بمن تنحاز إليهم الفطرة السوية والإرادة الشعبية وتمنحهم تأييدها الواضح والصريح، وتفوضهم لبناء الوطن على أسس العدل والكرامة والحرية والطهارة والمشاركة الجماعية في صنع المصير القومي والإنساني، في الوقت الذي لا يشير فيه إلى الاستبداد والقمع بكلمة، فهو بمفهوم المخالفة يؤيد الحكم العسكري وتجلياته الدموية القمعية.

ها نحن نسمع مرافعته حول «مطيع»

أبولمعة السريع الكذاب المراوغ، لص البرتقال من حدائق القرية؛ الذي يدعي أنه معيد في كلية دار العلوم التي قضي فيها ثماني سنوات ليحصل على الليسانس، ويفاخر به أبوه الذي لم يكذبه أبداً، ويقدم لنا المحامي قصة تجنيده في تنظيم الإخوان حين التقطه د.راضي عبدالجبار، أحد الأعضاء القدامى في الجماعة والمدرس بالكلية، ورأى فيه مؤهلات واعدة؛ لأنه يتطلع لتلبية احتياجاته المادية وتطلعاته الدنيوية ويرطب ضميره بالصلاة المنتظمة في مسجد الكلية، فقد تم اصطياده، وأخذه د. راضي إلى معسكر أقامته الجماعة في بلطيم عاد منه عضواً بدرجة «محب»، وتفانى في الجماعة حتى صار عضواً «عاملاً» من الموعودين برضاء «مكتب الإرشاد» لتتفتح عليه بركات من الأرض.

كانوا يسلمونه – كما يقول المحامي حسن / أو الرواي – مبلغاً كبيراً من المال يوزعه على المؤلفة «جيوبهم» من الطلاب الفقراء في المدينة الجامعية، خاصة طلبة الطب والهندسة، لكنه يبدأ دوماً بذوي القربى من طلاب دار العلوم وهو يقول في نفسه:

– فيها تخرج إمامنا حسن البنا، ومفكرنا سيد قطب الذي ترك لنا ما نعود إليه كلما اشتد علينا الألم، وشعرنا بالهجران والخذلان.

ويخبرنا المحامي في مرافعته أن مطيعاً زاره ذات يوم في كلية الحقوق لينضم إلى الجماعة، وقال له من دون مقدمات:

– نريدك معنا.

– معكم؟!

فتنحنح وقال:

– نصرة الإسلام تحتاج إلى جهد كل المخلصين وأنت منهم.

فابتسمتُ، وهززتُ رأسي صامتاً في عجب، ففي تلك الأيام بالضبط كنت أقرأ كتاب «معالم في الطريق»، وأناقشه مع أستاذي منصور عبدالجليل، وأنصت إليه وهو يعدد خطورة ما انطوى عليه، ويجذبني بمرور الوقت نحو «اليسار»، وهو يقول: «كن مع ملح الأرض»، فتحل في رأسي كل بيوت الطمي ووجوه الفلاحين الضامرة، فأجد مَنْ أو ما يهتف في أعماقي: «هذا طريقك»، فأمضي منشرح الصدر، فاتحاً ذراعي لتطوقا الدنيا بأسرها.

ويستكمل المحامي اليساري قصته مع الإخواني مطيع ولقائه به بعد عمله مدرساً في قرية مجاورة وتبادل الأخبار وطلب عونه في الوصول إلى ابنه الذي اختفى في تورا بورا، يخبره أن من انضم إليهم ابنه جماعة أخرى، ولكن المحامي اليساري يرى أنهم جميعاً – أي الإسلاميين – سواء! ويقول له:

– أنتم من صنعتم الجحر الذي انجذب إليه النمل من شتى أنحاء الأرض.

ثم يتهمه وجماعته بأنهم من أقاموا معسكرات الإغاثة على أرض باكستان وساعدوا على تجنيد الشباب ونقله إلى ضفاف المعارك ومن بينهم ابنه، وجاء من بعد من أخذهم إلى قلبها.

وتنحنحت، وبلعت ريقي، وأطلقتها في وجهه:

– وكل هذا تحت رعاية «السي. آي. إيه».

ونسي أن الأمر كان معلناً، والحكومة الأمريكية وليس مخابراتها تتبناه؛ ليس في مصر، ولكن في عديد من بلاد العرب، لا يكتفي المحامي الشيوعي بهذا، بل يتهم جماعة الإخوان بالاغتيالات والتهديد بالقتل لمن يهاجمون تفكيرهم. (انظر: الرواية، ص ٢٤٩ – ٢٦٣).

ولا ريب أن كثيراً من القراء سمعوا أو قرؤوا عن هذه الاتهامات المتكررة للإخوان، وخاصة من جانب الشيوعيين المصريين الذين جندهم النظام العسكري منذ انقلاب عام ١٩٥٢م حتى الآن لينطقوا بلسانه، ومكّنهم من وسائط التعبير الصحفية والثقافية والفكرية والأدبية، فتحول إلحاحهم على أكاذيبهم «الهتلرية» إلى مسلمات عند كثير من الناس البسطاء، لسنا هنا بصدد تفنيد الأكاذيب الشيوعية التي رددها المحامي اليساري الذي يرى الإسلاميين على تعدد فصائلهم ومناهجهم سواء في العداء للحياة وكراهية الأوطان والعمل لحساب «السي آي إيه»، ولكننا نكتفي ببعض الإشارات.

هناك مشهد في النص السابق، يكاد يتطابق مع مشهد مماثل في فيلم «طيور الظلام» الذي كتبه الشيوعي وحيد حامد، ومثّله عادل إمام، حيث يقوم المحامي الإخواني «علي الزناتي» بدعوة زميله «فتحي نوفل» (عادل إمام) إلى الانضمام إلى الجماعة، ويجري بينهما حوار مشابه؛ ما يؤكد أن الرؤية الشيوعية في الفيلم والرواية التي بين أيدينا تصدر عن نبع واحد، وتتلخص في جملة واحدة هي «العداء للإسلام»، والابتهاج «بملح الأرض» أي العمال والفلاحين، «فتحل في رأسه كل بيوت الطمي ووجوه الفلاحين الضامرة؛ لأن هذا طريقه..!»، وبالطبع فملح الأرض عند اليساريين هو الحكومة وجنتها العريضة وليس العمال والفلاحين، وقد نقلتْ كثيراً من الشيوعيين المصريين من سكنى السطوح إلى سكنى القصور وأغلى أجنحة الفنادق الممتازة، ومن أصحاب أحذية مخرومة إلى ركوب أفخم أنواع السيارات، والرفيق العجوز «حسن» خير من يمثل الشيوعيين في مصر!■

اكتشاف النص القرآني..
رد على شبهات قديمة جديدة

د. فَرست مرعي

أعلن باحثون في جامعة برمنجهام البريطانية عن عثورهم على صفحات من نسخة من مصحف، وبفحصها بالكربون المشع، تبين أنها الأقدم في العالم؛ حيث تعود لما يفوق الـ١٣٧٠ عاماً، وحسبما ذكرت مصادر إعلامية بريطانية، فإن هذه الأوراق موجودة في مكتبة الجامعة منذ قرن من الزمان، ولم يهتم بها أحد، وتم حفظها ضمن مجموعة من المخطوطات والوثائق الخاصة بالشرق الأوسط، حتى لفتت نظر أحد طلبة الدكتوراه وتم إخضاعها للفحص بالكربون المشع في وحدة تقنية بجامعة أكسفورد، وتبين أن النص مكتوب على جلد الغنم أو الماعز بالخط الحجازي، والمعروف بأنه من أقدم الخطوط العربية، ومن أقدم نصوص القرآن الكريم الموجودة في العالم.

وللعلم يمكن لتقنية الكربون المشع أن تحدد عمر الأشياء بنسبة ٩٥٪، ووفقاً للفحص الذي جرى على المخطوط، فإنه يعود إلى ما بين عامي ٥٦٨ و٦٤٥م، فيما نزل الوحي على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في الفترة ما بين عامي ٦١٠ - ٦٣٢م؛ وهو ما يعني أن الشخص الذي قام بكتابة هذه المخطوطات عاش في زمن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أو أنه عرف النبي، وربما كان مقرباً منه، أو من خلفائه الراشدين وتحديداً الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان (٦٤٤ - ٦٥٥م) الذي جمع القرآن الكريم، بحسب قول البروفيسور «ديفيد توماس»، الأستاذ المختص بالمسيحية والإسلام في جامعة برمنجهام.

ويقول محمد عيسى والي، خبير المخطوطات في المكتبة البريطانية: إن هذا الاكتشاف مذهل وسيدخل السعادة في قلوب المسلمين، هما لفافتان مكتوبتان بخط حجازي جميل ومقروء، تعودان بكل تأكيد إلى زمن الخلفاء الراشدين الثلاثة الأوائل.

وكانت هذه المخطوطات ضمن أكثر من ٣٠٠٠ مخطوطة ووثيقة جمعها «ألفونس منكَنا»، القس الكلداني الكردي، ونقلها إلى مكتبة «سيلي أوك» في جامعة برمنجهام في بريطانيا في زيارتين متتاليتين إلى العراق في عامي ١٩٢٤ و١٩٢٥م على التوالي، من بينها ٢٣١٧ مخطوطاً عربياً، و٦٠٦ مخطوطات سريانية وكرشونية مع مجاميع أخرى.

القس «منكنا»

و«ألفونس منكَنا» هو هرمز بولس منكنا أو منكانا، وولد في ٢٣ ديسمبر ١٨٧٨م في قرية شرانش العليا (نصارى) الواقعة على بعد ٢٢ كم شمالي مدينة زاخو التابعة لمحافظة دهوك في كردستان العراق، وتوفي في ٥ ديسمبر ١٩٣٧م في مدينة برمنجهام البريطانية، كان والده قسيساً كلدانياً في قرية شرانش، ومنذ صغره أرسله والده وعمره ١٢ عاماً ليدخل معهد «مار يوحنا الحبيب» الذي تأسس في مدينة الموصل سنة ١٨٥٨م، لكي يتخرج ويصبح قسيساً.

وكان هرمز فتى ذكياً مثابراً في تحصيل العلم، يحب المطالعة، ويعشق تعلم اللغات وقراءتها، فخلال دراسته الأولية أتقن اللغات التركية والسريانية والعربية، كما كان ملماً بالكردية، وعندما التحق بمدرسة «الآباء الدومنيكان» سرعان ما تعلم الفرنسية والعبرية، وكان متقدماً في دراسته، وقد رُسم قسيساً سنة ١٩٠٢م، واختار له اسماً جديداً وهو «ألفونس»، وهو تقليد درج عليه رجال الدين من المسيحيين ليفرقوا بين الفترتين المدنية (العلمانية) والدينية التي تتميز بالتقشف والتبتل (كما يفترض)!

وبعد أشهر من ممارسته الدينية في شرانش، اختير من بين الخريجين لإتقانه كتابة اللغة السريانية ليحل محل أستاذه في المدرسة الدينية العالية الأب «أوجين منا» (المتوفى سنة ١٩٢٨م) الذي أصبح مطراناً، ولم يكد يدرس لفترة وجيزة حتى عُهد له أيضاً تصحيح الكتب المدرسية باللغات التركية والعربية والفرنسية التي كانت تطبعها مطبعة «الآباء الدومنيكان» في الموصل وتأسست سنة ١٨٥٨م.

أدرك «ألفونس منكَنا» أن السريان القدماء خلفوا كتباً عديدة مهمة في العهد الفارسي الساساني، بين القرنين الثاني والسابع الميلاديين، فراح يبحث عنها في الأديرة والكنائس القديمة في بغداد والموصل وأربيل وزاخو وديار بكر التركية، ويستنسخ ما يستطيع منها، وخلال هذه الفترة ألف بضعة كتب ودراسات تاريخية بعضها بمشاركة مستشرقين إنجليز وفرنسيين.

محاولات ربط القرآن بالآرامية

ويرجع اهتمام «ألفونس منكَنا» بمخطوطات القرآن الكريم إلى اعتقاده بأن اللغة السريانية خليفة اللغة الآرامية القديمة لها تأثير مباشر على مصطلحات وأسماء الأعلام القرآنية؛ وحتى في بعض المفردات الأساسية القرآنية، وكانت نتيجة هذه الجهود، واطلاعه على كتاب «دراسات محمدية» للمستشرق اليهودي المجري «كولدزيهر» (المتوفى سنة ١٩٢١م) الذي كان أول من شكك في الأحاديث النبوية، أثراً كبيراً في تأليفه كتاب «التأثير السرياني في أسلوب القرآن»، ونُشر كدراسة بالإنجليزيّة سنة ١٩٢٧م تحت عنوان Style the on Influence Syriac an‘Qur the of، وقد زعمت هذه الدراسة هيمنة المعجم السرياني على لغة القرآن بنسبة وصلت إلى ٧٠٪، بينما توزعت بقية النسب على الحبشيّة (٥٪)، والعبريّة (١٠٪)، واليونانيّة القديمة (١٠٪)، والفارسيّة (٥٪)؛ والحقّ أنّ «منكَنا» لم يبنِ عمله على مستندات علمية في البحث أو على بحث دقيق يمكن الاطمئنان إليه.

أقدم نسخة مصحف في العالم عثر عليها بجامعة برمنجهام البريطانية

النسخة كانت ضمن أكثر من ٣ آلاف مخطوطة جمعها القس الكلداني «ألفونس منكَنا»

زعم «منكنا» هيمنة المعجم السرياني على لغة القرآن بنسبة وصلت إلى ٧٠٪

الاختلافات بين نصوص القرآن الواردة في المخطوطات القديمة تتعلق بالشكل والتدوين ولا علاقة لها بنصوص القرآن الكريم

وحين لاحظ المستشرق الأسترالي «آرثر جفري» Jeffery Arthur (المتوفى سنة ١٩٥٩م) أن «منكنا» أرجع قسماً من «الدخيل في القرآن» إلى أصول سريانية، كتب سنة ١٩٣٨م «معجم المفردات الأجنبية في القرآن»، وصدر الكتاب في طبعته الأولى بالإنجليزيّة سنة ١٩٣٨م تحت عنوان The Foreign Vocabulary of the Quran، وأكد فيه أن المسيحية المعروفة للعرب قبل الإسلام كانت من نموذج سرياني هو النموذج اليعقوبي (منوفستي – أصحاب الطبيعة الواحدة) أو نسطوري، ولاحظ أيضاً أن نصوصاً إسلامية متعددة تذكر اتصالات محمد صلى الله عليه وسلم مع مسيحيين سريانيين أو عرب!

كما أعلن أن هناك ٣١٤ كلمة دخيلة على المعجم القرآني رتّبها حسب حروف المعجم في العربيّة، وقام منهجه على الخطوات الثلاث التالية؛ أولاها: رصد معنى الكلمة الدخيلة في عدد من كتب التفسير القرآنيّ (خاصّة تفاسير الطبري والزمخشري والبيضاوي)، ومن كتب علوم القرآن (خاصّة «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي)؛ وثانيها: تعيين معنى الكلمة لغة في المعاجم العربيّة، مثل «لسان العرب» لابن منظور و «المعرّب» للجواليقي؛ والثالثة: ضبط أصول الكلمة موضوع الدرس في السريانيّة الآراميّة والعبريّة وذلك بإثبات رسمها وتعيين دلالتها.

غير أنّ هذا التمشّي المنهجيّ الذي أقام عليه «جفري» بحثه يبقى محدودَ الجدوى، وعلّة ذلك أنّه لا يمكن الاستدلال على مرجعيّة لغويّة لنصّ ما بالتعويل على ما أُلِّفَ لاحقاً (تعيين معنى كلمة قرآنيّة بالرجوع إلى «لسان العرب» لابن منظور) مثلاً حسب الباحث التونسي بسام الجمل.

وهذا الخلل المنهجيّ لم يسلم منه أيضاً الكاتب الألماني السوري الأصل الذي يوظف اسماً مستعاراً «كريستوف لوكسنبارج» في كتابه الذي تبنى فكرة «منكنا» حول التأثير السرياني والذي أثار جدلاً واسعاً بين الدارسين الغربيين، وهو بعنوان «قراءة سريانية آراميّة للقرآن: مساهمة في فكّ شفرة اللغة القرآنيّة» (الطبعة الأولى بالألمانيّة سنة ٢٠٠٠م) تمت ترجمته إلى الإنجليزيّة سنة ٢٠٠٢م بعنوان:

The Syro-Aramaic Reading of the Kuran: a Contribution to the Decoding) (of the Quranic Langage.

ويعمد «لوكسنبارج» في مرّات عديدة إلى تغيير حروف بعض الكلمات مع المحافظة على رسم الكلمة قبل الإعجام، وهو بذلك يستعيد صورة المصاحف الأولى، ويبدّل أحياناً مواقع الحروف في الكلمة موضوع البحث الفيلولوجي (ما يعرف بفقه اللغة المقارن)، بل ويغيّر كلمات برمّتها.

والحقّ أنّ التحرّيات الفيلولوجية التي أنجزها «لوكسنبارج» بالشكل الذي ذكرنا سابقاً، كانت سبباً مباشراً في أن توجّه إليه عدّة انتقادات؛ من أهمها: اختياره المنهجيّ المقلوب بتعويله على «لسان العرب» في فكّ غموض معنى الكلمة القرآنيّة، ومنها ردّه غموض بعض الكلمات القرآنيّة إلى أخطاء في الرسم، وفي ضبط القراءة المناسبة تعليل لا يمكن قبوله؛ إذ من المستبعد أن يذهل العلماء المسلمون عن أخطاء محتملة من هذا القبيل طيلة ما يزيد على أربعة عشر قرناً، ومنها أيضاً طغيان النزعة التخمينية على بحثه الفيلولوجي، فضلاً عن عدم استفادته من حصيلة جهود قرنين من الدرس الفيلولوجي بما أنّه لا يبني عمله على البحوث السابقة في هذا الباب، فقد درس حوالي ٧٥ حالة وردت في المصحف، وتبنّى فرضيّة وجود ما يُسمّى بـ «قرآن أصلي» استُعملت فيه عدّة تعابير سريانيّة؛ أي إنّ في القرآن فقرات عديدة

«منكنا» والمستشرقون من بعده حاولوا ربط لغة القرآن بالسريانية للترويج لأكاذيب كتابة القرآن بعد وفاة الرسول ﷺ

تقنية الكربون المشع كشفت أن نسخة المصحف تعود لما بين عامي ٥٦٨ و٦٤٥م ما يعني أن كاتبها عاش في زمن النبي محمد ﷺ

لم تُكتب أصلاً بالعربيّة، بل كُتبت بما يسمّيه «لغة مزيج» جمعت بين العربيّة والآراميّة.

وغني عن القول؛ أن هناك اختلافات بين نصوص القرآن الواردة في المخطوطات القديمة قبل التنقيط والتحريك، والمصاحف التي هي الآن بين أيدينا، إلا أن هذه الاختلافات تنحصر في أنواع الخطوط العربية وتنقيط الأحرف، وطريقة ضبط الكلمات وتشكيلها؛ فالاختلافات ليست في المضمون وإنما في طريقة الكتابة الموجودة، وتتعلق بالخطوط العربية وعلامات الضبط والتجويد، والعلامات النحوية التي ظهرت في مراحل تاريخية متأخرة؛ وعلى ذلك فهي خلافات تتعلق بالشكل وطريقة التدوين وليس لها علاقة بنصوص القرآن الكريم.

وتصعب قراءة هذا النوع من الكتابة إلا على المتخصصين في الخطوط؛ إذ ينعدم فيه التنقيط تماماً، ويكون على القارئ أن يدرك أياً من هذه الأحرف هو المقصود في كل حالة.

بطلان الأكاذيب

كان في نية «منكنا» ومن جاء بعده من المستشرقين وغيرهم من الباحثين العرب الذين نسجوا على منوالهم (أبو موسى الحريري، نبيل فياض؛ نموذجين)، الادعاء بأن القرآن الكريم لم يكن موجوداً زمن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بل تمت كتابته فيما بعد لتبرير الفتوحات الإسلامية، ومن جانب آخر التأكيد بأن القرآن كان مكتوباً باللغة السريانية، وأن العرب المسلمين غيروا فيه وأضافوا الآيات التي تؤكد نزوله أو ظهوره باللغة العربية في مرحلة لاحقة في العصر الأموي؛ غير أن الرياح لم تجرِ بما تشتهيه السفن، فقد أكد الخبراء الغربيون أن النسخة الجديدة ترجع إلى عصر الخليفة عثمان بن عفان تحديداً ومكتوبة بالخط الحجازي وليس السرياني.

لقد زوَّر رجل الدين المسيحي والمستشرق فيما بعد «منكنا» الدين والتاريخ المسيحي، واتهم من قبل بطريركه «مار عمانوئيل» ورجال الدين الكلدان العراقيين والفرنسيين والألمان بعدم الأمانة (تزوير المخطوطات والمصداقية، فما بالك بالدين الإسلامي الذي يعد في نظرهم على أقل تقدير إحدى الهرطقات المسيحية، وأن القرآن الكريم أحد مختصرات العهد الجديد؟!■

بقلم: د. يوسف السند

قيم النماء والبقاء في مؤسسة الدعوة (٢)

الحمد الله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ونصلي ونسلم على رسول الله محمد ﷺ، الذي علمنا كل خير وحذرنا وبيَّن لنا كل شر.

إن مؤسسة الدعوة لتحتاج إلى القيم الفردية والقيم المؤسسية والقيم الإنسانية العالمية؛ حتى تحلق بأجنحة البقاء والنماء والاستمرار في عالم التنافس والتدافع والتسارع والاستبدال.

أبين بعضاً من القيم الفردية التي يجب أن يتحلى بهم أفراد مؤسسة الدعوة، بل كل مؤسسة تريد التميز والاستمرار والبقاء والنماء:

١- الصدق والإخلاص: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)﴾ **(التوبة)، وقال النبي ﷺ: «إنَّ الصِّدقَ يَهدي إلى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يَهدي إلى الجنَّةِ، وإنَّ الرَّجُلَ ليَصدُقُ حتَّى يَكونَ صدِّيقًا..» (صحيح البخاري).**

وصدق الله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ **(البينة:٥).**

فالصدق والإخلاص ركيزتان لضمان التوفيق وتحقيق النجاح والقوة في المؤسسة.

والأخ الصادق في مؤسسة الدعوة يريد ما عند الله والدار الآخرة؛ لذا تراه مقداماً جسوراً محباً للخير داعياً إليه صابراً عليه.

٢- حب العمل الجماعي المنظم، البعيد عن الارتجالية والفوضوية، المعتمد على الخطط والأهداف والوسائل القانونية والمشروعة والإستراتيجيات المحددة والمعتبرة.

٣- الهمة والعزيمة والمتابعة لتحقيق الأهداف والخطط.

٤- التفكير المتميز الفاعل نحو التغيير والتنافس الشريف مع الآخرين؛ التفكير الذي ينشد التغيير نحو الإصلاح وفق المتاح والممكن والموجود؛ تغيير فيه الإبداع والوصول إلى الأهداف.

٥- الثقافة المؤسسية المستمرة والمتحفزة لكل جديد في عالم المؤسسات، الراغبة في التطوير وفق المعطيات والفرص، ثقافة تجعل صاحبها متخصصاً في عمله بل وفي موضعه في مؤسسته.

٦- المرونة الذهنية في نقد الذات وتصحيح الأخطاء وقبول النصح لتطوير الذات وتطوير المؤسسة.

هذه بعض القيم الفردية للأفراد العاملين في المؤسسة.

والحمد لله رب العالمين.■

تحرير مضامين المصطلحات (٢ - ٢)

الجهاد.. القتال.. الإرهاب

بقلم: أ. د. محمد عمارة
كاتب ومفكر إسلامي - مصر

في عالم يموج بالمفاهيم المغلوطة، والمقولات المغالية، والمصطلحات التي لم يتم تحرير مضامينها، وبعد أن تجاوزت هذه المفاهيم والمقولات والمصطلحات ميدان الفكر إلى حيث فجّرت وتفجّرت عنفاً دموياً، عانى ويعاني منه ملايين العباد في كثير من البلاد، فمن الواجب المبادرة إلى تحديد المفاهيم وتحرير المقولات، وهنا سنسعى في خلاصات موجزة استكمال تحرر وتجلّي المضامين الدقيقة لأهم المصطلحات والمقولات التي سببت وتسبب هذه البلبلة الفكرية، التي أوقعت قطاعات من الناس في التطرف الفكري، والتي دفعت البعض إلى السقوط في مستنقع العنف الدموي، مصطلحات: «الجهاد، والقتال، والإرهاب».

كان مصطلح «الجهاد» - مع الأسف والعجب! - من أكثر المصطلحات التي أصابها سوء الفهم، بل وسوء الاستخدام، فدوائر غربية فكرية وسياسية حسبته مرادفاً لـ«الحرب الدينية المقدسة» التي أفرزها اللاهوت في الكنيسة الكاثوليكية الأوروبية، والتي فجرت حرباً عقائدية للإكراه - بالقتل والقتال - على تغيير الاعتقاد، والتي دارت بين الكاثوليكية والبروتستانت، وأبيد فيها حسب إحصاء «فولتير» (١٦٩٤ - ١٧٧٨م) عشرة ملايين، وحسب إحصاء «هنري كيسنجر» ٤٠٪ من شعوب وسط أوروبا.

والحقيقة أن «الجهاد» في المفهوم الإسلامي وفي الحضارة الإسلامية هو شيء آخر، مغاير، بل ومناقض لكل هذه المفاهيم والتصورات الخاطئة التي رُمي بها.

فهو بذل الجهد واستفراغ الوسع والطاقة في أي قول أو فعل بأي ميدان من ميادين الخير والإصلاح في الحياة، وكما يقول مجمع اللغة العربية - في «معجم ألفاظ القرآن الكريم» - فإن «أكثر ما ورد في الجهاد في القرآن الكريم ورد مراداً به بذل الوسع في نشر الدعوة الإسلامية والدفاع عنها»، وهذا المعنى هو الذي جاء في «التعريفات» للشريف الجرجاني (٧٤٠ - ٨١٦هـ/ ١٣٤٠ - ١٤١٣م) الذي عرّفه بأنه «الدعاء إلى الدين الحق».

ومعروف ومشهور أن هذه الدعوة؛ أي هذا الجهاد، هي بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، وقبل كل ذلك وفوقه، فإن القرآن الكريم في الآية التي وصف فيها الجهاد بالكبير، إنما كان يعني الجهاد بالقرآن، أي بالكلمة الحكمة والدعوة الحسنة، وليس بالعنف ولا بالقتال؛ ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢)﴾ (الفرقان)، كما اعتبر القرآن الكريم الدفع - أي الحراك الفكري والسلوكي - بالتي هي أحسن في مواجهة العدوان جهاداً يغيّر موازين القوى بين الفرقاء المتدافعين؛ ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤)﴾ (فصلت).

وجدير بالملاحظة اختيار القرآن لمصطلح «الدفع» وهو حراك سلمي، ورفضه لمصطلح «الصراع» اللصيق بالعنف - في كل ميادين الإصلاح - دينياً كان أو دنيوياً.

فلا علاقة من ثم لمفهوم «الجهاد» بالحرب الدينية المقدسة، ولا بالعنف والقتال وإكراه الآخرين على تغيير الاعتقادات والإرادات.

وفي مواجهة الذين اختزلوا الجهاد في القتال، نجد علماء الإسلام في التفسير

والمصطلحات يؤكدون شمول الجهاد لما لا يكاد يحصى من المجاهدات السلمية؛ جهاد النفس، جهاد الشيطان، مجاهدة الشهوات والأهواء، بذل المال، التواصي بالحق، والتواصي بالصبر، الإحسان والعفو والصفح بدلاً من القصاص؛ أي تقديم الإحسان على العدل، طلب العلم، بر الوالدين، الحج والعمرة تطوعاً، الصبر على المكاره، والمجاهدات الروحية؛ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد بالكلمة – نثراً وشعراً – كما كان في صدر الإسلام، وترويض النفس على استشعار الجمال في هذا الوجود.. إلخ، ففي جميع هذه الميادين السلمية جهاد.

ويشهد على هذه الحقيقة – حقيقة استقصاء الجهاد عن أن يختزل في القتال – أن «الجهاد» هو فريضة عينية لازمة على كل مسلم ومسلمة؛ لأنه مستطاع لكل المكلفين، وفق القدرات التي امتلكها ويمتلكها هؤلاء المكلفون، وفي أي ميدان يستطيع المكلف أن يبذل جهده ويستفرغ وسعه فيه – بسائر ميادين العبادات والمعاملات – بينما كان «القتال» الذي هو شُعبة محددة ومحدودة من شُعب الجهاد مشروطاً بشروط، وله ميادين محددة، ضبطها القرآن الكريم في الآيات التي تحدثت عن القتال؛ ولذلك كان الجهاد فرض عين على كافة المكلفين، بينما كان القتال فرض كفاية على البعض.

كذلك تميزت فلسفة الإسلام في القتال عن كثير من الفلسفات والأنساق الفكرية الأخرى.

فعلى حين رأته فلسفات وحضارات غريزة إنسانية لاصقة وحاكمة، بل ورأته سبيلاً من سبل التقدم والانتخاب الطبيعي والارتقاء، رآه الإسلام الضرورة والاستثناء، بل والاستثناء المكروه!

وفي القرآن الكريم كتب الله سبحانه وتعالى على المؤمنين العديد من الفرائض، لكنه عندما كتب عليهم القتال نبه على أنه مكروه؛ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ (البقرة:٢١٦)، ولقد أكدت السُّنة النبوية التي هي البيان النبوي للبلاغ القرآني هذه الحقيقة المهمة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته وأمته: «لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاثبتوا، وأكثروا ذكر الله» (رواه الدارمي).

ولقد قطع القرآن الكريم بالطابع الدفاعي للقتال عندما قال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)﴾ (البقرة).

ويزكي هذه الحقيقة – حقيقة الطابع الدفاعي للقتال المشروع – أن الشهيد هو الذي يُقتل في الدفاع، لا في العدوان، والحديث النبوي يحصر هذه الحالات الدفاعية عندما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد» (رواه الترمذي).

ولذلك، كانت حروب دولة النبوة جميعها دفاعية؛ دفاعاً عن المدينة – دار الإسلام – وعن الدين الذي اختاره المؤمنون الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم، ولم يتعدَّ الذين قُتلوا في كل تلك الحروب التي فُرضت على المؤمنين ٣٨٦ من شهداء المسلمين وقتلى المشركين.

أما الفتوحات الإسلامية، فلقد دارت جميع معاركها ضد المستعمرين من الروم والفرس، وشارك فيها أهل البلاد المفتوحة إلى جانب المسلمين، فكانت تحريراً للأوطان والضمائر والعقائد، ولم تكن حرباً لإكراه الناس على تغيير الاعتقاد، حتى إن نسبة المسلمين في الدولة الإسلامية بعد قرن من الفتوحات لم تتجاوز ١٠٪ من السكان!

وفوق ذلك كله، فلقد سن الإسلام في هذا القتال – الاستثنائي المفروض والمكروه – وفي هذه الحرب الدفاعية، وهذه الفتوحات التحريرية سُنَّة حسنة، بلورها الصديق أبو بكر رضي الله عنه في «ميثاق الفروسية الإسلامية»، عندما أوصى قائد جيشه يزيد بن أبي سفيان (١٨هـ/ ٦٣٩م) وهو ذاهب لتحرير الشام من المستعمرين البيزنطيين فقال له: «إنك ستجد قوماً زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله (الرهبان) فدعهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له، وإني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة، ولا صبياً، ولا كبيراً هرماً، ولا تقطعن شجرة مثمرة، ولا تخربنّ عامراً، ولا تعقرنّ شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة، ولا تحرقنّ نخلاً، ولا تفرقنّه، ولا تغلل، ولا تجبن» (رواه مالك في الموطأ).

وهو ميثاق لحماية كل من عدا الجند المقاتلين المعتدين بل ولحماية الطبيعة، بما في ذلك الحيوان والشجر والحجر!

> القرآن الكريم اختار مصطلح «الدفع» وهو حراك سلمي في كل ميادين الإصلاح دينياً أو دنيوياً ورفض مصطلح «الصراع» اللصيق بالعنف

> «الجهاد».. فريضة عينية لازمة على كل مسلم ومسلمة لأنه مستطاع لكل المكلفين وفق القدرات التي يمتلكونها وفي أي ميدان يستطيعون أن يبذلوا جهدهم

هذا هو القتال، وهذه هي فلسفته، ومواثيقه في الإسلام.

أما «الإرهاب» الذي رمى البعض به الإسلام، حتى قبل تعريف له ولا تحديد لمعناه: فهو كما جاء في «معجم العلوم الاجتماعية» الذي أصدره مجمع اللغة العربية: «استخدام العنف غير المشروع لترويع الآمنين، وإكراههم على قبول ما لا يريدون».

هذا هو التعريف الفلسفي والاجتماعي للإرهاب، فهل لهذا العنف غير المشروع لترويع الآمنين، وإكراههم على قبول ما لا يريدون أدنى صلة أو شبه بما جاء في القرآن الكريم عن هذا المصطلح؟!

لقد جاء في القرآن الكريم بسورة «الأنفال»:﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (٥٩) وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (الأنفال).

وهذا المعنى القرآني لمصطلح الإرهاب هو على النقيض من المعنى الذي جاء لهذا المصطلح في المعاجم الفلسفية والاجتماعية الغربية، فالمعنى القرآني للإرهاب هو التخويف لردع الخونة والمخادعين والغادرين كي لا يغدروا بالمسلمين المعاهدين، وهو تخويف يثمره إعداد القوة الرادعة، وليس تخويف العدوان والعنف والإكراه وترويع الآمنين؛ أي إنه التخويف الذي يمنع وينفي العنف والقتال والإكراه، فهو كالعقوبة الرادعة المخيفة، إعلانها يمنع الجريمة ويردع المجرمين.

ولو أن اليابان مثلاً في الحرب العالمية الثانية كانت قد أعدت السلاح النووي، لأرهبت وأخافت أمريكا، ومنعت مأساة هيروشيما وناجازاكي في أغسطس ١٩٤٥م، ولأن الاتحاد السوفييتي قد أعد الرادع النووي والهيدروجيني فلقد أرهب - أي أخاف - أمريكا، فمنع مأساة الإبادة الجماعية إبان الحرب الباردة بين الرأسمالية والشيوعية، وكذلك حال باكستان مع الهند.

إن مصطلح «الإرهاب» في القرآن الكريم مثله في المعنى كمثل مصطلحات «الرهبة» و«الرهبانية»، أي الخشية من الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (١٥٤)﴾ (الأعراف)، ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠)﴾ (البقرة)، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)﴾ (الأنبياء)، ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ (الحديد:٢٧)، وليس في أي من مضامين هذه المصطلحات القرآنية ما يشي من قريب أو بعيد للمعنى الذي ارتضاه الفكر الغربي للإرهاب، معنى: العنف غير المشروع لترويع الآمنين، وإكراههم على قبول ما لا يريدون.

ومع ذلك وصم كثير من مفكري الغرب وساسته الإسلام بالإرهاب، بل وشنوا عليه الحروب تحت شعار الإرهاب!

ولقد أفصح المستشرق الصهيوني «برنارد لويس» عن هذه الحقيقة عندما زعم «أن إرهاب اليوم هو جزء من كفاح طويل بين الإسلام والغرب، فالنظام الأخلاقي الذي يستند إليه الإسلام مختلف عما هو في الحضارة اليهودية والمسيحية الغربية، وآيات القرآن تصدِّق على ممارسة العنف ضد غير المسلمين، وهذه الحرب هي حرب بين الأديان»!

كما كشفت «مارجريت تاتشر»، رئيسة وزراء إنجلترا السابقة، عن حقيقة مقاصد الغرب من وراء وصم الإسلام بالإرهاب، وذلك عندما تحدثت عن أن «الإرهاب الإسلامي الفريد - كذا - إنما يشمل كل الذين يرفضون القيم الغربية، وتتعارض مصالحهم مع مصالح الغرب»!

وهو ما جعل فيلسوف صراع الحضارات «صموئيل هنتجتون» (١٩٢٧ - ٢٠٠٨م) يدعو إلى «حرب داخل الإسلام، حتى يقبل الإسلام الحداثة الغربية، والعلمانية الغربية، والمبدأ المسيحي: فصل الدين عن الدولة»!■

> «الإرهاب».. استخدام العنف غير المشروع لترويع الآمنين وإكراههم على قبول ما لا يريدون وقد نهى الإسلام عن ذلك شرعاً

> «مارجريت تاتشر»: «الإرهاب الإسلامي» الفريد يشمل كل الذين يرفضون القيم الغربية وتتعارض مصالحهم مع مصالح الغرب

> النظام الأخلاقي الذي يستند إليه الإسلام مختلف عما هو في الحضارة اليهودية والمسيحية الغربية وآيات القرآن تصدِّق على ممارسة العنف ضد غير المسلمين.. وهذه الحرب هي حرب بين الأديان!

أفكار أسرية

كنت دائماً أحلم أنه لو صار عندي بيت خاص بي أن أجعل القسم الأكبر والأجمل والأكثر نشاطاً وإشراقاً فيه مكاناً للعب أولادي وتعليمهم، وأن ألغي تماماً فكرة غرفة «الضيوف»، هذه الغرفة التي بدل أن تستخدمها العائلة العربية لحاجاتها وتفسح لها ولأولادها نظراً لضيق مساحات البيوت في بلادنا، بدلاً من ذلك كانت تقتطع أكبر وأجمل غرفة في البيت ويصرف عليها من الفخفخة والأبهة لتكون واجهة كاذبة لضيف (يعرف تماماً أنها واجهة كاذبة) قد يأتي مرة في الشهر وقد لا يأتي!

من أجل ذلك الضيف المزعوم يحشر أفراد العائلة السبعة في غرفتين وصالون فقط لتبقى غرفة الضيوف مغلقة! وكأن ضيفك لا يجلس مكان ما تجلس أنت ولا يأكل مثل ما تأكل أنت!

عندما رزقنا الله هذا المنزل كانت أول غرفة جاهزة فيه هي غرفة ألعاب لابنتي، اقتطعنا مساحة ١٥ متراً مربعاً في منتصف البيت بدل الـ area Breakfast بحيث تكون مساحتها الخاصة تفعل فيها ما تشاء بدون أنْ تسمع كلمة «لا» على أي شيء.

طريقة الألعاب التي أستخدمها هي طريقة «المونتسوري»، بحيث كل فترة أضع لها عدة ألعاب لمدة شهر، بعدها أخبئ هذه الألعاب وأحضر ألعاباً أخرى لنفس المدة، بعد ذلك أخبئها وأعيد الألعاب القديمة التي بالنسبة لها هي الآن ألعاب جديدة؛ لأن الطفل يمل وينسى بعد فترة، وهكذا تلعب بنفس الألعاب كل فترة.

في البداية، اشتريت لها مكتبة لأضع فيها الكتب، لكن ما وجدته أن الطفل بصري جداً ولا يقرأ ولا يهتم إلا بما يشاهده أمام عينيه ولا يهتم كثيراً بالأشياء المخزنة في المكتبة؛ وبالتالي قمت بطريقة عرض الكتب تحت النوافذ وتوزيعها على الطاولة وبين الألعاب؛ بحيث يكون ظاهراً وأحياناً مفتوحاً؛ لتشعر أنها جزء ممتع تماماً كالألعاب.

لوح الطبشور في الخلف، والمغناطيس من الأمام أنصح به بشدة، معظم سهراتنا تكون عليه، نكتب ونرسم ونلوّن عليه.

وهكذا تكون غرفة اللعب والشقاوة منفصلة عن غرفة النوم ذات الألوان الهادئة والجاذبة للنوم فقط، أما غرفة الألعاب أصبحت في الحقيقة غرفة لكل العائلة! حتى الغداء والعشاء أصبح لا يؤكل إلا على هذه الطاولة الصغيرة، حتى غرفة الجلوس ما عدنا نجلس فيها!

استثمار ناجح مائة بالمائة!■

من صفحة «عمارة من أجل الإنسان»

المبدعون

د. إيمان الشوبكي

سألتني: ونحن في الطريق إليك دكتورة، قلت لخطيبي: ما المانع أن نفكر في حفل زفاف مختلف، ليس تقليدياً وعادياً؛ بحيث يكون فيه من الجديد ما يستحق أن يُقلَّد بعد ذلك؟

فقاطعها: هي لا تراعي أعرافاً ولا تقاليد ولا غيرة ولا وضعاً مادياً.

ردت عليه: لا.. غير صحيح.. فقط كنت أقترح الفكرة، ولم أفكر بعد في كل تفاصيلها، فتعنَّتَ كما تسمعينه يا دكتورة!

قلت: حسناً.. حسناً.. اهدآ لكي نتفاهم بعد أن نفهم طبيعة المشكلة.

قال: هي تريد أن تصمم حفلاً من أول الفستان والسيارة والأكل والقاعة.. كل شيء مناقض لما جرت عليه العادة في مثل هذه المناسبات، دون مراعاة لأي شيء.

قالت غاضبة: هكذا يصر على ردعي، وكبْت رغباتي وطموحاتي.

قلت: لا.. ليس هكذا؛ فاهدئي أولاً لأحدثكما عن طبيعة الاختلاف بينكما.

قال: لا ندري من أين نأتي بك يا دكتورة بعد الزواج لتحلي لنا المنازعات وتكوني عاملاً ملطفاً بيننا؟!

قلت ضاحكة: بل أنتما وصلتما إلى مستوى عالٍ من تفهم ذلك من تلقاء نفسيكما، وتدخل أي أحد في حياتكما يجب أن يكون له حدود.. بل حدود ضيقة جداً، ولا تسمحا بتدخل أحد مهما كان إلا في حالات نادرة.

قالت: قد يستحيل التفاهم أحياناً ونحن نريد وسيطاً.

قلت: لا.. الوسيط هذا كان له وقت وانتهى، ودور الوسيط يقتصر على شرح قواعد وأساسيات، بناء عليها تتفهمان المشكلة، والوسيط لا يحل شيئاً إلا في حالات، لن تصلا إليها، إن شاء الله.

قال: نعم بالفعل.. حياة الزوجين مليئة بالأسرار، والستر بينهما هو ركيزة بيت الزوجية.

قلت: وما أعظمها من ركيزة تقوم عليها الحياة الزوجية والأسرية، وذلك يتأتى من خلال

تصنيف كل منكما للآخر ومعرفة اهتماماته.

قالت: وما رأيك في رفضه لرغبتي في حفل الزواج والزفاف؟

قلت: الإنسان أحياناً ينطلق تفكيره خارج الصندوق إلى أشياء غير مألوفة، ويرى فيها السعادة والإشباع النفسي، والبعض يرى أن الخروج عما ألفه الناس نقيصة.

قال: أوليس الخروج عن العادات والتقاليد شيئاً معيباً وتمرداً على الأصول؟

قالت بانفعال: هكذا يا دكتورة.. هو يصنف أي شيء خارج إطار العادات والتقاليد إلى تمرد وإنكار وانفصال.

قلت: ليس كل الخروج على العادات والتقاليد سُبَّة، ويجب ألا ينظر لها المجتمع تلك النظرة.

قالت: العادات والتقاليد ليس أكثرها سيئاً، ولا معظمها حسناً.

قلت: نعم.

قال: وما الضابط إذاً؟

قلت: خضوع العادات والتقاليد للدين وأحكامه، ثم العرف المعمول به في المناخ المحيط بك، إن لم يكن به ضرر، ثم المفسدة والضرر.

قالت: إذاً اختيار أمر غير مألوف لا يخضع للخطأ والصواب؟

قلت: ليس على إطلاقه بالتأكيد.. لكن هذه هي مشكلة معظم الشخصيات المبدعة المخترعة، وتفكيرهم دائماً خارج الصندوق، على عكس أشخاص آخرين يقدسون كل ما هو مجرب من باب المثل القائل: «ما نعرفه أفضل مما لا نعرفه»؛ فهو يحب الشيء المضمون المعروف، وعلى عكس الثاني الذي يتمرد على كل ما هو قديم يحب كل جديد، يبحث دائماً عن الغريب، ويبحث في غير المألوف.

قال ضاحكاً: هي لا تفكر خارج الصندوق فقط، بل لا يوجد صندوق أصلاً!

قالت: هكذا هو؟

قال: لكن دكتورة، أيهما أفضل؟

قلت: ليست القضية أفضلية، لكن متى تكون هذه الصفة ذات تأثير سيئ، أو ذات تأثير إيجابي؟

قالت: والتغيير والتجديد شيء جميل بالتأكيد.

رد عليها: والشيء المضمون والمجرب أجمل.

قلت: والأروع والأجمل أن تكتملا.

قالت: كيف؟

قلت: أن تدركي أنه من عالم لا يحب المغامرة كثيراً.

علا صوته: بالفعل.. بالفعل.. هكذا أريد أن أوضح لها أن المغامرة غير مأمونة.

قلت: والنمطية وعدم التجديد والابتكار جمود وملل.

قالت: أعرف أنه عند اختيار أي جديد لا بد أن يخضع لمعايير التكلفة المادية والبدنية والمعرفية ورد فعل الناس تجاهها.

قال: وأنا أدرك أيضاً أن الجمود والثبات مميتان، وأن عدم التغيير والابتكار جمود بالفعل.

قلت: لولا عقلية المبدع هذا الذي يفكر خارج الصندوق ما كان حجم هذه الاختراعات التي نتمتع بها من أجهزة ومعدات واكتشافات علمية وغيره.

قالت: نعم.. مثلاً المألوف منذ زمن أننا كنا نتحرك على الدرج صعوداً وهبوطاً، والآن نحن نقف وهو يتحرك، وغيره، وغيره الكثير من ابتكارات عقلية المبدعين أمثالي.

قال: ولولا الأناس المنظمون ما كانت هناك حياة أصلاً.

قلت: لولاهم ما دخلت أفكار المبدع حيز التنفيذ من خلال مرحلة النقد والتنقيح والتصحيح.

قالت: إذاً.. شخص يبتكر، وشخص ينفذ.

قلت: هكذا يمكن أن يتكاملا، لو فهما كل منهما لغز الآخر.

قالا: وما هو؟

قلت: إن لكل واحد منهما مفتاحاً؛ إما أن يفتح باب الإقناع، وإما أن يوصده تماماً؛ ليفتح باب المشكلات.

قال: نريد توضيحاً أكثر.

قلت: الشخص المبدع مفتاحه التجديد والتنويع، وأن يقدَّر ذلك فيه حينما يطرحه، ونحاول أن نرى فيما يطرحه كل رائع، ثم وقت التنفيذ تفرض الموضوعية نفسها، وتوضع في قالب الخطوات العملية التي تحجم المغامرة لديه.

على النقيض من الشخص الثاني الذي لا يميل إلى المغامرة، ويحرص على أن تكون النتائج محسوبة ومضمونة؛ فلا تحدثه في الجديد دائماً إلا إذا كان من أشخاص ثقات جربوه ووثقوا به، أو من خلال حقائق ثابتة تؤكد نجاحه.

قال: هل هذا ممكن؟

قلت: عليَّ أن أرى بعين الآخر، وأن أضع نفسي مكانه، فأمنحه الحق في أن يكون له رؤية ورأي غير رأيي، وأن رأيي ليس على الدوام صواباً بل يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب؛ فكل منا له الصواب وله الخطأ.

قالت: وما النصيحة التي تسدينها إلى هؤلاء؟

قلت: اهتم بأشياء أخرى، واشغل نفسك عن الطرف الثاني حتى يكون لديك متنفس آخر تجد فيه إبداعك، وتحجمه، وتراعي من يعيشون معك، ولا يوافقونك، ومن حقهم الاعتراض عما تقترحه، كما لك الحق في ذلك أيضاً.

قالت: وماذا عن الآخر؟

قلت: هكذا أيضاً.. لكن عليه أن يخفف حدة نظامه ودقته وحكمته لكل شيء، ويتغاضى عن أخطاء المغامر الذي يتعايش معه في بعض الأمور السهلة ذات النتائج البسيطة، أما غير ذلك فله الحق أن يحاسب وينظم حياته.

قالا: دكتورة، كم سعدنا وارتحنا بهذا الحوار كغيره دائماً معك، وستكونين أول المعازيم في الفرح غير المألوف (قالها وهو ينظر إليها ضاحكاً). فردت بابتسامة: لا فائدة.

قلت: بل كل الفائدة إن شاء الله، وأراكما على خير حال الموعد القادم، إن شاء الله تعالى.■

دور الوسيط بين الزوجين ليس حل المشكلة.. بل وضع قواعد وأساسيات لتفهمها

العلاقة بين الزوجين مليئة بالأسرار.. والستر ركيزة أساسية تقوم عليها الحياة الزوجية

يجب أن تخضع العادات والتقاليد للدين وأحكامه ثم العرف المعمول به إن لم يكن به ضرر ثم المفسدة والضرر

بستان المجتمع

إعداد: أمل دربالة

قصة حقيقية لتحقيق معنى التقوى

يقولُ د. محمد راتب النابلسي:

حدَّثني أحدُ علماء دمشق: جاءه شابٌّ، وقالَ له: أنا ما معي شيءٌ، وأنا في سنّ الشباب، وأنا أتمنّى أن أتزوَّج، لا بيت، ولا مهر، يعمل بالأجرة في محل تجاريٍّ بدخلٍ قليلٍ جداً.

قالَ له الشيخ: اتّقِ الله.

قالَ له الشاب: هذه أينَ تُصرَف؟ كيفَ أتقي الله؟!

ما فهِم أبعادها.

قالَ الشَّيخ: ما عندي غيرها، مع السلامة.

يبدو أنه أخذَ هذا الكلام بمحملِ الجدّ، وفكَّر في قول الشَّيخ: اتّقِ الله.

مجال تقواه عمله، هو موظَّفٌ بسيط جداً في محل،

قالَ بعدَها: داوَمْتُ دواماً كاملاً، غضَضْتُ بصري عن أيِّ فتاة تدخلُ إلى المحل، ما كذبت أبداً، نصَحْتُ الزّبائن.. إلخ.

لاحظَ صاحبُ المحلِّ هذه التّغييرات في شخصيَّته، وثِقَ به وجعله مستشارَهُ، وصار يقول له: رافِقْني، أنا أبْني بيتاً وأحبّ أنْ أستشيرك، هُو الذي يختارُ السّيراميك، هُو يختارُ البلاط، بعدما انتهى هذا البيت.

قالَ له: هذا البيتُ لك، وأنا سأزوِّجُكَ ابنتي، فدَعا الشّيخ إلى عقد القران.

قالَ له الشاب: سيّدي الشَّيخ، ما تذكَّرتني؟

قالَ الشيخ: لا والله.

قالَ له الشاب: أنا مرَّة جئتُ إليك، وقلتَ لي: اتّقِ الله، وأنا اتّقيتُ الله، فأكرَمَني بزوجةٍ وبيتٍ ودخلٍ جيِّد.■

هل سمعت عن الشواطئ التي تتلألأ ليلاً كالنجوم؟!

هي صورة حقيقية لأحد الشواطئ في المالديف، فبمجرد حلول المساء تتلألأ رمال الشاطئ باللون الأزرق المدهش لتنافس النجوم ضياءً!

والسبب هو عوالق نباتية ميكروسكوبية تسمى «فايتوبلانكتون» تنتشر قبالة الشاطئ وعلى رماله، ويعتقد العلماء أنها تتوهج بهذه الطريقة العجيبة لتخيف أعداءها، فلو كنتُ كائناً مفترساً فلا أظن أني سآكل مخلوقاً يضيء.. فسبحان الله فيما خلق!■

ماذا تعرف عن «حلقة القمر»؟!

منظر مذهل للظاهرة الطبيعية النادرة التي تدعى «حلقة القمر»، يظهر القمر متشققاً أو محاطاً بهالة بيضاوية أو سداسية.

سبب هذه الظاهرة انعكاس الضوء من القمر المكتمل في جزيئات الجليد الطافية في طبقات الجو العليا، وسبب ندرتها أن القمر يجب أن يكون مكتملاً، وأن يتوافق مع الحالة الجوية المناسبة، بالإضافة لانكسار الضوء المنعكس من القمر بزاوية ٢٢ درجة.■

أطول سيارة إسعاف في العالم

هذه سيارة (حافلة) يبلغ طولها ٢٠ متراً؛ ومجهزة بفريق طبي شامل، وأجهزة تعتبر الرائدة من حيث التقنية، جابت هذه السيارة شوارع مدينة دبي بدولة الإمارات وسط حالة من الذهول والإعجاب من قبل المارة وقائدي السيارات الذين يرون لأول مرة سيارة إسعاف بهذا الحجم.■

زها حديد.. معمارية عالمية

زها حديد، ابنة وزير المالية العراقي الأسبق محمد حديد، ولدت عام ١٩٥٠م، درست الثانوية في بغداد، ثم حصلت على الشهادة الجامعية في الرياضيات من الجامعة الأمريكية في بيروت، وحصلت على وسام التقدير من ملكة بريطانيا، عملت كأستاذة في قسم التصميم في جامعة هارفرد، وحصلت على العديد من الجوائز العالمية في التصميم المعماري.

من أهم أعمالها: محطة إطفاء الحريق في ألمانيا، متحف الفن الحديث في مدينة سينسيناتي بأمريكا، مركز

الفنون الحديثة في روما، معرض منطقة العقل في الألفية بلندن، جسر في أبوظبي.■

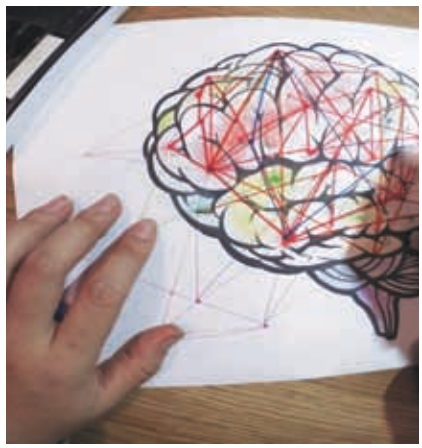

العلم والعقل

علم العليم وعقل العاقل اختلفا
من ذا الذي منهما قد أحرز الشرفا
فقال العلم: أنا أحرزت غايته
وقال العقل: أنا الرحمن بي عُرفا
فأفصح العلم إفصاحاً وقال له:
بأينا الرحمن في قرآنه اتصفا؟
فبان للعقل أن العلم سيده
فقبَّل العقل رأس العلم وانصرفا

دوامة الجزر

إذا رأيت فراغاً بين الأمواج فلا تحاول الدخول إلى البحر، هذه تدعى «دوامة جزر». إنها قوية جداً وستسحبك بعيداً عن الشاطئ عند دخولك الماء.. فاحذر.■

ألمانيا تودع أطول كلمة في العالم

حزن عدد من اللغويين الألمان، وهم يشاهدون أطول كلمة ألمانية، وربما في العالم كله، وهي تذوي أمام أعينهم، بعد أن أقرت المحكمة الألمانية حذفها من القاموس اللغوي الألماني.

ويبلغ عدد حروف الكلمة التي اشتقت في العام ١٩٩٩م، ٦٣ حرفا، وتعني «قانون نقل مهمة الرقابة على ملصقات منتجات لحوم البقر»: Rin dfleischetikettierungsüberwa chungsaufgabenübertragung sgesetz».■

أ. د. عماد الدين خليل
مفكر إسلامي وأكاديمي عراقي

لا مجاملة حتى للأنبياء!

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٦٠) وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (١٦١) ﴾ (آل عمران)، ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ (الأنفال:١٧).

وغير هذه الآيات الكثير التي تخاطب الأنبياء عليهم السلام، أو تتحدث عنهم، وهي تنطوي على صراحتها المطلقة في التزام الحق، حيث لا مجال للمجاملة على الإطلاق.

يا الله! كم أن هذا الكتاب العزيز يؤكد المرة تلو المرة، والحالة تلو الحالة، تنزّله من السماء فيقطع الألسنة المتشككة، والأيدي المرتجفة التي تقول: إنه من صُنع محمد!

ها هنا في هذه الآيات إنذارٌ صريح، عارٍ عن أي قدر من المجاملة أو التبرير في أن الله سبحانه وتعالى إذا شاء أن يخذل المؤمنين، بسبب مما تصنعه أيديهم، فلن يوقفه شيء على الإطلاق، والنبي الذي يغل - وحاشاه - يأتي بما غلّ يوم القيامة لكي يحاسب عليه أسوةً ببني آدم جميعاً، حيث لا خصوصية، ولا حماية، ولا مجاملة على الإطلاق.

ويوماً تساءل المسلمون الذين هزموا في معركة «أُحد»: كيف؟ ونحن جند الله الذين يعملون تحت قيادة رسوله ﷺ الموعود بالنصر من السماء.. كيف؟

ويجيء الجواب الحاسم القاطع كالسكين: ﴿ أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ (آل عمران:١٦٥)، فها هنا توضع النقاط على الحروف، دون مواربة أو مجاملة، وحاشا لكتاب الله، فبيّن لهم أنهم، وقد مارسوا خطأين كبيرين، كان لابّد من تلقّي العقاب.

أكثر من هذا، إن القرآن الكريم طالما نبّه رسول الله ﷺ، وحذّره في الوقت نفسه، في ألاّ يهادن الخصوم مهما كانت نيتّه سليمة صادقة ورغبته في كسب المزيد على صف الإيمان، حذّره أيضاً من ألاّ يجامل ذوي النفوذ والمال على حساب الفقراء والمعدمين، وكلنا نذكر الآيات الأولى من سورة «عبس» التي تعاتب الرسول ﷺ على أحد مواقفه في هذا الخصوص: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَن جَاءَهُ الأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى (٧) وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) ﴾ (عبس).

بل إن القرآن يعلن عن مضاعفة العقوبة لرسول الله إذا حدّثته نفسه - وحاشاه - أن يميل أو يهادن لمصلحة الدعوة: ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً (٧٣) وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً (٧٤) إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥) ﴾ (الإسراء).

ويمضي القرآن مصعداً موقفه الحاسم من رسول الله ﷺ حتى ليبلغ به الأمر أن يصدر إعلانه الخطير الذي ينطوي على التهديد والتنديد: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٤) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) ﴾ (الحاقة).

إنه الذبح إذن من الوتين إلى الوتين دون أن يجرؤ أحد، كائناً من كان، على تخليصه!

يا الله! إلى هذا الحدّ يا رب العالمين؟ ومع من؟ مع رسولك الذي قلت فيه: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (الطور:٤٨)، ورفعته إلى القمة بقولك: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) ﴾ (القلم)، فأي تكشف إلهي هذا؟ وأي صدق مطلق في التعامل مع النبوّات؟ وهل يعقل - إذا أخذنا بخرافة خصوم هذا الدين من أن هذا الكتاب هو من صُنع محمد - أن يخاطب محمد نفسه بهذا الخطاب، ويندّد بنفسه هذا التنديد المرعب الخطير؟

لا والله، إنها خرافة تمثل الدرك الأسفل من الغباء الذي يعتّم الرؤية فلا يكاد أصحابه يرون الأشياء على حقيقتها، ولا يقدرون على التفريق بين الأبيض والأسود.. فلا حول ولا قوة إلا بالله!■